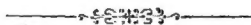


كتاب

تاريخ

دولة الجلائرية

من انشاء الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني
رحمه الله



اختصار الشيخ الامام العالم الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني
رحمه الله ورضي عنه



﴿ طبع على نفقة شركة طبع الكتب العربية ﴾

(بمطبعة الموسوعات بشارع باب الحلق بمصر سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م)



قرر مجلس ادارة الشركة في جلسته المنعقدة في يوم الثلاثاء ١١ ربيع آخر
سنة ١٣١٨ (٧ اغسطس سنة ١٩٠٠) طبع هذا الكتاب على نفقة الشركة
لاحتوائه على تاريخ دول اسلامية مكثت نحو قرن ونصف ولم يوجد لها
للان مؤلف خاص بها بل ذكرت عرضاً في كتب التواريخ ولما مؤلفه من
الشهرة المائقة في عالم التحرير والانشاء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد حمد الله على نعمه الجسام . ومنته المظام . والصلاة والسلام
على خير الأنام . سيدنا نبيه محمد وعلى آله البررة الكرام . فاني لما فرغت
من انتخاب الكتاب الموسوم بالبرق الشامى من انشاء الامام السعيد عماد
الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني الكاتب رحمه الله طالعت كتابه
الموسوم بنُصرة الفترة وعُصرة الفطرة في اخبار الوزراء السلجقية فصادثه
قد سلك فيه منهجه المعروف في اطلاق أعنة أقلامه في مضمار بيانه .
واسباغ ازيال القرائن المترادفة من وشائع ما يحبره راقم بنائه . بحيث صار
المقصود مغوراً في تضاعيف ضمائر الاسجاع . وربما كان لا يرفع للاصغاء
الى بدائعها حجاب بعض الاسماع . فاتحبت منه هذا المختصر الذي هو بعد
اشتماله على جميع مقاصد الكتاب محتو على عيون قرائنه البديية . وزواهر
الفاظه الفصيحة . خدمة لملك اجتمع فيه من الفضائل ماتفرق في جميع سلاطين
الائم . وصار نظاماً لحاسن يتزين بافرادها سائر ملوك العرب والعجم . ولانا
السلطان الملك المعظم ابي التتح عيسى ابن السلطان الملك المادل ابي بكر ابن
أيوب لازالت معارج دولته راقية في مدارج الاقبال . وعتبات مجده مظلماً

لعيون الاعظام والاحلال . ومصايح علومه متوقدة يهتدى بها الشاردون
 فيخرجون من ظلم الزيف والضلال . وينابيع آياديه متفجرة يكرع فيها الهائمون
 فينقون غلل الآمال . وقد افتتحت به في شهر ربيع الأول سنة ٦٢٣ مستعينا
 بالله تعالى ومستمداً من حوله وقوته ومبتهلاً اليه وسائلاً اياه ان يوفقني في
 ذلك وفي جميع أموري بفضلہ ورحمته وهو حسبي وكفى



﴿ ذكر نبذة من بداية حال السلجقية ﴾

قال رحمه الله كانت السلجقية ذوى عُدَدٍ وَعَدَدٍ . وأيدٍ وَايدٍ . لا يدينون لاحد ولا يذنون من بلد وميكائيل بن سلجق زعيمهم المبجل . وعظيمهم المفضل . وقد سكنوا من اعمال بخارا موضعاً يقال له نور بخارا وما زالوا فى أنصر شيعة . وانصر عيشة . وهم فى الرعي يكلأون الكلاً . وفى الرعي يكلأون الملاً . لا يدعهم ذاعر . ولا يردعهم داعر . والسلطين يرعونهم لللمات ولا يرعونهم . ويدعونهم للمهمات ولا يدعونهم . حتى عبر السلطان عيين الدولة محمود بن سبكتكين الى بخارا لمساعدة قدر خان فرأى ميكال ميكائيل يحصى الحصافة معيراً . وصاع مصاعه يأس البسان موفراً . فرغب فى استرغابه . وانجذب الى اجتذابه . وأراد ان يعبر الى خراسان به وباهله . وبكنف اكتافها لذى الحفظ والحفيظة بنبله ونبله . وامتنع ميكائيل عليه ومال عنه ولم يعمل اليه فغاض السلطان تمنعه فقبضه واعتقله . وعبر به وباصحابه الى خراسان ونقله . وقال له ارسلان الخاحب انى ارى فى أعين هؤلاء عين الهول . وانهم لمعرفون بالجرأة والقوة والحول . والراى عندى ان تقطع أبهام كل من تعبره منهم ليؤمن ضره . ولا يخاف شره . فما قبل خطابه فى هذا الخطب . وقال له انك لقاسى القلب .

فلما اقاموا بخراسان تقربوا الى عميدها أبى سهل أحمد بن الحسن الحمدونى وأهدوا اليه ثلاثة افراس ختلية . وسبعة اجمال بختية . وثلاثمائة رأس غنم تركية . وهداه اقبالهم الى قبول الهدية وكانوا سألوه ان يرمجهم فى المروج . ويسد بمواشيهم غنارم تلك المروج . فعين لهم مروج دنداتقان

فقرؤا بها وبما قاربها . وتحاماهما من عداها وجانبها . وتوفى محمود بن سبكتكين وهو كاره لا مريم . مشفق من وميض جرم . مستشف ستر القضاء في قضية شرم . وعد أبو سهل الصعب فيهم سهلا . واتخذهم لارتفاقه بهم صحباً وأهلاً . ونفذ مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكرياً من غزنة إلى خراسان فواقهم وقتل منهم عدة وأسر منهم جماعة حملهم إلى غزنه منهم يغيو أرسلان فاستعطفوه فلم يعطف . واستسغفوه فلم يعف . ولما غلق رهنهم وتوثق سجنهم . شربوا كأس اليأس وأبدلوا أيناك الناس بأحباش الحاشية . ومشى شحنة طوس لاستيقا ملهم من الماشية . وأستلان خشونتهم . واستسهل صعوبتهم . ولما ظن أنه آت بالغنم والغنمية . وباء بجز العزيمة . ركبوا إليه صهوات الخنق . وصرفوا نحوه أئنة الحب والنق . حتى لقوه فتركوه لقي وتبوا المنهزمين ودخلوا إلى طوس فملكوها . وجاسوا خلال ديارها وسلكوها . وتشاوروا فيما بينهم وقالوا هذا بحر خضناه . وفتح ابتكرناه . وطوس مدينتنا التي تؤويننا . وحصننا الذي يحميننا . فلا نفرج عنها . ولا نخرج منها . وشرع أبو سهل الحمدوني في استدراك ما فرط . واستمسك بالختبط . وكادوا يجيئونه بالجميل ويجملون في الجواب . ويميلون بمالائه إلى صوب الصواب . فتنسرع شحنة نيسابور وتسر . وجند وعسكر . وشن على سرحهم غارة على غرة . ونهض لمنعة نهضت بمضرة . فركبت السلجقية إليه وإلى جماعته أرسلالا . ونشبو معهم وشبوا قتالا . وهزمهم وكسروهم وقتلهم وأسرهم وامتدوا إلى نيسابور فدخلوها . ووجدوا في خلوها فرصة فاهتبلوها . وذلك في شهر رمضان سنة ٤٢٩ وعز . وأعلى مدييد . ونهب البلد . فنهزم طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجق وهو أميرهم وكبيرهم وقال لهم

نحن في شهر حرام لانهتك حرمة . ولا نهك عصمته . ولا يحصل من
 النهب ارب وانما تسوء به السمعة ويشيع الشبهة . ففرت جماعته من مقاله
 وسخفوا رأيه في تبين حرام الفعل وحلاله . فآزال بهم طغربك يقول لهم
 امهلوا بقية هذا الشهر واعملوا ما شئتم بعد القطر وفي أثناء ذلك وصل اليهم
 كتاب القائم بأمر الله أمير المؤمنين يخوفهم ويذكرهم بالله ويحملهم على
 رعاية عبادته وعمارة بلاده فظلموا على الرسول المعروف بأبي بكر
 الطوسي ثلاثة عشرة خلة . وتباهوا برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة
 ورفعة .

ولما كان يوم العيد اجتمعوا من القريب والبعيد وهما بالنهب
 فركب طغربك لمنهم . وجد في ردهم . وقال الآن وقد جاء كتاب الخليفة .
 المفترض الطاعة على الخليفة . وقد خصنا من توليته اياتنا بالحق والحقيقة .
 فلع عليه أخوه جنرى بك داود وأخرج سكينه وقال إن تركتني والا قتلت
 نفسى بيدي فرق له وسكنه . وأراه انه مكنه . وأرضاه بمبلغ أربعين ألف
 دينار قسطه . ووزن أهل البلد معظمه . وأدى هو من ماله الباقي وغرمه
 وجلس على سرير الملك الذى كان لمحمود بن سبكتكين في نيسابور ونهى
 وأمر وأعطى وأخذ وأبرم ونقض . وأحكم وقوض . وجلس يومى الاحد
 والاربعاء لكشف المظالم . وبسط المبدلة وبث المكارم . وسير أخاه داود
 الى سرخس فلما كان في الطريق . ونهجه طريقه في المدل فسلكها . وسير الى دار
 الخلافة المعظمة رسولاً يعرف بأبى اسحاق الصقاعى صبيح البهجة . فصيح
 اللهجة . بكتاب مضمونه انهم لما وجدوا ابن يمين الدولة ماثلاً عن الخير
 والسمو . مشتغلاً بالشر والعتو . غاروا للمسلمين والبلاد . وهم عيد أمير

المؤمنين في حفظ البلاد والعباد . وقد سنوا سنة العدل . وأسنا سننا
الفضل . وبطلوا مراسم العسف . وعطلوا مواسم الحيف . ومضى رسولهم .
وقضى سؤلهم . وتواصلت مع مسعود بن محمود بن سبكتكين حروبهم
وهزموه في سنة ٤٣٠ . واشتدت منهم . وقويت شوكتهم . واستولوا على
خراسان وتجاوزوها الى العراق وطرؤا على ملك الديلم . ورموه بالصيلم .
وغلبوا الالاك . وبلغوا الافلاك . واقتسموا البلاد . وطفروا طرفها
والتلاد .

قال وللسلطان طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجق ولأخيه جفري بك
أبي سليمان داود بن ميكائيل بن سلجق من نهر جيحون الى نيسابور ولأخيه
من أمه وهو ابن عمه ابراهيم بن نبال بن سلجق قهستان وجرجان ولابن
عمه أبي علي الحسن بن موسى بن سلجق هراة وبوشنج وسجستان
وبلاد النور .

قال وامتد طغرل بك الى الري وقد كانوا جعلوا له جميع ما يفتحه من
هذا الصوب فحمد الراي بالري . ونجرت عدة جدته بعد اللي . ووجد في
دور الديلم دقاتن وخزائن . سمرت بها أيامه عن أيامن . فتأمل وأثت . وورى
زندسمه بما ورث . وقتم قدامه ابراهيم بن نبال فقر بقرميسين واتزعها
من الامير أبي الشوك فارس بن محمد بن عتاز وحل بجلوان وتوفى أبو الشوك
في شهر رمضان وذلك سنة ٤٣٧ . وفي هذه السنة وزر رئيس الرؤساء أبو القاسم
علي بن الحسن بن مسلة للقائم بأمر الله وهي أول سنة ورد فيها الاتراك
الى العراق . وانتشروا منها في الآفاق .

قال وكان عند طغرل بك رسول الخليفة وهو أبو محمد هبة الله بن محمد

ابن الحسن بن المأمون مقيماً يدعو إلى بندگان ولا يدعه يقيم . ويروم منه
صدق القصد ولا يريم . وطال بالحضرة حضوره حتى حرك عزمه فعزم على
الحركة واندفع كالسيل . وكما الملق عجاج فيلقه صبنة الليل . ولم يترك الترك
ورداً الا شفوه . ولا حسناً الا شوّهوه . ولا نارا الا أرتشوها . ولا
داراً الا شعثوها . ولا عصمة الا رفعوها . ولا وصمة الا وضعوها . وأجفل
الملوك من خوف اقدامهم . وتحنوا من طريق ضرامهم . فجاؤا إلى بلدة
الا ملكوا مالكمها . وملأوا مسالكها . وأرعبوا ساكنيها . وأسكنوها
الرعب . وغلبوا أولادها . وولوها الناب . وازبروا إلى الزوراء . وأشاعوا مد
اليدها بالنار الشواء .

ذكر دخول السلطان ركن الدولة طغرل بك أبي شجاع محمد

ابن ميكائيل بن سلجق إلى بندگان في ٢٥ من رمضان

سنة ٤٤٧ ومعه الوزير عميد الملك أبو نصر محمد

ابن منصور الكندري وهو أول وزراء السلجقية

قال : كان حصيفاً نصيحاً رجيحاً نجيحاً متسلطاً بكانه . متمكناً من
سلطانه . يرجى ويمتنى . ويقصد وينشئ . والسلطان بأذنه وناظره يبصر
ويسمع . وبأذنه ونظره يرفع ويضع . وله البهجة المهيبة . واللجة المصيبة .
وكان مع السلطان طغرل بك يوم وصوله إلى بندگان وقد خرج رئيس الرؤساء
وزير الامام القائم لاستقبال السلطان ومعه أرباب المناصب . وأنصحاب

المراتب . وقاضى القضاة والشهود . والجنود والبنود . فلما وصل الى نهر بين . لقيه صاحب السلطان من المقرين . وقدم للوزير فرساً وقال هذا مركوب السلطان وقرّبه . فنزل عن بغلته وركبه . وجاءه بعد ذلك عميد الملك أبو نصر الكندرى فى موكب ضخم . وغرّ نخم . وقد وقف يتوقع مطالعته فلما بصّر به قصد عميد الملك أبو نصر أن يترجل ففنه وتماثقا راكبين . وخطا الموكبين . ووصل السلطان الى بغداد ونزل على دجلة . عند مسناة عز الدولة . رائع الهيبة . راثئ الهيبة . قد ضاقت الارض بمجنوده . وضافت الساء عذبات بنوده . فقبض على الملك الرحيم أبى نصر الديلمى من نسل عضد الدولة وسيره الى الريّ فقطع عليه الاجل الطريق فى طريقها وأذنت جموع ممالك الديلم بتفريقها وقبض عميد الملك أبو نصر الكندرى الوزير الاعزّ أبا سعد وزير الملك الرحيم . ثم استدّام صحته حين الفاه فى الكفاية صحيح الاديم . وأطلقه وأطلق يده فى الحل والمقد والجبس والاطلاق . وعول عليه وفوض اليه النظر فى العراق .

قال : وتوفى فى هذه السنة قاضى القضاة الحسين بن على بن مأكولة نفاطب عميد الملك فى تولية قاضى القضاة ابي عبدالله محمد بن الدامغانى فتسنت قاعدته فى ذى القعدة من السنة . وأحسن الناية به لمعاينه الحسنة . وقال هو قدوتنا بخراسان الموصوف بجميع الألسنة . وحضر عميد الملك الكندرى فى بيت النوبة الشريفة . وخص من دار الخلافة بالمنزلة اللطيفة . وانفذ معه برسم السلطان خلع سنه . وتشريفات سريه . قال : وتقدم طفرليك ببناء مدينة على دجلة وهى التى جامعها اليوم باق . وكانت حينئذ ذات أسوار وأسواق . قال : ودخلت سنة ٤٤٨ وفى الحرم منها

عمد الخليفة على ابنة أخى طغرل بك ارسلان خاتون خديجة بنت داود بن ميكائيل . وقصد بذلك تعظيمه والتبجيل . وللايجاد لاعداء هذه الوصلة الى قطع سبيل المودة بينهما السبيل .



ذكر الحال في ذلك

قال : في المحرم جلس الامام القائم بامر الله أمير المؤمنين . وأحضر عميد الله الكندري وقدمه على المتقدمين . وقدم اليه باحضار من يجوز احضاره . ويقع عليه ايثاره . فشد وسطه وأخذ دبوساً في يده . وجرى في حفظ آداب الخدمة على جده . واستدعى أمائل دولة السلطان فخدموا الخليفة . وشاهدوا السدة الشريفة . ثم شرع رئيس الرؤساء في خطبة النكاح . وجاء بها على وفق الاقتراح . واستوعب شرائط الايجاب بالذكر من تسمية المخطوبة والمهر ثم قال : إن رأي سيدنا وولانا أن ينم بالقبول فقال الخليفة قد قبلنا هذا المقدم بهذا الصداق . فامتزج الدولتان بالاستحقاق . واستمرت البركة . واستقرت المملكة . قال وفي هذه السنة كانت ولادة المقتدى سحرة الاربعاء ثامن جمادى الاولى وسعى عبد الله وكنى ابا القاسم وامه جارية لندخيرة الدين أبي العباس بن القائم بامر الله وكانت وفاة النخيرة في ذى القعدة سنة ٤٤٧ وعمره ١٤ سنة وبوفاته قامت قيامة القائم فانه كان ولي عهده ولم يكن له ولد سواه فلما ولدت جاريته ابناً استجده جداً وبهاء

ويمناً وامناً وجلس رئيس الرؤساء . ثلاثة أيام للهناء . وحضر عيد الملك وجماعة
الامراء . قال : وتوفي في هذه السنة عيد الرؤساء أبو طالب بن أيوب عن
٧٠ سنة وقد كتب للخليفة ١٦ سنة . وكانت حسنة سائرة وسيرة حسنة .

— ذكر عوارض عرضت وحوادث حدثت —

قال : كان ابن عم طغربك بالموصل وديار بكر وهو قتلش بن اسرائيل
بن سلجق . متسق الأمر . متسع الصدر . فاجتمع الباسيري وهو أبو
الحارث أرسلان وقریش ابن بدران العقيلي ونور الدولة ديس بن علي بن
مزید الاسدي على حربه . وأوقعوا به وبمجزيه . وكانت الوقعة بسنجار
ومضى قتلش الى همدان موليا فاتح طغربك من ذلك وتوجه الى
الموصل فاجفل الباسيري الى الرحبة فاذعنت لطغربك البلاد وواتاه
الادب . ووافاه العرب . وأطاعه الاميران ديس وقریش واتصل به أخوه
ياقوت بن داود فزادت قوته . وأرعبت بالناس صولته . وكان على أهل سنجار
حافداً فأتهم مثلوا بقتلي قتلش وتركوهم بالمراء وأظهروا الرؤوس على القصب
 . وأخذوا النفوس بالوصب . فسار طغربك الى سنجار واجتاحها
 واستباحها . وسلب أرواحها وأشباحها . الى أن شفع فيهم ابراهيم بن ينال
 فمقابله أن عني . وكف بعد ما اكتفى . قال : وفي هذه السنة مات أبو الملاء
 المعري .

ذكر عود السلطان الى بغداد وحضوره بين يدي الخليفة

قال : وعاد الى بغداد ظافر اليد وافر الايادي وجلس له الخليفة يوم السبت ٢٥ من ذى القعدة فركب دجلة مجريا طياره في تيارها . حتى وصل الى باب الرقة من السدة الشريفة ودارها . وقدم له فرس فركبها ودخل راكبا الى دهليز صحن السلام . وحسن الاسلام . ثم نزل ومشى والامراء بين يديه بغير سلاح يحشون الى حيث الجلالة مقيمة . والدلالة بالتمام قائمة . والرسالة ملائمة . والأمامة دائمة . والنبوة مستمرة الأثر . والمروءة مستقرة البعث . وستارة البهاء مسدولة على البهو . وظهارة الانتماء مجبولة بالزهو . والقائم بامر الله جالس من وراء الستر على سدة مشرفة مشرقة في ايوان منه للجلال ايواء . ودار أرضها للاقبال سماء . وعلى كتفه ويده البردة والقضيب النبويان . وهما بماء الطهر المحمدي رويان .

ولما قرب طغرىك من المقر الاشرف . والمرق المسجف . ورفعت ستارة البهو وانار وجه الخليفة كالقمر في سدفه السدة الشريفة أدي القرض . وقبل الأرض . ثم مثل قائما للقائم . ووقف لترقب ما يقف عليه من المراسيم . وصعد ريس الرؤساء الى سرير لطيف فقال له الخليفة اصعد ركن الدولة اليك ومعه محمد بن المنصور الكندري مفسرا ومترجما . ومعربا عنه ما كان معجما . ثم وضع طغرىك كرسي جلس عليه . وفسر عميد الملك له تفويض الخليفة اليه . ثم قام طغرىك الى مقام الرفعة . ومكان الخلعة . واحتجب بيز الاحتباء . واجتاب خلع الاجتباء . وتوج وطوق وسور وأفيضت عليه

سبع خلع سود في زيق واحد اتخذت له بها مملكة الاقاليم السبعة وشرف
 بجماعة مسكية مذهبة فجمع له بين تاجي العرب والجم . وسما بهما وتسعى
 بالتوج والمعتم . وقلد سيفاً مجلى بالذهب . فخرج في أحلى الحلى وأهيب
 الاله . وعاد وجلس على الكرسي . ورام قبييل الأرض ولم يتمكن
 لموضع التاج الحسروى . وسأل مصالحة الخليفة فاعطاه يده دفتين . فقبلها
 ووضعها على العين . وقلده سيفاً آخر كان بين يديه فقم له بتقليد السيفين .
 فقد ولاية الدولتين فخطبه بملك المشرق والمغرب واحضر عهده وقال هذا
 عهدنا يقرأه عليك محمد بن منصور ابن محمد صاحبنا ووديعتنا عندك فاحفظه
 واحرسه فانه الثقة المأمون وانفض في دعة الله محفوظاً . وبمين الكلافة
 ملحوظاً . قال ولايى الفضل صردر في عيد الملك من قصيدة

ملك اذا ما ألزم حث نجاده * مرحت بازهر شاخ العرين
 بأغر ما أبصرت نور جبينه * الا انتضاني بالسجود جبينى
 عمت فواضله البرية فالتقى * شكر الذنى ودعوة المسكين
 لو كان في الزمن القديم تظلمت * منه الكدوز الى يدى قارون
 قال: وفي سنة ٤٥٠ انتقض على طر بلك أمر الموصل فقد كان استخلف
 بها الاميرين أردم وياتكين فقصدهما البساسيرى وقريش بن بدران
 وحاصرها أربعة أشهر واخرجاهما بأمان فماد طر بلك الخروج الى الموصل
 لطب الذاء المعضل ونصب بنصيين . ضاربه فخالقه ابراهيم بن ينال خالماً
 للطاعة ومضى الى همدان ناوياً للمناوأة فسار السلطان وراعه من نصيين الى
 همدان . فى سبعة أيام ونفذ وزيره عميد الملك وزوجته خاتون الى مدينة السلام
 ثم كتب اليهما يستدعيهما فتسك بهما الخليفة . وتواترت الاراجيف

الخليفة . فتارة بوصول البساسيري وتارة بانهزام السلطان من أخيه
قال : وشرع عميد الملك الكندري في أخذ العهد بالملكة لانوشروان
ابن خاتون . وأنفق من ماله الظاهر والمخزون . فواقفا . ولا استوصفا .
وأرادت خاتون القبض عليهما فهربا فلما عميد الملك فاته انحدر الى الأهواز .
وأمن عند هزار سب بن بنكير بن عياض من الاعواز . وسارت خاتون
تطلب السلطان . ولحق بها ولدها أنوشروان . وذلك في سنة ٥١٤ هـ وفي هذه
الفترة تمت فتنة البساسيري ودخل الى بغداد سادس ذى القعدة سنة ٥٢٠ هـ
وخرج سادس عشر ذى القعدة سنة ٥١٤ هـ وكانت سنة سيئة كادت تكون
لنور الله مظنة فانه دعي الى الدعى بمصر مصرآ . ولم يجد الخليفة بمقره من
دار الامامة مقرآ . وحصل من تلك الحادثة بالحديثة . وتوالت منه الى
طائرلك امداد كتبه ورسله المستصرخة المستنيثة . وهو مشغول بحرب
أخيه . مهوم بما هو فيه . مناوب الجند . مسلوب الجد

قال : وصلب البساسيري رئيس الرؤساء وأبا محمد بن المأمون رسول
الخليفة في استدعاء السلطان طغرل بك وقتل أصحاب قريش بن بدران عبد
الرزاق أبا نصر احمد بن على واختل نظام الاسلام . واعتلت دار السلام .
وطالت غربة الامام . وهالت كربة الانام . الى أن استجد السلطان أولاد
أخيه الب ارسلان وياقوتى وقاورد بنى داود وهو بالرى فأنجده وأسفوه
واسعدوه فخرج بهم الى ابراهيم بن يثال بهفتان بولان فكسره ثم وجده
وقد وقف به فرسه فأسره وخفقه بوتر لوتره وحفقه واستراح من حث ذيله
اليه وعنفه وعاد سعدة وسعد عيده . وكشفت عدته وكثر عديده . وسار اليه عميد
الملك وجهزه هزار سب جهازه مثله . وأنزل عليه لفضله . ولم يبق لطغرل بك بعدها

ثم سوي رد الخليفة الى داره . واظهار قرده من سراره . ورحل نحو بغداد .
فأحس البساسيري بريحه . وأيقن بتيارده ووقع في تباريحه . ولما قربت المساكر
السلجية من بغداد بمد . وقامت قيامته وما قد وكان الخليفة بحديثه عانة
فطلبه قريش بن بدران من ابن عمه مهارش بن محلي فخاه . وما أباح حماه .
قال : وخرج مهارش بالخليفة الى تلغفر فقصده بدر بن مهمل ومعه الفقيه
ابن فورك . وقد تين به وتبرك . وهناك فاز من وحد . وهلك من أشرك .
ولما وصل السلطان الى بغداد سير الى الخليفة عظماء مملكته . وصدر وزارته
عميد الملك . وأنوشروان بن خاتون ومعهم المهدي والسرادق . والحيل السوابق .
ولما مثلوا بالخضرة الشريفة . وشاهدوا أحوال الخليفة . أراد عميد الملك أن
يكتب الى السلطان كتاباً بشرح الحال . وبوصف ما اجتلاه من المهابة
والجلال . ولم يكن بين يدي الخليفة دواة . ولا أداة للكتابة مسواة . فأحضر
من خيمته دواة عليها من الذهب الف وسبعمائة مثقال وأضاف اليها سيفاً
ذفرند وصقال وقال هذه خدمة محمد بن منصور أصغر الخدم . وقد جمع في
هذه الدولة بين خدمة السيف والقلم . وأحسن الخليفة قبوله وخطابه .
وتوج بخطه الشريف كتابه . ولما وصل الخليفة الى النهروان . وصل اليه
السلطان . وتباشرت بقدمه الاوطار والاطوان . واستأذنه عميد الملك في
حضور السلطان فأذن ودخل وقبل الارض سبع مرات وأتى من أدب
الخدمة الممكن . وقدم له الخليفة مخدة من دسسته وقال اجلس فقبلها وجلس .
وأنسه فأنس . وجل عميد الملك يفسر لهما ويترجم . ويرب ويمجهم .
والسلطان يعتذر عن تأخره وتراخيه . بما شغله من وتر أخيه . فهدعذره .
وهمد ذعمره . وقلده الخليفة سيفاً تبرك به وكان قد خرج منه من الادار

وذلك يوم الاحد الرابع والعشرين من ذى القعدة واستقر أن يدخل الى
الدار غداً . ويعيد بعوده عيش الاسلام رغداً ، فلما أصبح السلطان تقدم الى
باب النبوي وجلس مكان الحاجب فلما قرب الخليفة قام وأخذ بلجام بقلته .
ومشى في خدمته الى باب حجرته . وذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين
من ذى القعدة سنة ٤٥١ فمادت الانوار الى الطلوع . والانوار الى
المهوع . وحل الشرف في موطنه . وفاض الكرم من معدنه .

قال : وهرب البساسيري الى حلة ديس بن علي بن مزيد وقد ولت
سمادته فهو مطلق في زى مقيد . فسير السلطان وراه عسكراً مقدموه
سرهنك ساوتكين وأنوشروان وخمارتكين الطغراني وأردم وأنفذ معهم
ابن منيع الحجاجي فواقوا البساسيري وأوقفوه ووقع في فرسه سهم رمت
به فرمته . وحام حوله حماه فاحمته . وصادفت وجهه ضربة أدمته . وكش
كشستكين العميدي فأسره ثم اختز رأسه وحمل الى بغداد وعلق قبالة باب
النبوي وزالت بزواله نوبة النبوة الحالة بالحل النبوي واستقام الامر . وأرج
النشر . وتولت النماء . وتوالت النماء . وكان طغرل بك بواسطة يقدم بغداد في
صفر سنة ٤٥٢ فعمل له الخليفة في روشن التاج سباطاً . وأحضر عليه من أكابر
دولته رؤساء وأوساطاً . ثم عمل للسلطان في ثاني ربيع الاول سباطاً آخر .
فاضل به من قبله من الملوك وفاخر . وتوجه في خامس الشهر الى الجبل
ودخل عميد الملك الى الخليفة فأقامه في موضع الاصطقاء . ولقبه سيد الوزراء
قال : وفي سنة ٤٥١ احترقت بغداد دار الكتب التي وقفها الوزير شابوز
ابن أردشير بن السورين وأخذ عميد الملك ما سلم من النار وكان أحد الحريقين
وتوفيت في ذى القعدة سنة ٤٥٢ خاتون زوجة السلطان بزنجان

قال : ولما رحل السلطان استصحب معه ارسلان خاتون ابنة أخيه زوجة الخليفة فلما استقر بالرى . عزم على نشر ما كان من رغبته فى الطى . وسير قاضى الرى ابا ساعد صاعدا الى دار الخلافة رسولا . وضمن رسالته فى خطبة السيدة ابنة القائم سؤالا وسؤالا . وذلك فى سنة ٤٥٣ هـ فندب الخليفة للجواب ابا محمد ابن التميمى للاستغفاء . وانه لم تجر بهذا سنة الحلقاء ثم قيل له ان عدمت فى الاستغفاء الوسائط فاطلب صدقات ثلثمائة الف دينار واعمال واسط فلما وصل ابن التميمى أعلم عميد الملك بالحال فقال اما الاستغفاء فلا يحسن مع رغبة السلطان وضراعه فى السؤال . واما طلب المال الاعمال . فيتمتع لانه يفعل أكثر ما يدور فى خواطر الآمال . والصمت اولى من هذا المثال . فخلنى أخل سرك من هذا السر . ودعنى اتول هذا الامر . فقال ابن التميمى الامر اليك . والاعتماد عليك . والصواب ما تدبره والتدبير ما تستصيه . وانت اعرف بما تخاطب به صاحبك وبما تجنيه . فقال عميد الملك للسلطان ان القضية قد تسهلت . وان العقدة قد تحللت . وان المنية قد امكنت . وان البنية قد تمكنت

فأشاع السلطان خطبته . واذاع رغبته . وتقدم الى عميد الملك بالمسير مع ارسلان خاتون بنت أخيه زوجة الخليفة الى دار الخلافة واستصحب ما جاوز حد الكثرة من الدنانير المبدرة والجواهر المشتمة وسير معها عبدة من الاكابر وذوى العلى ومن عطاء الديلم فرامرؤ بن كاكويه وسرخاب بن كامرؤا وكان قد وزر للخليفة فى تلك السنة مجد الوزراء ابو الفتح منصور بن احمد بن دارست نفرج لتلقى الواصلين الى قرب النهروان والتقى هو وعميد الملك وهما راكبان ودخل عميد الملك بغداد وجلس على باب النوبى فلما وصلت خاتون سار فى خدمتها الى دارها ثم حضر بيت النوبة وأخذ دواة الوزير بن دارست وأنهى

حضوره وحضور الامراء الذين معه . وادى من الرسالة ماأودعه . فنفر الخليفة وغضب : وغاض ماء بشره ونضب . وقصد الامتناع ومنع المقصود . وسد الباب ولم يفتح الباب المسدود . فشرع عميد الملك يتكلم بكل فن . ويقنع بكل شن . ويقول ما بالكم افترحتم . ثم امتنعم . وفيهم ذهبتم الى أبعد غاية في الطلب ثم رجعتم . وقد خاطرتم عند السلطان بدى . وازلم بما قدمتم من التقدم قدى . فأخرج الى الهروان مضاربه وخلع الابهة السوداء ولبس البياض فاستوقفه ابن يوسف وقاضى القضاة . ليستزلوه من المضارة الى المراضاة . وما زالوا يتلطفان به حتى حضر بعد ذلك عند الخليفة دفتين ومنعه جماعة من الامراء والحجاب والقضاة والشهود . وبالنسبة في الخطاب وبذل المجهود . وذلك في جمادى الآخرة سنة ٤٥٣

وقال الخليفة « نحن بنو العباس . خير الناس . فينا الامامة والزعامة . الى يوم القيامة . من تمسك بنا رشد وهدى . ومن ناوأنا ضل وغوى » وكان الخليفة قد كتب الى عميد الملك نحن نرد الامر الى رأيك ونقول فيه على امانتك ودينك فقال عميد الملك أسأل مولانا أمير المؤمنين التطول بذكر ما شرف به الخادم الناصح شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه وسمت نفسه اليه وأراد أن يقول الخليفة ما يلزمه من الاجابة قطعن لذلك وغالطه وقال قد سطر في الجواب ما فيه كفاية . فانصرف عائباً . وذهب مناضباً . وراح راجلاً ورد المال الى همدان . وأخبر بالحال السلطان . وكان الخليفة قد كتب الى خمارتكين الطغرائى يشكو من عميد الملك والحاحه فكاتب في جوابه يشير بالرفق والتلطف . وينص على التثبت والتوقف . فنسب عميد الملك قطع الحديث في الوصلة الى مخامرة خمارتكين فتغير السلطان عليه فرهب وهرب . وتسرع

وتسرب . وكتب السلطان الى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن يوسف بالكتب الممض . والخطب المقض . وقال هذا جزائي من الامام القائم وقد قتلت اخي في طاعته . ووهبت عمري لساعته . وانقمت اموالي في خدمته . وطلبت فقرى لثروته . فاباله ما بالي برّد قولي . وقال برّدی . وصدّ قصدي . وقصد صدي . وكتب الي عميد الملك بان يقبض الاقطاعات ولا يترك للخليفة الا ما كان باسم الامام القادر قديماً . وان يكون لممارسة أسبابه مستديماً . فحضر المييد رئيس العرايين بيت النوبة وعرض الكتب . واعاد المتب . فخرج جواب الخليفة ما رجونا من ركن الدين ماصنع . وما توقعنا ما وقع . وبين يدك الاقطاعات فاقطعها . وقد ارتفعت الموانع فامنمها

قال : وخرجت السنة والوحشة القاتمة قائمة . وعين التائيس عن ازالة أسبابها نائمة . فلما دخلت سنة ٤٥٤ أجاب الخليفة في المحرم منها الى الوصلة وكتب وكالة باسم عميد الملك شهد فيها قاضي القضاة وابن يوسف بما سعهام من نلفظه بالاجابة . وضبطت الشهادات بالكتابة . وسير أبو الفناثم بن المحلبان في الرسالة . واستصحب كتاب الوكالة . فسر السلطان واحتفل . ووفى له القدر بما كفل . وعقد العقد في ظاهر تبريز بالخيم وكان رئيس العرايين بالمدسكر فأعيد الى بغداد في صحبة ابن المحلبان وسيرت على يده الهدايا وأصبحه برسم الخليفة ثلثين غلاما وجارية أتراكا على ثلثين فرساً وخادمين وفرساً بمركب ذهب وسرج مرصع بالجواهر الثمينة وعشرة آلاف دينار وبرسم السيدة عشرة آلاف دينار وتوقيماً يعقبوا وما كان لخاتون المتوفاة بالعراق وعقداً فيه ثلثون حبة كل لؤلؤة مثقال وبرسم عدة الدين خمسة آلاف دينار . وبرسم السيدة والدة المخطوبة ثلثة آلاف دينار وذلك في شوال من السنة فلما قرب

رئيس العراقيين من بغداد لثقله الناس واستبشروا بانتظام الالفة بين الامامة والسلطنة فلما وصل الى باب النوبي نزل وقبل الارض . ثم وصل الى باب ارسلان خاتون زوجة الخليفة وأدى من خدمتها القرض . وأوصل اليها ما حملة فتولت تسليمه . وباشرت عرضه بالمقام النبوي وتقدمه



ذكر سبب تولى ابن دارست وزارة الخليفة الى حين انصرافه



قال: كانت وزارته في سنة ٤٥٣هـ وسبب ذلك ان الخليفة لما عاد الى الدار عدم الوزير . وفقد من يتولى التدبير . فحدث رأيه بأنه يستخدم رجلا خداه بالحديث وهو ابوتراب الاثيرى وقد وجده أثير الاثر فلقبه حاجب الحجاب عز الامة . واستخدمه في الانهاء وحضور المواقب وتنفيذ الاوامر المهمة قال: وكانت بين ابن يوسف وبين الاثيرى وحشة حملت ابن يوسف على أن ذكر ابن دارست وقرضه وقال انه مع أماته يخدم بنير اقطاع ويؤدى مالا فبضت الكتب اليه وهو في شيراز باستدعائه . فقدم الجواب باستغفائه فخرج اليه ابن رضوان ومعه ظفر الخادم لاستدعائه . وقوى غرضه أبو القاسم صهر ابن يوسف فورد بقوة اعتزاه . وكتب عميد الملك عن السلطان الى الخليفة بأنه كاره لاستدعائه واستخدامه لاملاقه مع ثروة المال من الكفاية وإعدامه . فأجاب الخليفة انه مع وصوله الى واسط ومفارقتة وطنه لا يجوز رده . ولا يخلف وعده . وقدم بغداد ثامن ربيع الاول سنة ٤٥٣هـ ووصل الى

الخليفة في منتصف شهر ربيع الآخر وأُقيمت خلع الوزارة عليه . وأقيمت مع الوزارة الامور اليه . وبقي في المنصب منتصباً الى ربيع ذى الحجة سنة ٤٥٤ فانه صرف من تلك المراتب بل ترك الخدمة مستقياً . وورقة جاهه مستجيباً . قال : وكانت وفاته بالاهواز حادى عشر شعبان سنة ٤٦٧

ذكر حوادث في هذه السنين

قال : في سنة ٤٥٠ توفى القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري ببنداد عن مائة سنة وستين وكان صحيح السمع والبصر سليم الاعضاء يناظر ويفتى ويستدرك على الفقهاء وحضر عميد الملك الكندري جنازته ودفن بالجانب الغربي عند قبر الامام أحمد ابن حنبل

قال : وفي آخر هذه السنة توفى أفضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب الماوردي وقد كان في العلم ببحر آزا جراً . وفي الشريعة بدراً زاهراً . قال « بسطت القعة في أربعة آلاف ورقة (يعني الحاوي) واختصرته في أربعين » (يعني الاقناع) فبالهما من بحر من نضبا . وبدرين غربا . وطودين وقما . وجودين . أقلما .

قال : وفي سنة ٤٥٣ توفى قريش بن بدران وتولى ولده مسلم اماره بني عقيل وتوفى في شوالها نصر الدولة أبو نصر بن مروان بميفارقين عن نيف وثمانين سنة وفي يوم عرفة من سنة ٤٥٤ وزر نخر الدولة أبو نصر محمد ابن

محمد بن جهمير للخليفة وسبب ذلك انه كان مقبياً بميافارقين عند ابن مروان في جاه وعز أمره فانه فسمت همته وعلت سعادته . وكتب الى الخليفة يرغب في زيارته لوزارته وانه يبذل بذلاً ويحمل حمولاً فتدب اليه من دار الخلافة نقيب النقباء الكامل أبو القوارس طراد بن محمد الزبني وقرر ما أراد تقريره . ودبر ما شاء تديره . فخرج من ميافارقين عند انفصال نقيب النقباء ليودعه وسار معه . وفات ابن مروان ولم يلحقه لما تبعه . وخرج الناس عند وصوله الى بغداد لاستقباله ونزل بالحريم الطاهري ومكث ثمانية أيام حتى جاوز الكسوف . ونشق نشر العز المشوف . وتبين يوم عرفة فحضر بيت النبوة وقد أسعدته السعادة . واجتمع هناك من طبقات الناس من جرت به العادة . واحتفل له الخليفة بالجلوس وطلع نور اليمين من أفقه . وقرأ أمين الدولة أبو سعد ابن الموصلايا توقيماً خرج في حقه



— ذكر وصول السلطان طغرل بك الى بغداد —

قال رحمه الله: في محرم سنة ٤٥٥ توجه السلطان الى بغداد من أرمية
بازم الدخول على الزوجة وخرج نحر الدولة بن جشير و تلقاه بالقُص في
الموكب الاعظم والاهبة الباهرة . والاهبة الزاهرة . ونزل عسكره بالجانب
الغربي فزادت به الازية . وارتاعت الرعية . ووصل عميد الملك الى السدة الشريفة
مطالباً بالشريفة السيدة فوقت الاجابة في نقل الجبهة الى دار المملكة . ونزلت
منها في الهجرة الشرقية باليمن والبركة . وزفت في ليلة النصف من صفر وجلست
على سرير ملبس بالذهب . يحطف النواظر منه أشعة الذهب . ودخل اليها
وقبل الارض وخدمها وجلس بازائها على سرير ملبس بالفضة وقد كان انفذ
لها مع بنت اخيه زوجة الخليفة عمدين نفيسين ثمينين . وجاما خسروانيا من
ابرز العين . وفرجية من نسيج الذهب مكللة بالحب . وصارت نفسه لها
موكلة بالحب . وظهر منه بها سرور . وسره منها لشرفه ظهور . وبقي مدة
اسبوع يهب ويخلع . ويمتنع ولا يمنع . وخلع على عميد الملك وعلى الامراء .
وأفاض التشريفات على الاكابر والعظماء . فقد كان ورد منه الى بغداد
أبو علي ابن الملك أبي كالجار وهزارسب وفرامرزن كاكويه وسرحاب
ابن بدر بن مهملل فامنهم الامن أفيضت عليه الخلع الراثة . وأضيفت له
العطايا الالفة .

قال : وحضر عميد الملك في تاسع شهر ربيع الاول بيت التوبة . واستأذن

للسلطان في الأوبة . وان يستصحب السيدة والحاتون . وذكر أنهم بعد
مضيهم عن قريب آتون . فأذن في ذلك الخليفة وكانت ارسلان خاتون قد
حملت من اطراح الخليفة لها غماً . وأما السيدة فقد كره الخليفة مسيرها فلما
مضت أمضت بألم فراقها . وومضت لامل رفاقها . ولما انفصل السلطان عن
بنداد اذن لهذا راسب في المضي الى الاهواز . مرعياً بالاغزاز . فإنه مكث
على بابه ثلث سنين لا يؤذن له في الانفصال . ولا يؤذن اربه المفاقر
بالوصال . وعقد ضمان بنداد على ابي سعد القايني ثمانية وخمسين الف
دينار فاعاد كل ما أبطله رئيس المراقين من ضر الضرائب . وشر النوائب .
وقد كان هذا يتولى مطبخ عميد الملك وهو استاذ داره . فجري المقدور
برفع مقداره .

ذكر وفاة السلطان طغرل بك بالرى

قال : وفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة ٤٥٥ توفى طغرل بك بالرى
فاضطرب بهلكه الملك وبلغ عميد الملك نفيه وهو على سبعين فرسخاً من
الرى فقامها في يومين اشفاقاً من تشویش یم . وتشویر نیم . فوصل وهو
بحاله لم يدفن ولم يقبر فتولى دفنه وتوخی سكون الحلق وأمنه ومنع النملان
من شق الثياب . وأخرج جميع ما كان يملكه على المسكر حتى الدواب .
وأجلس سليمان بن داود ابن أخى السلطان وكانت أمه عنده ونصّ عمه عليه .
وقرر الامر له وفوضه اليه . فسكنت الممالك . وأمنت المسالك .

ذكريسة طغريك رحمه الله

قال : كان كريماً حليماً محافظاً على الطاعة . وصلاة الجماعة . وصوم الاثنين والجميس وكان يلبس الواذاري والبياض . وأشبهت أيامه بمحاسن سيرة الرياض . وكان لا يرى القتل ولا يسفك دمأ . ولا يهتك محرماً . وكان شديد الاحتمال . شديد الافعال . حكى عنه أقضى القضاة الماوردي أنه توجه في رسالة القائم اليه في سنة ٤٣٣ فكتب فيه كتاباً ضمنته الطعن عليه والقدح فيه . وغمط محاسنه وبسط مساويه . ووقع الكتاب من غلامى خفل اليه فوقف عليه ثم ختمه وكتبه ولم يتغير عن عادة اكرامى . وشيعة احتراى . قال : وكذلك ذكر أن بعض خواصه كتب ملطقات الى الملك ابى كالجبار . يطلعه فيها على بعض الاسرار . فوقمت في يده فاخفاها . وداوى هفوته بحلمه وشفافها . وكان كثير الصدقات حريصاً على بناء المساجد متعبداً متجبداً . ويقول استحي من الله أن أبى داراً ولا أبى مجنبها مسجداً

قال : وحكى عميد الملك أنه لما مرض قال انما مثلى فى مرضى مثل شاة تشد قوائمها لجز الصوف فتظن أنها تذبح فتضطرب حتى اذا أطلقت تفرح ثم تشد قوائمها للذبح فتظن أنها لجز الصوف وتسكن فتذبح وهذا المرض شد القوائم للذبح وكان كما قال . قال : وتوفى وعمره سبعون . قال : وحكى عميد الملك أن طغريك قال له رأيت منامى فى مبتدا أمرى بخراسان كأنى رفعت الى السماء وقيل لى سل حاجتك تعض فقلت ما شئ أحب الى من طول العمر فقبل عمرك سبعون . قال : قال عميد الملك وكنت سألت عن السنة التى ولد

فيها فقال السنة التي خرج فيها الخان القلائي بما وراء النهر فلما توفي حسبت
المدة فكانت سبعين سنة كاملة . قال : ولما وصل خبر وفاته الى بغداد جلس
الوزير نحر الدولة ابن جهير للعزاء به في صحن السلام في السادس والعشرين
من شهر رمضان

ذكر جلوس السلطان عضد الدولة الب أرسلان

أبي شجاع محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق

قال : توفي أبوه داود ببلغ سنة ٤٥٠ وقام مقامه ولما خطب لاختيه
سليمان بالري بعد وفاة طغرل بك مضى ارسمن وأردم الي قزوین وخطب
لألب أرسلان وبلغ عميد الملك ذلك فاقام الخطبة بالري لألب أرسلان وبعده
لسليمان . وأقبل عضد الدولة الب أرسلان من نيسابور يطوى السهول
والوعور . وأقبل اقبال الضيفم الضاري . وأقدم اقدم للخضم الجاري . وكان
ابن عم أبيه قتلش بن اسرايل في كردكوه وقد طمع في الملك . ولم يعلم
أن ذلك يورطه في الهلاك . فمارضه في جموعه فتقابلوا وتقاتلوا وأنجحت المعركة
عن قتل قتلش وكانت منيته في عشور الفرس به . وقتل الب أرسلان
من التركمان عدة وافرة . وحاز من أموالهم غنيمة ظاهرة . وساق
حتى وصل الى خوار الري ظافر الجند . ظاهر الجدة . ومعه وزيره نظام
الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي فتلقاه عميد الملك في حشمه
وخدمه . وكوسه وعلمه . وعمره وعجمه . وأجلسه على السرير . وجرى

على عادته معه في التدبير . فقام نظام الملك من استقلاله . واحتال مدة في قبضه واعتقاله . فلما كان في محرم سنة ٣٥٩ زار عميد الملك نظام الملك زيارة ايناس واعتذار . وترك بين يديه منديلا فيه خمسمائة دينار . فلما انصرف من حضرته . سارا أكثر العسكر في خدمته . فتخوف السلطان من عاقبة ذلك ومنعته . فأمر بقبضه وأنفذه الى مرو والروز ومكث سنة في الاعتقال بها ثم سيرا اليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم . وأخبراه بأن قتله أمر محتوم . وأنظراه حتى اغتسل وتوضأ وتاب ودخل لوداع أهله وخرج الى مسجد ف صلى ركعتين . واستسلم للقضاء المقدّر بالحين . ووجد النلظة من التلاميذ . وضرباه بالسيف وأخذوا رأسه وحملوه الى السلطان بكرمان وأماجنته فانها لقت في خرقة كانت لفافة البردة النبوية كان استهداها من الخليفة . وفي قيص ديتي من ملابس القائم الشريفة . وقبر في قبر أبيه بكندر . وكانت مدة وزارته ثمانى سنين وشهورا . ولم يزل موسم جاهه فيها مشهودا مشهورا . وكان عمره نيفا وأربعين سنة . وكانت محاسنه مفضلة وفضائله محسنة . لكنه لكنه تهوره وتهوينه . وغاية غية في سوء التدبير وتهوينه . قصرت يده الطولى عن استمالة القلوب الجافية . واستلانة الخطوب الآتية . قال : وكان يرجع الى حسب ونبل . وأدب وفضل . وهو الذى يقول

الموت مرّ ولكنى اذا ظمئت * نفسى الى المجد مستحل لمشربه
رئاسة باض فى رأسى وساوسها * تدور فيه وأخشى أن تدوربه
قال : وكان خصباً وسبب ذلك ان طفرليك أنفذه في ابتداء حاله .
وريمان اقباله . ليخطب امرأة فزوجها نفسه وعصاه . ولما ظفر به اقره على خدمته بعد ان خصاه . وكان حتى المذهب كثير التعصب لمذهبه والذهاب

مع عصبه . ثم فارق التمسب وجمع بين المصابتين . وحسن رأى اجتهاده
 فى الاصابتين . وكان سبب معرفته بطفر لبك انه لما ورد نيسابور افتقر الى
 كاتب يجمع فى العربية والفارسية بين الفصاحتين فدلّه عليه الموفق والدأبى
 سهل فظفر منه بشاب فى رأى كهل

❦ ذكر نظام الملك ❦

قال : ولما صرف عميد الملك وعزل . وتقل الى حيث اعتقل . استوى
 أمر نظام الملك وبرزغت بالسناء شمسّه . وبلغت المنى نفسه . وعلا علمه .
 وجرى قلمه . وترفعت وسادته . وتفرعت سيادته . ومضت مضاربته .
 ومضت سحائبه .

﴿ ذكر ماجرى لألب أرسلان بعد ملكه ﴾

قال رحمه الله: كان قاورد بن داود أخوه قد استولى على كرمان في زمان عمه طغرل بك في سنة ٤٤٧، وملك شیراز في سنة ٤٥٥ وقتل كل ديلمى بها وسفك وهدمك . وبطش وأوحش . وخالف أخاه ألب أرسلان . واعتصم منه بمدينة برد شیر بكرمان . فسار إليه ألب أرسلان وآمنه وأخذ قلعة اصطخر وأتاه مستحفظها بتحف فيروزج وكأس زمرد لم ير مثلاً . وشمل بلاد فارس أحسان الدولة وعدلها .

قال : ووصل إليه شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قریش في سنة ٥٧٠، فأكرم وفادته . وأكثرافادته . وأجرى في إقطاعه هيت والأخبار وحربى والسن والبوازيج ووصل شرف الدولة هذا إلى بغداد في شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٠ فتلقاء الوزير . فخر الدولة ابن جبير . وألقى من إقباله عليه خير ظهير . قال : وأوغل السلطان في بلاد الخزر من طريق نخجوان . وكثراً لعاة الإيما ن ونصره الانصار والأعوان . والجأ ملك الإبخاز بقراط ابن كيوركى إلى طلب هدمته . وعرض ابنته . فزوج بها وهادنه . وقبل بذله وامنه . ثم طلق الملكة الكرجية وزوجها لنظام الملك وزيره وسار وفتح بلد آنى وعنت له البلاد . واذعنت المباد . وسرى البأس وسرى الناس .

﴿ ذكر وصول شرف الملك أبي سعد محمد بن منصور بن محمد ﴾

﴿ مستوفى المملكة الى بغداد ﴾

قال : وكان وصوله الى بغداد في صفر سنة ٤٥٩ هـ وقد كان جليل النسب . جلي الحسب . وما تولى للسلاجقة مثله كراماً وخيراً وفضلاً كثيراً وغنى وغناء . وسنا وسناء . قال عماد الدين رحمه الله : وكان جدي لامي أمين الدين علي المستوفى رحمه الله كاتباً له في ريعان عمره . وعنفوان أمره . الى ان صار بمذكاتباً لخزانة السلطان محمد بن ملكشاه وكان يحدثني في صغرى وهو شيخ كبير عن شرف الملك بكل ما يدل على سيادة نفسه ونفاسة سودده . وذكر أنه كان مع فضله ذا تفضل . ومع اجماله ذا تجمل . وحكى أنه كانت له ثلثمائة وستون كسوة مكملة . مفضلة معزلة على عدد أيام السنة من الملابس الفاخرة فيلبس كل يوم ما يناسبه من أيام القصول الازمنة . فاذا خلع منها أو وهب . أعاد خازنه الى الخزانة عوض ما ذهب . فلما وصل الى بغداد حضر بيت الذوبة في ثاني عشر صفر فبشر بأقباله سفيراً وجه القبول . وسفر وخدم الخليفة بمصحف جليل وقطعة بلخش في مندبل . وأوصل كتاب السلطان في خريطة سوداء . وسر الأوداء . وساء الاعداء . قال : ووجد نواب نظام الملك الوزير قد شرعوا في بناء المدرسة فاغتم اقداره على الاقتداء وبني على ضريح ابي حنيفة رحمه الله بباب الطاق مشهداً ومدرسة لأصحابه . وأعلم بعملها ثوب ثوابه . قال : وكتب الشريف أبو جعفر البياضي على القبة

ألم تر هذا العلم كان . شتاً * فجتمعه هذا المغيّب في الالحد
كذلك كانت هذه الأرض مية * فأنشرها فضل العميد أبي سعد
قال : ووصلت ارسلان خاتون زوجة الخليفة الى بغداد في مستهل
جمادى الاولى سنة ٤٥٩ واستقبلها الوزير نجر الدولة على فراسخ . وجلا
نجر نجره السافر وطود وقاره الراسخ . ووقفت موكبها له عند القرب من
الالتقاء . وخدمها على ظهر فرسه بالدعاء . وأقبلت وقبلت . ودخلت وخلت
وعادت الى عادة السعادة . ووافت للزيادة . للأيفاء على الزيادة .



ذكر حوادث طواري وطوارق واتفاقات وموافقات



قال : في شهر رمضان سنة ٤٥٨ توفي محمد بن الحسين بن القراء شيخ
الحنابلة . وناهج طريقهم السابلة . وفي هذه السنة استتم بناء المدرسة النظامية
ببغداد وانتظمت أحوالها . وسكنها من حملة الشريعة رجالها . ودرس فيها
الشيخ أبو اسحاق الشيرازي رحمه الله فأحيى من العلم ما درس . وكشف من
الحق ما التبس . وشرح الأصول وفرعها . وأوضح الأدلة ونوعها . وفي
سنة ٤٦٠ توفي الشيخ عبد الملك أبو منصور بن يوسف وكان من أمثال
بغداد وأعيانها . والمرجوع اليه في نوائب الليالي وحدتها . وكان قد أجمع
الناس على صلاحه واستجادة رأيه واسترجاحه . ومن جملة خيراته انه تسلم

البيارستان المضدى وقد استولى عليه الخراب . وناب أوقافه بالنواب
فعدره وطبقه وأحسن فى أحواله ترتيباً . وأقام فيه ثلثة خزائن . وثمانية وعشرين
طبيعاً . قال : ورثاه أبو الفضل صرد بقصيدته التي أولها

لافلنا فى ذا المصاب عزاء * أحسن الدهر بعمه أم أساء

قال : وفى هذه السنة توفى أبو الجواز الواسطى وكان شاعر زمانه .
وفارس ميدانه . وفى هذه السنة توفى أيضاً أبو جعفر الطوسى بمشهد أمير
المؤمنين على عليه السلام وكان امام الشيعة وهو الذي صنف التفسير . ويسر
من أمورهم المسير . وفى جمادى الأولى من هذه السنة كانت زلزلة بأرض
فلسطين أهلكت الديار وألقمتها . وخربت مبانيها ونسقتها . وفيه توفى صاحب
ديوان الزمام أبو نصر محمد بن أحمد المعروف بابن جملة ورثاه أبو الفضل
بقصيدة منها

إن يكن للحياء ماء فما كان له غير ذلك الوجه مژنا

لطف نفسى على حسام صقيل * كيف صارت له الجنادل جفنا

ونقيس من النخائر لم يؤمن عليه فاستودع الأرض خزنا

قال : فرتب فى ديوان الزمام أبو القاسم بن نحر الدولة بن جبير . ولقب
عميد الرؤساء . واجتنب خلعة الاجتباء . وودحه أبو الفضل بقصيدته التي أولها
صَبَحَها الدمع ومسأها الأرق * كم بين هذين بقاء للحدق

وفى ثمانى عشر رجب ورد الى بغداد أبو العباس الخوافى عميدا . وقدم
بمخوافى جاهه وقوادمه حميدا . قال : وعزل الوزير نحر الدولة بن جبير ليلة
المرجان فى ذى القعدة بالتوقيع الامامى بمحضر من قاضى القضاة أبي عبد
الله الدامغانى فسار الى نور الدولة ديبس وهو بالملوجة فأواه . وأكرم مثواه

وقد كانت الوزارة تقررت لأبي ليلى والد الوزير أبي شجاع وهو كاتب
هزارسب بن بنكير فكتب للزيارة . وخطب بالوزارة . فورد الخبر بمرضه
يوم صرف ابن جبير . وبوفاته يوم وصوله الى القلوجة كما جرى به قلم
التقدير .

وفي سنة ٤٦١ عول الخليفة في الوزارة على أبي الحسن ابن عبد الرحيم .
فثار العوام وقالوا لاطاعة لنا من ظلمه بورود الجحيم . فهو الذي أتى بالساسير
وأعلن احداث الليالي . وقالت خاتون هو الذي نهب مالي . فصرف قبل التصريف
. ونكر قبل التعريف . ولم يزل الخليفة فيمن يستوزره يفكر حتى كاتب نور
الدولة الخليفة في معنى ابن جبير وذكر أنه خير وزير وظهير فاجاب الى
اعادته . الى عادته . ووصل في ثاني عشر صفر وجلس له في التاج . ووجد أمه
بالنجع مفتوح التاج . وقال له « الحمد لله جامع الشمل بمد شتاته . وواصل
الحبل بمد بياته » وفي تلك التوبة مدحه صردر أبو الفضل بقصيده التي مطلعها
قد رجع الحق الى نصابه * وأنت من دون الوري أولى به

وركب هو وولده في موكب واجتاز في جميع محال الجانب الغربي
وشر عليه أهل الكرخ اكياس الدراهم والدنانير وخرج اليه توقيع من انشاء
ابن الموصلايا . وتسنت له المراتب السنايا .

قال : وفي النصف من شبان هذه السنة احترق جامع دمشق ففجع
الاسلام بمصابه . وصلت النيران في محرابه . واشتمل رأس القبة شيئاً بما
شبت . وأكلت أم الليالي منها ما ربت . وطار النسر بمنحاح الضرام .
وكاد يحترق عليه قلب بيت الله الحرام . وكان الجحيم استجارت به فتسكت
بذيله . أو كأن النهار ذكر ناراً عنده فمطف على ليله . فوها له من مسجد

أحرقته نفحات أنفاس الساجدين . وعلقت فيه لمحات قلوب الواجدین .
وقبل أصابت حسنها الميون . وأتهم بذلك الولاية المصريون . ثم تداركه الله
بالإطاف والإطفاء . وأتاه بالشفاء . بعد الإشفاء . وقال حسب اصطلاء
واصطلاما . وحقق فيه قوله قلنا يا ناركونى برداً وسلاماً .

قال : وفى سنة ٤٦٢ أقبل كلب الروم فى جموعه وأخنى على من بمنجى
واجتاحها . واستبي حاميتها واستباحها . وعاد الى قسطنطينيته وقد ساءت آثاره
والدين قد تار تاره . وفى هذه السنة زوج نظام الملك بنته لمعيد الدولة أبى
منصور محمد بن ثغر الدولة الوزير بن جبير . وصارت له مصاهرته خير
ظهير . وكان عميد الدولة قد توجه الى السلطان بالرى فى رسالة فتلقى بكرامة
وجلالة . واستتمت له هذه المصاهرة . واستتبب المظاهرة . ووصل فى
رجب وفى صحبته رسل محمد بن أبى هاشم وقد كان بمهم الى السلطان وضمن
لهم إقامة الخطبة بمكة خرسها الله تعالى له وخلع الخليفة على عميد الدولة فى بيت
الثوبة فرفل فى ملابس الاصطناع . وجعل اليه الانهاء والمطالدة ومراعاة
الاقطاع . وقرئ له توقيع من انشاء ابن الموصلايا تمكن به من افتراء عذرة
الارتفاع وتصدر فى الوسادة . وتصدى لسيادة . وفى هذه السنة توفى
تاج الملوك هنارسب بن بنكير بن عياض . ونصر قائم باب السلطان الب
ارسلان . وهو خارج من اصفهان على قصد خوزستان . وكان قد علا أمره
وعرض جاهه وتزوج بأخت السلطان . واستظهر منه بالمكانة والامكان .
وتزوج بعده مسلم بن قريش بأخت السلطان زوجته . وتدرج الى درجته .
وفى هذه السنة ورد أمير الحرمین محمد بن أبى هاشم الحسنى الى بغداد على
قصد الوفادة الى السلطان فكتب الخليفة معه بعد ان شرته ورفعه . وعاد فى

محرم سنة ٤٦٣ من المعسكر السلطاني على باب آمد . وقد استفاد الزوائد .
وأفاد المحامد .

ذكر أحوال الب أرسلان بديار بكر والشام

قال رحمه الله : ولما توجه الب أرسلان إلى ديار بكر خرج إليه نصر بن مروان وتلقاه وحمل له مائة ألف دينار قبل احسانه وأحسن قبوله . وسأل عن قضاياه وقضى سوله . وقيل أنه قيل له إن هذا المال قد قسطه على البلاد فامر برده . وعف عنه وعاف وبيل ورده . وانتهى إلى آمد آمد من قصده . فوجد ثمرها ممتعاً . وسورها مرتفعاً . فسح السلطان للتبرك به يده على سورها وأمرها على صدره . ثم توجه منها إلى الشام وعبر بالرها . وتندر عليه أمرها . فحل بحلب وشرع في حصارها . وأحاط بأسوارها . وصاحبها حينئذ محمود بن صالح بن مرداس . وكان قد خطب في تلك السنة لبي العباس . وقد وجد لتشريف الخليفة خلف سروره جافلا . وأصبح في ملابس الجلال وخلع الجلال رافلا . وعنده من جانب الخليفة نقيب النقباء الكامل أبو القوارس طراد بن محمد الزيني فضايقه الب أرسلان وأخذ بمنزته . ووقف على طرفة . وخرج نقيب النقباء وسأل أن ظل الأكرام عنه لا يقلص . وأن ورد الانعام عليه لا ينقص . فأبى الرضى عن محمود إلا بدوس بساطه حامداً راضياً . ولنفوه عافياً . ولما طاعته وضراعه . متقاضياً . فلم يخرج إليه فاحتد القتال . واحتدم النزاع .

وطال الحصار . وطارأت الاحبار . ووقع في فرس السلطان حجر استشاط
من وقعه . وخاف محمود لما ضاق به الامر من اتساع خرق يعجز عن رقهه .
فخرج ليلا الى السلطان ومعه والدته منيمة بنت وثاب النميري يخضعات
ويضرعان وقالت للسلطان « هذا ولدى قد جئت بك به فافعل ما تحب . وقد
اعترفنا وعرفنا أن سلامتنا الا بسلك لا تسبب » قال : فعفا السلطان وصنح
وأعاد محموداً الى مكانه محمود المكانة . وقد ارتفع بالتواضع وتسمى بالاستكانة .
وأمنت الشبهاء . وسكنت الدهماء .



ذكر خروج ملك الروم وكسره وقصره وأسره

قال : وبلغ السلطان خروج أرمانوس ملك الروم في جمع لا يحصى عنده .
ولا يحصر مدده . فلما سمع هذا الخبر أخذ السير الى آذربيجان اذ سمع أن
ملك الروم أخذ على سمت خلاط . وكان السلطان في خواص جنده فلم
ير أن يعود الى بلاده ليجمع عساكره . ويستدعي من الجهات للجهاد قبائل
الدين وعشائره . فسير نظام الملك وزيره وخاتون زوجته الى تبريز مع اثقاله .
وفي في خمسة عشر الف فارس من نخب رجاله . ومع كل واحد فارس يركبه
وآخر يجنبه والروم في ثلثمائة الف ويزيدون ما بين رومي وروسي وغزني
وقفجاق وكرجي وأنجاني وخزري وفرنجي وأرميني . ورأى السلطان انه
ان تمهل لحشد الجموع ذهب الوقت وعظم بلاء البلاد . وثقلت أعباء العباد .
فركب في نخبته وتوجه في عصبته وقال « انا احتسب عند الله نفسي وان سمدت

بالشهادة فى حواصل الطيور الحضر من حواصل النسر الغبر رمسى . وان
 نصرت فما أسعدنى . وأنا أسمى . ويومى خير . من أسمى »
 ثم توكل على الله وسار بهذه المزيمة الماضية القوية . والصريمة الصارمة
 الروية . وكان متملك الروم قد قدم رؤساء مقدمين من الروس فى عشرين
 ألف فارس ومعهم عظيمهم الأصلب وصليهم الأعظم وخالطوا بلاد خلاط
 بالبلاء . والسلب والسباء . فخرج اليهم عسكر خلاط ومقدمهم صندوق التركى
 فصب صبح البيض على ليل التمتع المظلم . وخاض الى الزمشرأ نار الحريق
 المتضرم . وقتل منهم خلقاً كثيراً وقاد قائدهم فى القيد أسيفاً أسيراً . فأمر
 السلطان بجمع أثفه . وارجاء حتفه . وذلك يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة
 ٤٦٣ . وعجل الصليب السليب الى نظام الملك ليحمل انفاذه الى دار السلام .
 مبشراً بسلامة الأسلام . ونلاحق عسكر الروم ونزل على خلاط محاصراً .
 وأهلها وأثقون بالله الذى لم يزل لديه ناصراً . ونزل متملك الروم على منازل كرد
 فى انصار نصرانيته . وعمداء معبوديته . فأنزعج سكانها . وترعزت أركانها . وعلموا
 انه ليست لهم بما نزل بهم طاقة . وان دماءهم لاشك بسيوف الكفر مہرقة
 فخرجوا بأمان وسلموا البلد فيقتهم تلك الليلة عند بلاطه . تحت احتياطه . فلما
 بكر يوم الأربعاء سيرهم بأسرهم فى أسر وأردفهم بعسكر مجر وخرج ليشيعهم
 بنفسه . وهو فى جماعة حماه وحسه . ووافق ذلك وصول أوائل العسكر السلطانى
 ووقعت العين فى العين . واجتمعت على المجادلة اجادل الجمعين . وجرى الخيل .
 وجرف السيل . وانجبر من الأرض على السماء الذيل . وصحت على الروم كسرة
 اردتهم . وصدقهم عن مقصدهم وصدتهم . فأنكسوا الى مجثمهم فى غيهم
 وانكشفوا بما تم من عرس الاسلام بأنعمهم . وشرعت المنازكر دية يتسلاون

قتل الروم منهم من أدركه أجله ونجا الباقون . وعرف الروم أنهم الموت ملاقون .
 وعاد متملكهم الى مضاربهم وبات تلك الليلة والكوسات تصرخ . والبوقات
 تنفخ . ولما أصبحوا بكرة يوم الخميس وصل السلطان اليه ارسلان ونزل على
 المنبر ومعه من المقاتلة الأتراك خمسة عشر ألف فارس لا يعرفون سوى
 القتل والقهر . وكتب الروم نازل بين خلاط ومناز كرد في موضع يعرف بالزهرة
 وهو في مائتي ألف فارس من ذوي القلوب المدهمة والوجوه المكفهرة وبين
 العسكريين فرسخ . وبين مجرى التوحيد والتثليث برزخ . فأرسل اليه ارسلان
 رسولا . وحمله سؤالا وسولا . ومقصوده ان يكشف سرهم . ويتعرف أمرهم .
 ويقول للملك ان كنت ترغب في هدنة آتمناها . وان كنت ترهّد فيها توكلنا
 على الله في المزمة وصممناها . فظن انه انما راسله عن خور فأبى واستكبر . ونبأ
 وتسر . وأجاب بأني سوف أجيب عن هذا الرأي بالرأى . وانتهى عن النهي الى
 غاية النبي . فاعتباط السلطان وارتفعت بينهما المخاطبة . وانقطعت المواصلات . ولبث
 يوم الخميس الخميسان يمينان . ولداى المنون يمينان . والشمس تشكو حرّة
 ماتصاعد اليها من زفرات الاحقاد . وكأثما شعاها دم اراقته على الآفاق
 وخزات تلك الصماد . والطلائع . على المطالع . والمتايا . على الثنايا . والزم
 السلطان الى اللقاء مشرب . وللمضاء مستتب . فقال له فقيهه وامامه
 أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الحنفى « انك تقايل عن دين الله الذى وعد
 باظهاره فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال والناس يدعون لك على المنابر » فلما
 أصبحوا يوم الجمعة ارتجت الارض بالضجاج . وارتجت السماء بالمجاج .
 وقد لقحت الحرب العوان بالمهندة الذكور . والمسومة الفحول .
 والكماة الحماة يحمون حى الحمام ويحومون حول الدحول . ووقعت الطوالع

في الطوالع . وقرعت القواطع بالقواطع . وغنت الظبي ورقصت المران .
وما ل القنا وجالت الفرسان . ودارت الكؤوس : وطارت الرؤس . وما
فنتت التتيان تجور وتجول . والحرسان تصوب وتصول . الى ان دنا وقت
الزوال . ودان لمت الدين مقت النزال . وصدحت أعواد المنابر بالخطباء .
وصدقت نيات أهل الجمة للجهادين في اخلاص الدعاء . فنزل الب ارسلان
عن فرسه وشد للحزم حزاه . وأحكم سرجه وجامه . ثم ركب جواده . وثبت
فؤاده . وقوى قلبه . وسوى قلبه . وفرق أصحابه أربع فرق كل فرقة منهم في
كمين . وراح وله من الروح الأمين مجير أمين . ولما علم أن الكمين مكين .
وأن الضير شاهد بما يشهده من النصر ضمير . تلقى بوجه الحر حرا الحرب
واستعلى طم الطمن وضرب الضرب . وحمل متملك الروم بجمعه . وأخذ
ببصر الدهر وسعه . وأقبل كالسيل يطلب القرار . والليل يسلب النهار .
وثبت لهم خيل الاسلام ثم وثبت . وجالت وما وجلت . واستجرت الروم
الى ان صار الكمين من ورائها . ووقفت المنون بازائها . ثم خرج من خلفها
وذو الأقدام من قدامها . ووقعت نار البيض في حلقاء هامها . فأذنت
بانهزامها . وانكسرت كسرة لا تقبل جيراً . فطائفة لم تثبت للقتال ولم
تصبر وطائفة تثبت فقتلت صبراً . فأنجحت من أولئك الألوف آحاد . وما
سلبت من أعداء الاسلام اعداد . وملك الملاك ووقيد وقيداً . وأسر
ولم يجد لهم ميئناً ولا ميذاً . وركب المسلمون اكتافهم . وقتل الآحاد آلافهم
وطهرت الأرض من خبيثهم . وفرشت بجثثهم . وصارت الوهاد باسلاء القتلى
أحكام . والمروث من قصد القنا أنجماً

قال : وكانت مع الروم ثلاثة آلاف عجل تنقل الاحمال . وتحمل الاثقال

ومن المنجنقات التي تحملها منجنق هو أعظمها وأثقلها . له ثمانية أسهم ويمد فيها ألف ومائتا رجل ويحمله مائة عجل يرمي حجراً وزنه بالرطل الكبير الخلالى قنطار . وكأنه جبل له في الجو مطار .

قال : وشملهم بأسرهم القتل والأسر . وبقيت أموالهم منبوذة بالعراء لاترام . ومروضة لاتسام . وسقطت قيم الدواب والكراع . والسلاح والمتاع . حتى بدت بسدس دينار اثنتا عشرة خوزة وبدنار ثلاث ادراع . ومن عجب ما حكي في أسر الملك انه كان لسعد الدولة كوهرايين مملوك اهداه لنظام الملك فردده عليه . ولم ينظر اليه . فرغه فيه كثيراً . فقال نظام الملك وما يراد منه عسى ان يأتينا بملك الروم أسيراً . وذكر ذلك استهزاء به واستصناراً لقدره . واحتقاراً لأمره . فاتفق وقوع مملك الروم يوم المصاف في أسر ذلك الغلام . ووافق تصديق قول النظام . وخلع السلطان عليه وقال « اقترح من العطاء ما أعطيك » فطلب بشارة غزاة

قال : ودخل السلطان الى اذربيجان بملكه وأيده . والملك في قيده . وصيده . وهو أسيف جهده وأسير جهله . ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله . فانه خرج وفي نيته فتح الدنيا وحتف الدين . وقهر السلاطين ونصر الشياطين . ثم ذل بعد البرّ وهان . وتمرض للابتدال كل ماصان . ثم تعطف عليه السلطان وأحضره بين يديه وقال « اخبرني بصدقك في قصدك وما الذي قدرت لو قدرت » فقال : « كنت احسب اني أحبس من أسرته منكم مع الكلاب . واجعله في السبايا والاسلاب . وان أخذتك . أسورا اتخذت لك وقد ساء جورى ساجورا » فقال السلطان « قد عثرت على سرّ شرك فما ذاك الآن نصنع . ونحن منك بما نؤيته فينا لاتنفع » فقال « انظر عاقبة فساد

نيتي والمقوبة التي جرتها الى جريرتي « فرق له قلب اب ارسلان وأرسله وفك قيده ووصله وأفرج عنه معجلاً . وسرّحه . بجلاً . ولما انصرف الملك ارمانوس مأتوساً رمي ناسه اسمه . ومحو من الملك رسمه . وقالوا هذا من عداد الملوك ساقط . وزعموا ان المسيح عليه ساخط .

— ❦ — ذكر احداث حدثت في هذه السنين ❦ —

قال : في آخر سنة ٤٦٣ توفى أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المحدث الخطيب مؤلف تاريخ بغداد وكان علامة دهره . وعالم عصره . وفي سنة ٤٦٤ كان السلطان رتب لبنداد شحنة يقلل له آيتكين السليمانى ووردها في شهر ربيع الأول فلم يرض الخليفة بتوليته وذلك لأن ابنه قتل أحد النعمان الدارانية فصرفه السلطان بسعد الدولة كوهرايين ووصل الى بغداد في شهر ربيع الآخر . في جمع كالبحر الآخر . ووقع باقباله الاحتفال . ورتب لحفله الاستقبال . وخرج الناس على طبقاتهم لتلقيه . وجرى القدر بترقيه . وجلس له الخليفة في دار ارسلان خاتون وتهذب البلد بسياسة . وتمت الحماية بحميته . وورد في آخر شهر ربيع الاول الوزير أبو العلاء محمد بن الحسين وعليه خلع سلطانية وكان قد نبه السلطان الى خدمة الخليفة . لتقوية ما توهمه من الاسباب الضيقة . وخصه بالحب والحياء . ولقبه بوزير الوزراء . وأقطعه النصف من اقطاع الوزير خفر الدولة ابن جهير . فلما وصل تقدم الخليفة بأن لا يستقبل . ولا يحتفل

به اذا أقبل . ولا يقبل . فلما انتهى الى باب النبى نزل وقبل الارض وانصرف . ولم يرض للقبول وما تصرف . وأقام ببنداد أياماً ثم رحل وحلّ بالحلة المزينة مستريداً . وصرف أخوه أبو المالى عن الحجية فماد بعد ان كان حاجباً قريباً محجوباً بعيداً . وفى صفر من هذه السنة توجه عميد الدولة أبو منصور ابن الوزير بخلع امامية الى الب ارسلان بنيسابور ووكّل فى تزويج المقتدى بنت الب ارسلان المنعوتة بخاتون السفرية . فسفروجه وجأته بهذه السفرة الصفرية . فلما وصل تلقى بالعطاء واستقبل وتقدم بانزاله فى المرتبة الكبيرة . وترتيب الانزال الكبيرة . وعقد المقدم المقتدى على بنت السلطان فى أسعد ساعة . وأحسن عادة . وكان يوماً مشهوداً أزهر . قد ترفيه الملوك الجوهر . ولما عاد عميد الدولة جعل على اصفهان المبور . فلقى من ملكشاه ولد السلطان الحب والحباء والجور . وأفاض عليه الخلع الامامية فلبسها . وأحكم عنده قواعد الامور فى المواقب وأسسها . وكان ملكشاه قد عاد من شيراز وهو سائر الى والده . وورد المملكة منه ظمآن الى وارده . وعاد عميد الدولة الى بنداد فى ثامن عشر ذى الحجة . بادى الحجة هادى المحجة



ذكر وفاة الب ارسلان في سنة خمس وستين وأربعمائة .

قال : في أول هذه السنة توجه السلطان الب ارسلان لقصد بلاد الترك . وقد كُتبت له أسباب الملك . في أكثر من مائتي ألف فارس ومد على جيحون جسرًا . كما خط الكاتب على الطرس سطرًا . وكانت مدة عبور العسكر عليه شهرًا وكان قد قصده شمس الملك تكين بن طتقاج . والاقبال قد بلغ السكالم وأوضح المنهاج . وانه في سادس شهر ربيع الأول بكر وهو في الصدر الارحب والباع الاطول . والسكالم الاجهى والبهاء الاكمل . وهو جالس على سرير سروره . لابس حير جبوره . وسطا سماطيه المدودين من فرائده مفريده منظومان . والبأس والنائل لاوليائه وأعدائه مقسومان . والعظماء واقفون والموقف عظيم . والكرماء قائمون والمقام كريم . والهيبة مالكة . فحل اليه أصحابه مستحفظ قلعة يقال له يوسف الخوارزمي وهو يرسف في قيده . ولم يدركه يسرف في كيده . وجعل الى قرب سريره وهو مع غلامين . وقد شدا يديه اليدين . فتقدم بان يضرب له أربعة أوتاد لتشد اليها أطرافه . ويجعل على تلك الهيئة اثلافة . فقال : « مثل يقبل هذه القتلته ويلقى هذه المثلة » فحصى السلطان واحتد وأخذ قوسه وسهمه . وترك رأيه وحزمه . وأمر بحل رباطه . وان يحل عن احتياطه . وقال للغلامين خلياها ورماء . فأخطأه وكان على تحت فوئب ونزل فوق على وجهه في عنقه فجاءه يوسف فجاءه فوجاه بسكين في خاصرته . وكان سعد الدولة كوهرايين واقفاً فجرحه يوسف جراحات ونهض السلطان الى خيمة أخرى مجروحاً فاما يوسف

الحوارزى فانه ضربه فراش أرمنى بمرزبة على أم رأسه . فوفت الضربة بقطع أنفاسه . وأما الب ارسلان فانه أحضر وزيره نظام الملك فاوصى به واليه . وعول فى كفاية المهبات وكف الملمات عليه . وجعل ولده ملكشاه ولّى عهده . وفوض اليه الملك من بعده . وخص ابنه اياز بما كان لأبيه داود ببلغ وعين له خمسمائة الف دينار وقال له اقصد نصرة أخيك وجعل القلعة بها للملكشاه وقال له ان لم يرض فضيق عليه واستمن على قتاله . بما عين له من ماله . ووضى لأخيه قاورد بك بن داود بأعمال فارس وكرمان . وأجرى له بتمين شئ من المال والأحسان . وانتقل الى جوار ربه فائزاً بالشهادة . حائزاً للسمادة . وكان مولده فى سنة ٤٣٤ واستشهد وقد بلغ من العمر أربعين سنة وملك تسع سنين وشهوراً .

قال : وحكى انه قال حين حينه . وقد عاين الموت بعينه . ما كنت قط فى وجهه قصدته . ولا عدوا أردته . الا توكلت على الله فى أمرى . وطلبت منه نصرى وأما فى هذه النبوة فاقى أشرفت من تل عال . فرايت عسكري فى أجهل حال . فقلت اين من له قدر مصارعتى . وقدرة . ما رضيت وانى اصل بهذا السكر الى أقصى الصين . فخرجت على منيتى من الكمين . قال : وكان الب ارسلان بالبرية باراً . ولم يزل احسانه عليهم من داره . داراً . وكان يطبخ كل يوم خمسون رأساً من النعم فى مطبخه للقراء وذلك سوى الراتب المعين للسامط برسم السكر والأمراء . وكان اذا أمر ببناء أو عزى بأن يكون أسمى ببيان وأسقمه . وأشرف مكان وأشرفه . ويقول « آتارنا هذه تدل على علو هممتنا . وو فور نعمتنا » وخلف عدة من البنين وهم ملكشاه وتكش وأياز وتتش وأرسلان أرغون وبورى برس

﴿ ذكر جلوس السلطان جلال الدولة ابى الفتح ملكشاه بن ﴾

﴿ الب ارسلان على سرير الملك ﴾

قال : ولما دفن الب ارسلان عند قبر ابيه بمرو اقام ابنه اياز ببلغ وعاد ملكشاه بالمساكر . وسمع قاورد بوفاة اخيه الب ارسلان فصار للرئ طالباً وفي الملك راغباً . فسبقه اليها ملكشاه وأمن ما كان يخشاه . وصار منها قاصداً للقاء قاورد ورده . وقل حده . فالتقوا بقرب همدان رابع شعبان . وكان عسكر ملكشاه الى عمه مائلا . وبقوله قاتلا . فلما تلاطم البحران . والتقى الجمعان . حمل قاورد على مبينة ملكشاه وجعلها دكا . وأوسمها فتكا وحمل شرف الدولة مسلم بن قريش وبهاء الدولة منصور بن دؤبى ومن معها من العرب والأتراك على مبينة قاورد فدكوها وخرقوها . وغازا أصحاب ملكشاه ماصح من كسر عمه وقالوا ما عرتنا هذه الا كدارالا من الاعراب والاكرا . وصدونا بقصدهم عن مراد المراد . فضى المنهزمون من أصحاب ملكشاه الى حلل العرب ونهبوها . وشنوا عليها النار وسلبوها . وجاء رجل من أهل القرى الى ملكشاه وأخبره بأن عمه فى قرية بقرية . وقد انفرد عن حزبه . فصار اليه وأخذه . وأمضى فيه حكم بأبيه وأنفذه وتقدم الى كوهراتين بخفته وهو يتضرع ويتضور . فخنقه غلام أرمنى أعور قال : وملك ملكشاه . وجاءه الجاه . وحمل أمر امرائه بحمله . وحكم برضاهم وأرضاهم بحكمه . وخلع على نظام الملك ورد به الملك الى النظام . وعول

عليه في تولى وزارته ومناصبه العظام . وأعطى سر هنك ساوتكين أعمال قاورد
 عمه ولقبه بلقبه عماد الدولة وولاه ولاياته . وخصه بمناجيقه وكوساته .
 وأجزل لامراء العرب والأكراد . نصيب الاصطفاء والاصطناع . ووفر
 حظه من التشریف والاطلاق والاقطاع

ودخلت سنة ٤٦٦ وورد في صفر منها سعد الدولة كوهرايين الى بغداد
 . جلس له الخليفة القائم بأمر الله في ثاني صفر . وقام عدة الدين المقتدى على
 رأسه وهو ابن ثمانى عشرة سنة وسلم الخليفة الى كوهرايين عهد الخلافة بعد
 ان قرأ أوله . ومتضمنه انه جعل عليه في الملك معوله . وكان اذنا عاملاً للخاصة
 والعامّة في الوصول . ولم يمنع في ذلك اليوم أحد من الدخول . وورد الخبر
 بوفاة أياز أخى السلطان وكفى أمره كما كفى أمر عمه . قلبه من شغفه واستراح
 من همه . قال : وفي هذه السنة غرقت بغداد ولم يسلم سوى دار الخليفة .
 وما في جوار سنتها الشريفة . وغرق مشهد باب التين وانهدم سوره .
 وخرب معموره . فأطلق له شرف الدولة مسلم بن قريش الفدينار وأعيدت
 عمارته . وأمكنّت زيارته // وورد مؤيد الملك أبو بكر عبيد الله بن نظام
 الملك والماء طام . وغارب دجلة ذو سنام سام . وقد انسدت افواه الطرق
 فترك استقباله للضرورة المأثرة . ودخل على غير الصورة اللائقة . فانه ركب
 في سفينة وانحدر الى باب المراتب ولما حاذى التاج قام اداء للواجب ولما قرّ
 في منزله ظن ان الخليفة مانباً باستقباله الا وقد نبا عن تقبله . ومضى اليه
 النقيان وقاضى القضاة ولم يوصلهم بل ردم . وصدفهم وصدم . وقال : « جرى
 بي تهاون وعلى تماون » فأنفذ الخليفة اليه من أوضح له العذر . واستخلص
 منه بانفاذ الخلع اليه الحمد والشكر . واستأذن الخليفة في الركوب بباب المراتب

فأذن له وأُملي له . في كل نجاح أمله . قال : وورد عميد الدولة أبو منصور بن الوزير نغر الدولة من الرى مشمولاً من جلال الدولة ملكشاه بالاجلال . وترك استقباله لما اتفق في حق مؤيد الملك من ترك الاستقبال . وفي آخر هذه السنة توفي زعيم الملك أبو الحسن بن عبد الرحيم في الحلة المزيديّة . وكان مرشحاً للمناصب السامية السنية //

— ذكر وفاة القائم بأمر الله رضى الله عنه وتولى المعتدى بأمر الله —

قال : وكانت وفاته ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة ٤٦٧ وقد كان زرع عمره استحمده . فما اقتصد . في ألم ألم واقتصد . ونام منفرداً فانفجر فصاده لما غلبه رقاده . وخرج منه دم كثير أقوت منه قواه وانتهى والضعف قد تضاعف . والحمام قد شارف . فطلب ثقاته واستحضر عدة الدين وأودعه وصايا يكون بها عن القائم القائم . واحضر النقيين وقاضي القضاة والقاضي أبا الحسن بن البيضاوي والقاضي أبا محمد بن طلحة الدامغانى والوزير قائم والقائم مستند في شباك . وهو في سكون يشعر بما ليس بعده من حراك . وقال لهم « اشهدوا على ما تضمنته هذه الرقعة التى كتبت فيها سطرين بخطى » ثم قضى نجم وتولى أمير المؤمنين المعتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن النخيرة أبى المباسم محمد بن القائم وبويع يوم وفاة جده وجلس في دار الشجرة على كرسى بقميص أبيض وعمامة بيضاء لطيفة وفوقها طرحة قصب درى

ودخل الوزير نغر الدولة أبو نصر وولده عميد الدولة أبو منصور واستدعى
 • ثويد الملك بن نظام الملك والتعيين وقاضى القضاة وحضر أعيان الدولة
 من ذوى المراتب والكفاة . وهناك نور الدولة ديس بن علي الزيدى وولده
 بهاء الدولة وأبو عبد الله محمد بن حماد الاسدي وبانيوه . وعاقده على الطاعة
 وشايدوه . وصلى بالناس المصر في صحن السلام وانتموا به وصلى على القائم
 وأغلقت الأبواب ببغداد ثلاثة ايام لمقد المائتم وجلس نغر الدولة الوزير وابنه
 عميد الدولة للمزاء ثلاثة ايام ومضى عميد الدولة الى السلطان ملكشاه لأخذ
 البيعة عليه . وحمل عهده اليه . وعاد الى بغداد في سنة ٤٦٨ وأوصله الخليفة
 الى مجلسه الأشرف . وخصه باكرامه اللطف . وكان قد سير من الديوان
 القاضي أبو عبد الله محمد بن محمد البضاوي في صحبة • ثويد الملك الى والده
 نظام الملك ليسيروا الى غزنة ويأخذ البيعة على صاحبها فماد مصحوباً
 بالجددة قد آترب وفرغ الرب . ولما سكن الى الثراء سكن الى الثرى . وتوفى
 في شهر ربيع الأول من سنة ٤٧٠ وكان فاضلاً على مذهب الشافعي
 ذكياً زكياً

قال : وفي سنة ٤٦٨ جذ الجذب وحلّ المحلّ . وحطّ للقحط الرحل .
 وأقوت القوة وعدم القوت حتى كفى الله القمة . وكشف الملة . قال : وفي
 هذه السنة تسلم نصر بن محمود صاحب حلب قلعة منبج من الروم وخلصها
 من أيديهم . وانقذها من تيديهم . وفي سنة ٤٦٩ تزوج علي بن أبي منصور
 فرامر بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه بأرسلان خاتون بنت داود التي
 كانت زوجة القائم وكانت فارقت ببغداد حين عرفت بوفاة أخيها الب أرسلان
 وخرج عنها وتوفى بعد ذلك القائم عنها فاستبدلت عن القرشي دليلاً . وعن

الامام أمياً . وفي هذه السنة ورد الى بغداد الشيخ الامام أبو نصير بن الاستاذ
ابن القاسم القشيري رحمه الله حاجاً . وأوضح بعلمه منهاجاً . وجلس للوعظ
في النظامية . وفي رباط الصوفية . وأبدى شعار الاشعرية . يزعم أنه
يحقق أدلة الموحدة للنزهة . ويبطل شبه المجسمة . فثارت الفتنة من العامة
وقصدت الحنابلة سوق المدرسة وقتلوا جماعة . وأظهروا شناعة . وكان
قد ورد مؤيد الملك بن نظام الملك من المعسكر فلم يطق دفعاً . ولم يستطع
منعاً . فنسب نظام الملك الى بنى جهير الجهر بتلك الفتنة . وحنا أحناءه
لهم على الاحنة

واتفق وفاة ائمة نظام الملك زوجة عميد الدولة في شعبان سنة ٤٧٠
ودفنت بدار الخلافة اكراماً لايتها . ولم تجر العادة بالدفن فيها . وانقطع
ما بين النظام . وبينهم من النظام . وأذنت عمرى النسب بالانقسام . ووصل
في المحرم سنة ٤٧١ بشحنة بغداد سعد الدولة كهرائين وضرب على بابه
في أوقات الصلاة الثلث الطبل . وكان قد منع من ذلك وقيل لم تجربه
عادة من قبل . وأعقب ذلك عزل الوزير ابن جهير وذلك أن كهرائين
أوصل عند وصوله كتاباً من السلطان الى الخليفة يتضمن عزل الوزير فقيل
في جوابه أنه ليس بوزير وإنما الوزير ولده عميد الدولة وقد قصد نحوكم
بالمعسكر . ووالده ينوب عنه الى أن يحضر . وكان عميد الدولة بعد وفاة
زوجته خرج الى المعسكر وعرف أن كهرائين إن صادفه في الطريق
ضدّه وصرفه . فمرج بالجلال . وأتبع الترحال بالترحال . وجاء كهرائين
في النصف من صفر الى باب الفردوس وهو على حالة من السكر فطلق
دونه الباب وربط هناك خيله . وأقام هناك يومه وليله . وقال « لا بد لي

من الوزير . ولا مهلة في التأخير ، فلما عرف نحر الدولة الحال قدم السؤال وطالب الاعتزال . فأذن له أن يعتزل . ويلزم المنزل . وخرج الى كهراتين توقيع فيه لما عرف محمد بن محمد بن جهر ما عليه جلال الدولة ونظام الملك من المطالبة بصرفه سأل الأذن في ملازمة داره الى أن يكتب في أمره . ولم يزل عميد الدولة يستعطف نظام الملك حتى عطف . ويتألف قلبه حتى انقلب الى ما ألف . والزومه تقلد منه . وزوج ابنته بانه . وكتب الى كهراتين باعادته الى الخدمة . وزيادته في الحرمة . وسأل الخليفة الانضاء عن ذلته . ولما وصل الى بغداد عزله الخليفة عن خدمته . ونقله الى منزله عن منزله . ورتب الوزير أبا شجاع محمد بن الحسين ثابيا في الديوان وجلس بنير مخدة ثم توزر عميد الدولة ابن جهر للخليفة المقتدى في سنة ٤٧٢ وأفيضت عليه خلع آذنت بتجليله . وتولى أمين الدولة ابن الموصلا بإقراء توقيع خرج في حقه بتجليله .

قال الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الكاتب الاصفهاني رحمه الله : ولما كان الكتاب الذي صنعه أنوشروان الوزير عربته وادبته وقد انتهت في هذا الموضع الى مفتحه وصلت هذه الجملة التي ذكرتها به وجعلتها طريقا الى دخول بابي لكنني عند انقضاء أيام كل سلطان أوردت حوادث تجددت في عصره . وأخل أنوشروان بغير حديثها وذكره . ومن هاهنا يقع بما بدأ به البداية . وتكمل بتريبه والاعراب عنه العناية .

✽ أيام السلطان جلال الدنيا والدين أبي الفتح ملكشاه ✽

✽ ابن الب ارسلان يمين أمير المؤمنين ✽

قال : عقدلوا سلطنته في أيام أمير المؤمنين القائم بأمر الله رضى الله عنه وعصر خلافته قد قارب انتهاءه . وشارف انقضاءه . ولهج عند وفاته بهذين البيتين .

سلاماً عمر وكيف بات أسيرها * تفك الأسارى حوله وهو موثق
فان كان مقتولاً في القتل راحة * وان كان ممنوناً عليه فطلق
وتولى بعده الخلافة أمير المؤمنين المقتدى بأمر الله أنار الله برهانه
وبايه هذا السلطان . قال : وكان ملكشاه ملكاً سيرته العدل . وسريته
الانصاف والفضل . شجاعاً مقداماً صائب الرأى والتدبير . حقيقاً بالنتاج
والخاتم والسرير . أيامه في أيام آكل سلجق كالواسطة في المقد قد تناسبت في
الحسن بدايته ونهايته . وتناسقت في الاقبال فاتحته وخاتمته . ولم يتوجه
الى إقليم الافتحه . وقهر العدو وفدحه . ولما توجه الى الشام وانطاكية
بلغ الى حد قسطنطينية وقرر الف ديناراً أحمر يحمل الى خزانته من تلك الولاية
ووضع في النواحي التي فتحها من الروم خمسين منبراً إسلامياً وعاد الى الرى
وقصد فتح سمرقند ولم تزد مدة هذه الاعمال على شهرين

ولما وصل سمرقند نزل عليها وحاصرها فظفر بخاتها وهو في موضع سلطانها
وجرت له حروب عظيمة هزمه فيها وكسره . وظفر به وأسره . فخل غاشية

السلطان على كتفه وسار في ركابه من موضع سرير افراسياب الذي كان ملك ملوك الترك الى موضع سرير ملكه وحمله أسيراً الى العراق . تحت الوثاق ثم من عليه بالاطلاق . وأنعم عليه باعادته الى ملكه . واعادته نظمه الى سلطه . وتوجه السلطان في السنة الأخرى الى أوزكند ووصل حل انطاكية اليها وانقاد له ملك الترك ووصل به الى اصفهان ثم أكرمه وشرفه وأعادته الى مقره من بلاد الترك وهذه السعادة كلها انما تسرت بسعادة الوزير الكبير خواجه بزرگ قوام الدين نظام الملك ابى على الحسن ابن على بن اسحاق رضى أمير المؤمنين الوارف الظل الوافر الفضل . وكانت وزارته للدولة حلية . وبهجته للمملكة زينة . كأنما خلقه الله للملك والجلالة مصوراً . وكأن الاقبال له معلما والظفر مسخراً . قد مشى في ركابه سلطان العرب مسلم بن قريش وقبل حافر مركوبه وكانت ملوك الروم وغزنة وما وراء النهر في ظل حمايته . وكف رعايته . وكانت ملوك الاطراف يقبلون كتفه اجلالا وتشريفاً ويتشرفون بلبس خلعه وكانوا انجاداً له على أعدائه وجرّ الجحافل الثقيلة . والمساكر الكثيفة . وبقي في صدر الوزارة ثلاثين سنة . قال كنت في مبتدأ أمرى في خدمة الأمير بيير أسفهلار خراسان فأشخصني اليه من موضع كنت متولياً له تحت التوكيل وانا متوجه نحوه خائب الامل منكسر القلب على فرس حرون هنبل يتبنى سيره وأنا في ضرة شديدة من ركوبه فينا انا سائر اذ ظهر من صدر البرية تركاني على فرس يجري جرى الماء وهوان قمتني مكلماً كنت فيه من ألم القلب ان أكون راكباً مثل ذلك الفرس فتقرب التركاني مني واختلط بالموكلين بي وكلهم ثم التفت الى وقال هل لك ان تهايض فرسك بفرسى فحسبت انه يهزأ

بى وقت له يجوز مبعيا انا فيه من هذه الحنة ان لا تسهرى بى فنزل فى الحال
عن فرسه واعطانيه وأخذ فرسى واليوم منذ ثلاثين سنة اتمنى لقاء ذلك التركمانى
وأبشال عنه ولا أجده .

قال : وكانت علامة نظام الملك الحمد لله على نعمه . وكان مؤيدا موفقا
من جملة البشر . مخصوصا من الله بالنصر والفتح والظفر . والدهاء ساكنة
فى أيامه . وأهل الدين والعلم والمضائل راتون فى انمامه

قال : وفى أيامه نشأ للناس أولاد نجباء . وتوفر على تهذيب الابناء
الآباء . ليحضروهم فى مجلسه ويحفظوا بتقريبه فانه كان يرشح كل أحد لمنصب
يصلح له بمقدار ما يرى فيه من الرشد والفضل . ومن وجد فى بلدة قد تميز وتبحر
فى العلم نبى له مدرسة ووقف عليها وقفا وجعل فيها دار كتب . قال : وكأنا
عناهُ أبو الضياء الحمصى بقوله

وما خلقت كفاك الا لاربع * ومافى عباد الله مثلك ثانى ح

لتجريد هندى واسداء نائل * وتسهيل أفواه وأخذ عنان

قال : وظهر من تديره فى سياسة الممالك ما قاله سليمان بن عبد الملك

عجبت لهؤلاء الاعاجم ملكوا الف سنة فلم يحتاجوا الينا ساعة . وملكنا

مائة سنة لم نستغن عنهم ساعة قال : وفى عصره نشأ طبقات الكتاب

الجياد . وفرعوا المناصب . وولوا الكراتب . ولم يزل بابهم مجمع الفضلاء . وملجأ

العلماء . وكان نافذا بصيرا يتب عن أحوال كل منهم ويسأل عن تصرفاته

وخبرته ومعرفته فن تفرس فيه صلاحية الولاية ولاه . ومن رآه مستحقا

لرفع قدره ورفه واعلاه . ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه . ورتب له ما يكفه

من جدواه . حتى ينقطع الى افادة العلم ونشره . وتدریس الفضل وذكره .

وربما سيره الى اقليم خال من العلم ليحلى به عاطله . ويحيى به حقه ويميت
 باطله . يتولى الوزارة والملك قد اختل نظامه . والدين قد تبدلت احكامه .
 في اواخر دولة الدليم واثائل دولة الترك وقد خربت الممالك بين اقبال هذه
 وادبار تلك وقد اقفرت البلاد واقوت . واستولت الايدى العادية عليها
 وقوت . وقامت النوائج على النواحي ، والنواذب على النوادي . فاعاد الملك
 الى النظام . والدين الى القوام . وعمر الولايات . ووالى العمارات . وكانت
 المادة جارية بجميعة الاموال من البلاد . وصرفها الى الاجناد . ولم يكن
 لأحد من قبل اقطاع فرأى نظام الملك أن الأموال لا تحصل من البلاد
 . اختلاها . ولا يصح منها ارتفاع لاعتلاها . فصرفها على الاجناد اقطاعاً .
 وجعلها لهم حصلاً وارتفاعاً . فتوفرت دواعيهم على عماراتها . وعادت في
 أقصر مدة الى أحسن حالة من حليتها . وكان للسلطان نساء يدلون بنسبه .
 ويدلون بسبيه . ويستطيون بأنهم ذوو قرابته فقصر أيديهم . ومنع تعديهم .
 وساس جمهورهم بتدبيره ونظم أمورهم بسياسته . وربما قرر لواحد من الجند
 ألف دينار في السنة فوجه نصفه على بلد من الروم ونصفه على وجه في أقصى
 خراسان وصاحب القرار راض . وليقينته بحصول ماله غير متقاض . وتوقيعه
 مأمون التوقيع . وتوقيعه لسهم السداد مقرون بالتوقيع . فقسم الملك الذي
 حازه السيف بقلبه أحسن تقسيم . وقومه أحسن تقويم . وكان ينظر في
 الاوقاف والمصالح ويرتب عليها الامناء ويشدد في أمرها . ويخوف من
 وزرها . ويرغب في أجرها . ويكلها الى الأمانة . ولا يدعها مأكلة للخونة .
 ووظف على ملوك الاطراف وعلى أقاليم الممالك والامصارحموا لخزائنة السلطان
 يحملونها . وخدماء عن عصمة ولايتهم يوصلونها . وقرر معهم الحضور الى

الخدمة ومولات الخدمات للحضرة . والوصول بالمساكر الجملة . حتى
ملا الخزان بالبخاير . والملا بالمساكر . ونشأ له أولاد كبروا في دولته فإوطأ
عقبهم . وأعلى رتبهم . ثم أنه لما وفر الاموال على الخزانة والسكر . جعل
فيها لأرباب العلوم وأصحاب الحقوق حقوقاً لا تؤخر . ورسوماً لا تفسر .
وصير احسان السلطان بين أهل العلم ميراثاً يأخذونه بقدر القرائن . ويأمنون
بها منى التوائب والموارض . فلا جرم تذلت له المصاعب . ويسرت له
المطالب . ودانت له المشارق والمغارب .

ذكر الأكاير والكتاب في زمانه

يوم الكمال والشرف وسيد الرؤساء وابن بهمنيار وناج الملك

قال : كان نظام الملك مؤيداً بقرنين . مؤيدين لدولته أمينين . وهما كمال
الدولة أبو الرضى فضل الله بن محمد صاحب ديوان الانشا والطغراء . وشرف
الملك أبو سعد محمد بن منصور بن محمد صاحب ديوان الزمام والاستيفاء . وكلاهما
صاحب الرأي والتدبير والجاه والمال والدهاء . ومعدن الفضل والمطاء .
وكان لهما ذين الكبارين نائبان والكمال ولده سيد الرؤساء أبو المحاسن محمد
وكان مقبلاً مقبولا قد اختصه السلطان بخدمته . واختاره لخدمته . واستأمنه
على سره وبلغت مرتبته من اصطفاء السلطان الى غاية لم يبلغها أنيس . ولم
يصل الى رتبها جليس . وقد كتب اليه السلطان يستبطئه بخط يده بيتاً

بالقارسية معناه انك لا تتأثر بالنبية عنى . فانك تجد من نأس به غيرى .
وأنا أأثر بنيتك فاقى لا أجد الانس بغيرك .

قال : نصارختنا لنظام الملك وتزوج بابنته . وزاد ذلك فى منزله . وضرب
له سرادق وله الكوس والعلم . والحيل والمشم . وأما النائب عن شرف
الملك فقد كان الاستاذ أبا غالب البراوستانى . من أهل قم والنقيب
الجزبادقانى . ثم انصرف أبو غالب وتولى مكانه فى النيابة الأعز الكامل
أبو الفضل اسعد بن محمد بن موسى البراوستانى فلم يزل نائبا الى ان صار
استاذاً ولقب بمحمد الملك بعد شرف الملك ولم يكن لأحد من السلاطين
مستوف كآبى الفضل فى الضبط والتحفظ . والذكر والقيقظ . وحفظ
القوانين . وتدير الدواوين . وكان أيضا ملجأ لفضلاء الزمان . وموسما
عليهم بالاحسان . وكان على باب السلطان وفى ديوانه كتاب فضلاء . وكفاة
كبراء . ونواب علماء اذ كفاء . وكان لمولى فارس وزير يقال له ابن بهنيار
ولقب بمعيد الدولة وهو رجل بصير بالاعمال ذوهمة عالية . فأتصل بخدمة
السلطان وعلت مكانته . وسمت منزله . وصار بينه وبين سيد الرؤساء
اتحاد . وصداقة ووداد . وجمعت بينهما عداوة الوزير نظام الملك ومخالفة
وتصادقا على عداوته . وكيف تكون عاقبة حال المدبر . اذا عادى المقبل . فلم
يزال حتى نكبا وأهينا وطردا وهجرا بعد ذلك القرب . وأبغضا بعد ذلك
الحب . وسجنا واعتقلا . وحبسا وسلا . وسقطت منزلة كمال الدولة أيضا
بسقوط منزلة ولده وأدركته حرقة . ونكبتة نكبتة . وخدم من ماله الخزانة
السلطانية بثلاثة الف دينار وزادت جلالة نظام الملك بعداوة المذكورين
وتولى مؤيد الملك بن نظام الملك مكان كمال الدولة . من ديوان الانشاء والطغراء
(٨ - آل ساجوق)

واقام مدة واستتاب ابا المختار الزوزنى ثم استفى فتولى ابو المختار بحكم الاصلالة
ونمت بكمال الملك . وكان من نواب كمال الدولة ابى الرضى واتباعه فبلغ الى
منصبه ثم انتقل الى جوار ربه . وكان الرئيس تاج الملك ابو الغنائم المرزبان بن
خسرو فيروز من أولاد الوزير بفارس وقد خدم السر هنك ساو تكين مدة
وهذا الأمير كبير الدولة والمتحكم فيها وكان قد اتى على تاج الملك عند السلطان
وشكره وذكر انه يصلح لخدمته وقال انه معتمده على خزانته وآمواله وكان
رجلا سرياً بهياً فصيح اللجة . حسن البهجة .

له هم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها علا البرأندى من البحر
قبلة السلطان وأقبل عليه وولاه وزارة أولاده الملوك وسلم اليه خزانته
وولاه النظر فى أمور دوره وحرمة وعول عليه فى بعض الولايات وفوض
اليه أمر بعض العساكر وجعل له مع ذلك كله ديوان الطنراء والانشاء
ألبسه الله ثياب البلى فلم تطل عنه ولم تقصر

فاستتاب عنه الكيا مجير الدولة أبا الفتح على بن الحسين الأوردستاني
وصار كاتب الرسائل وكان أوحده عصره . ونسج وحده . وكان رجلاً سكيناً
حسن السميت كثير الأدوات . موصوفاً بالثبات فغير تاج الملك يهجه
المقبولة واصناء السلطان اليه أوضاع المملكة جميعها وبدد نظامها النظامى .
وبدد احسانها الحسى . وأذهب حلاوة قبول الوزير من قلب السلطان
وظهرت عليه آثار اللال . ونطقت أساريره بأسارده كلاماً يروح بأسارده
صفاءه . ويلوح فى قراره حصباؤه ومع ذلك كلما زاد تقريب السلطان
لتاج الملك ازداد تقربه الى الوزير . بالتوقيع والتوقيع . فقد كانت هذبة نكبة

عميد الدولة وسيد الرؤساء . فلم يفتّر من السلطان بذلك الادناء . لكنه تحيل عليه . ودبت في الباطن عقاربها اليه . وكان يكرم مجد الملك المستوفى ويثنى عليه عند السلطان . وكان سيد الملك أبو المعالي المفضل بن عبدالرزاق بن عمر عارض الجند فقرّبهُ أيضاً تاج الملك وجعله من حزبه واستولى بهما على حيازة الاموال والاعمال واففقوا على حل نظام الملك ومخالفته وغيروا رأى السلطان في وزارته وراموا ازالة ذلك الطود العظيم . وثر ذلك السلك النظيم . وهو شيخ قد طمن في سنّه . وبلغ بقوته أمد وهنه . وأيس من نجابة أولاده و طال عمره حتى ستمه . وأنس بالملامات فلن تؤله . فلم يكثر بهم . ولم يلتفت اليهم ولا تأثر بكيدهم . ولم يقم وزناً لعمرهم وزيدهم . فقتل يوماً غيلة بسكين ملحد . ودفن بدفنه الجود والفضل والدين في ملحد . وذلك في سنة ٤٨٥

وتوفي السلطان بعد قتل الوزير بثلاثة وثلاثين يوماً ولم يش تاج الملك بعد ذلك أكثر من ثلاثة أشهر على الخوف والخطر ثم قتل قتلاً ذريعاً . وبضع بالسيوف تبضيعاً . وسبب ذلك ان الممالك النظامية اتهموه بقتله فاجمعوا على عداوته وفتكوا به فلم الناس ان سلامة تلك الدولة وأربابها وسلامة سلطانها كانت بسلامة ذلك الشيخ منوطة . وبجياطه محوطة

قال : ولما ملّ السلطان طول مدته . واستطالة مكنته . أنفذ اليه يوماً تاج الملك برسالة ووكّل على لفظه بمين من أكبر خواصه حتى يبلغ في ابلاغها . ولا يراقبه في ادائها . وكان مضمون الرسالة انك استوليت على ملكي وقسمت ممالكى على أولادك واصهارك والممالك فكانت لى فى الملك شريك . أتريد أن آمر برفع دواة الوزارة من بين يديك وأخلص الناس من استطالتك فأجاب جواب مثبت رابط القلب حاضر اللب غير مرتاع ولا

مرتاب وقال « قولوا للسلطان كأنك اليوم عرفت انى فى الملك . ساهمك .
وفى الدولة مقاسمك . وان دوائى مقترنة بتاجك فتى رفعها رفع . ومتى
سلبها سلب » فلما سمع جواب الرسالة ازداد فى غيظه عليه واستشاطته
وكان ماجرى على نظام الملك من الاغتيال تجوزاً من السلطان مضراً .
وأمر اميناً مدبراً .

قال : ونظم أبو المعالى النحاس أبيتاً بالفارسية يخاطب فيها السلطان
فقال ما معناه كان ملكك من أبى على وأبى سعد وأبى الرضى بالملوك والسعد
مرضياً . فلما آل الى أبى الفنائم وأبى الفضل وأبى المعالى عاد من كسوة جمالها
عرياً . عنى بالاولين نظام الملك الوزير وشرف الملك المستوفى وكمال الدولة
المشرف المنشئ وعنى بالآخرين تاج الملك الوزير ومجد الملك وسديد الملك
المنشئ مع انهم كانوا أفضل أهل زمانهم وكان تاج الملك يظهرانه صائم الدهر
قال : ورأيت صلة لتاج الملك خمسة عشر ألف دينار فى أكياسها .^١

قال : ومع خلاهم الرياضية . والحصال الزكية . لم يخلصوا من أبناء
الزمان ونشبت فيهم مخالب الهجاء . وعثرت بهم السنة الشعراء . وقد جمعهم
أبو بلى ابن الهبارية فى قصيدته التى يقول فيها

لو أن لى نفساً هربت لما	أتى ولكن ليس لى نفس
مالي أقيم لدى زعانقة	شم القرون أنوفهم فطس
لى ماتم من سوء فعلهم	ولهم بحسن مدائحى عرس
ولقد غرست المدح عندهم	طمعاً فحنظل ذلك النرس
الشيخ عنهم وسيدهم	خرف لمعرك بارد جيس
كالجائليق على عصيته	يمدو ودار خلقه القس

والناصرع التندور حتى الى	جنب الوزير كأنه جرس
وأبو الفتوح انت تمرقه	وسيل مثل الكلب يندس
وخليفة الرى الخبيث له	بالتيس فرط القرب والانس
وأبو الفنائم فى تبظرمه	يمالو وليس ليومه أمس
والزورنى فبارد سجع	كالموت فيه البرد واليبس
لو أن نور الشمس فى يده	من بخله لم تطلع الشمس
متخفف أى اتى فهم دمت	وأخفف من حركاته قدس
.....
.....
قد صار مال الارض فى يده	غفواً وقيمة رأسه فلس
هذى امور الملك أجمعها	فسمودها من أجلمهم نحس
ولقد هممت بأن افارقهم	وتجد بى عيراته عنس
لكن ثنائى عن فراقهم	علمى بأن الناس قد خسوا
من ذا أروم وأجنديه لقد	عم البلاء وأشكل اللبس
المقتدى المسكين ليس له	عقل ولا رأى ولا جس
.....
.....
هذا وكبرائين شحته	كالكلب خب بارد نمس
.....
.....
وأبوشجاع فى وزراته	كالخرس لابل دونه الخرس
أبنى جهير أرتجى وهم	بالامس اقرب سوقه غبس
أعلى أمورهم اذا نفق السطرنج عنهم	أوغلا اللبس

والله لو ملكوا السماء لما عرفوا ولا اهتزوا ولا انجسوا
 أم باب ابراهيم اقصد هيهات خاب الظن والحدس
 قد كان محبوسا وكان له جود فزال الجود والجبس

ذكر ظهور الاسماعيلية

قال : فنابت النواذب . وظهرت العجائب . وفارق الجمهور من بيتنا .
 جماعة نشأوا على طباعنا . وكالوا بصاعنا . وكانوا معنا في المكتب . وأخذوا
 حظاً وافراً من الفقه والادب . وكان منهم رجل من أهل الرى وساح في العالم
 وكانت صناعته الكتابة نغى أمره حتى ظهر وقام فأقام من الفتنة كل قيامة
 واستولى في مدة قريبة على حصون وقلاع منيعة . وبدأ من القتل والقتك
 بأمور شنيعة . وخفيت عن الناس أحوالهم ودامت حتى استتبت على استتار .
 بسبب ان لم يكن للدولة اصحاب أخبار . وكان الرسم في أيام الديلم ومن قبلهم
 من الملوك انهم لم يخلوا جانباً من صاحب خبر وبريد فلم يخف عندهم اخبار
 الاقصى والاداني . وحال الطائع والمعاصي . حتى ولا في الدولة السلجقية
 الب ارسلان محمد بن داود قباوضه نظام الملك في هذا الامر فأجابه انه
 لا حاجة بنا الى صاحب خبر فان الدنيا لا تخلوا كل بلد فيها من أصدقاء لنا

وأعداء . فاذا نقل اليها صاحب الخبر وكان له غرض أخرج الصديق في صورة المدو والمدو في صورة الصديق . فأسقط السلطان هذه الرسم لاجل ماوقع له من الوهم . فلم يشعر الا بظهور القوم وقد استحكت قواعدهم . واستوثقت معاقدهم . وأخافوا السبل . وأجالوا على الاكابر الاجل . وكان الواحد منهم يهجم على كثير وهو يعلم انه يقتل فيقتله غيلة . ولم يجد أحدا من الملوك في حفظ نفسه منهم حيلة . فصار الناس فيهم فريقين فمنهم من جاهرهم بالمداوة والمقارعة . ومنهم من عاهدهم على المسالمة والمواذعة . فمن عاداهم خاف من فكهم . ومن سالمهم نسب الى شركهم في شركهم . وكان الناس منهم على خطر عظيم من الجهتين . فأول مابدأوا بقتل نظام الملك ثم اتسع الحرق . وتفاقم القتق . ولما كانوا قد تجمعوا من كل صنف تطرقت الى جميع أصناف الناس التهم . ودب الي البرى السقم . وتوفرت على التوقي الهمم . وتعين على السلطان أن يكشفهم مدافعا لئلا ينسبه العوام وأهل الدين الى الإلحاد . وفساد الاعتقاد . كما جرى على ملك كرمان فان الرعية اتهموه بالليل الى القوم فبطشوا به وقتلوه وأقاموا ملكا آخر مقامه وسيأتي ذكر بعض الأحوال في أيام السلاطين الذين ولوا . وما كان سلطان يلي شئ بخواصه . وسعى ذرو الاغراض في ذوى اختصاصه . ولما عرفوا جد السلطان في إبادة القوم سعى بعض الناس ببعض . وأحب وسمه بالإلحاد لسابق عدواة وبغض . ووسمه باسم لم يحج عنه غير السيف . ولم يجد محيذا عن التزام الحيف . وبقي في هذه الاصطككات والاصطدامات خلق كثير . وجم غفير . ولم يبق للاكابر في دفع ما عرا رأى ولا تدبير

قال : وتوفي أمير المؤمنين المقدي بأمر الله بعد سنة وكان في سنة

واحدة موت السلطان والوزير وجميع أركان الدولة . كل شيء هالك
الا وجهه .

قال الامام السعد عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني
الكتاب رحمه الله و قدس روحه

ذكر نبذ من حوادث وأخبار في أيام ملكشاه

أغفلها الوزير أنوشروان

قال رحمه الله: ولد ملكشاه في التاسع عشر من جمادى الاولى سنة
٤٤٧ وتوفي في السادس عشر من شوال سنة ٤٨٥ وعمره ٣٨ سنة وأشهر
وكان يدرف بالسلطان المادل ومن جملة عدله انه رأى شا كيا با كيا فسأله
عن موجب اشتكائه . وسبب بكائه . فقال اشترت بطيخا بدرهمات
لاعود برمجها على عيالي . وأعيد منها رأس مالى . فأخذها منى من يده قوى
اضعف عن الاخذ على يده . وتركنى التركى وهو يضحك من بلىتى وأنا
أبكى من نكده . قتال له السلطان طب نفساً . واستبدل من الوحشة أنساً .
فهل تعرفه فانكر مرفقه وكان البطيخ في أول با كورته ولا يكاد يصاب
منه شيء في البلد قتال السلطان لبعض خواصه قد اشتيت بطيخاً فاجتهد
في تحصيله ولو واحدة فما زال يطلبه حتى قال له بعض الامراء عندى وقد
أحضره بمبدي فلما علم ملكشاه احضر المنتظم وقال خذ بيد هذا الأمير فانه

مملوكي وقد وهبته لك قدي نفسه عنه بثلاثة دينار . وأثرى صاحب البطيخ
بعد اقتار .

وكان محباً للصيد وقيل انه كان حصر عدد كل ما اصطاده بيده قبلت
عدته عشرة آلاف فتصدق بشرة آلاف دينار . وكان بالمهارات ذا اهتمام .
وبالزمامات فيها ذا غرام . فخر أنهاراً . وأوثق على المدن أسواراً . وأنشأ
رباطات في المغاوز . وقناطر للجائر . ومن جملة جميل صنعه في المهارة عمارة
مساكن طريق مكة ومنازلها . وتسهيل ما توعر من مسالك قوافلها . وخرج
سنة من الكوفة لتوديع الحبيب جاوز العذيب وبلغ السيمية بقرب الواقعة
وبنى هنالك منارة ترك في أثنائها قرون الطي وحوافر الحمر الوحشية التي
اصطادها في طريقه والمنارة باقية الى الآن تعرف بمنارة القرون وكان قد
خرج الى الصيد وعاد في ثالث شوال فابتدأت به حى محرقة من امماته في
أكل لحم الصيد فتوفي في سادس عشر الشهر . وعاد الملك بظهور وفاته
منقضم الظهر . وكانت قد جرت بينه وبين الخليفة في تلك الايام وحشة
أساءت الظنون . ونسبت الى عوارضها المنون . ومن أسباب الوحشة اقتراحه
على الامام المقتدي انتقاله عن بغداد الى حيث يختاره من دمشق أو الحجاز .
وعدم من جانبه الامام ما يجب من الاكرام والاعزاز . فطلب منه المهلة .
ثم كفى أمره ولم يخف النقلة .

قال : وقد كان قرر فتح أقاليم الدنيا فجعل الامير برسق للروم فضايها
حتى قرر على قسطنطينية له في كل سنة حمل ثمانية الف دينار للسلطان .
وثلاثين الف دينار له جزية يؤديها الرومي بالصفار والهووان . وسير أخاه
تاج الدولة تثنى الى الشام وقرر معه فتح ديار مصر وبلاد المغرب وأمر
(٩ - آل ساجوق)

مملوكيه بزبان صاحب الزها وأق مستقر صاحب حلب أن يطيعاه على هذا
 النرض . ويساعده على اداء هذا المقرض . وأمر سعد الدولة كرائين بفتح
 بلاد اليمن . واستخلاص زبيد وعدن . فسير اليها جيشاً قدم عليه ترشك
 فغضى اليها واستولى واستولى ومات بها وعمره ٧٠ سنة وهو مجدور وتولى
 مكانه برنقش صاحب قنقش أمير الحاج . وجرم في الاستيلاء على ذلك
 المنهاج . وأوغل ملكشاه في بلاد الترك حتى أطاعه صاحب طراز وكانت
 حلة الدولة بجلالة جلالها ذات طراز

وفي سنة ٤٧٣ عرض المسكر وأسقط منه سبعة آلاف رجل من
 الأرمن المتشبهة بالترك فضوا إلى أخيه تكش بقلمه ونج فقوى بهم جانبه
 وشن عصاه بالمعيان والشقاق وما زال السلطان ملكشاه يقصده فتارة
 يضالعه وتارة يكافئه حتى ظفر به في سنة ٤٧٧ وقد كان عاهده أن لا يؤذيه
 فقوض السلطان أمره إلى ولده أحمد فأخذه وسمله . وفي سنة ٤٧١ دعا
الإقبيس تاج الدولة تكش بن الب ارسلان إلى دمشق وأثاقه خارجاً عن
 خلافه وخرج اليه من دمشق مسلماً . وحكمه مستسلماً . فضرب رقبة صبرا .
 ووغادره عارياً بالعراء غدرا . ودخل إلى البلد مستبداً . وأصبح الملك به مستجداً .
 في هذه السنة استولى شرف الدولة مسلم بن قريش على حلب . وفي المحرم
 من سنة ٤٧٣ عاد السلطان ملكشاه من كرمان إلى أصفهان وكان قد ورد
 إليها عام أول وخرج إليه ابن عمه سلطان شاه بن قاورد وعاهده وعاقده .
 وأخذ على العهد يده . وفي صفر تسلم مؤيد الملك من المهرباط تكريت وقلعتها
 وأحكمها ووفر عنتها . وفي ليلة الأحد عاشر شوال توفي دينس بن علي بن
مزبد وكانت إمارته سبعمائة وستين سنة وقام بالامر بعد بهاء الدولة منصور

ومضى الى السلطان وعاد في ثاني عشر صفر سنة ٧٤٤ بمكة قوية وقوة
متكئة . وقد تقرر عليه أربعون الف دينار في كل سنة

وفي شوال سنة ٧٤٤ خلع المقتدي على الوزير نجر الدولة ابن جهير
وتوجه ليخطب للخليفة من السلطان ابنته وسار بمعه أبو شجاع محمد بن
الحسين الى المعسكر فان نظام الملك كان يكتب في ايماده . وكان الخليفة راغباً
فيه لسداده . فكتب بخطه الى نظام الملك يأمره بالعود الى المهود في حق
أبي شجاع وأنفذ معه مختصاً الخادم قناد الى بغداد في رجب سنة ٧٥٥ في
حرمة وافرة وحشمة ظاهرة . وأما الوزير نجر الدولة ابن جهير فانه لما وصل
الى المعسكر بمجل وعظم ومضى نظام الملك معه الى تركان خاتون وخطابها
في معنى الوصلة بابتها فقالت ان ملك غزنة وملك الحامية قد أرسلوا في
خطبتها وبذل كل منهم عن ولده لها أربعمائة الف دينار . فان بذلها الخليفة
فاني أختار شرفه وهو أشرف مختار . ففرقتها إرسلان خاتون زوجة القائم
ما يصير اليها من الجلال والجمال . وبين لها القمي المشط جلية الحق وحقية
الحال . وقال هؤلاء عبيد الخليفة ومثله لا يقابل بطلب المال . فحيتت أجاب
وسددت الى الغرض وأصاب . وأخذ نجر الدولة يد السلطان على العقد وعاد
في صفر سنة ٧٥٥ الى بغداد . وفي جمادي الاولى ورد مؤيد الملك من اصفهان
الى بغداد ونزل في داره وضربت على بابه الطبول في أوقات الصلوات الثلاث .
وعد ذلك من منكرات الاحداث . ووصل بمطاء رضيه وقطع به ضرب
الطبل . وأذنت الحباء بوصول الجبل . وفي شعبان من السنة جلس مؤيد الملك
للغناء بأخيه جمال الملك وركب اليه نجر الدولة وعميد الدولة وأقامه نجر الدولة
من الغناء في اليوم الثالث ومعه الموكب

— ذكر جمال الملك أبي منصور بن نظام الملك —

قال: كان كبير أولاد نظام الملك وفيه دهاء وجراءة وعزّة ونخوة وخاطبه أبوه في أيام الب أرسلان أن يوزر لولده ملكشاه فأظهر امتناع أبي . وقال « مثلي لا يكون وزيراً لصبي » ثم أقام ببلغ متولياً . وعلى تلك الممالك مستولياً . فسمع أن جعفر بن مسخرة السلطان . تكلم على والده نظام الملك بأصمهان . وقرر الوزارة لابن بهمنيار فهاج وتغيظ وثار وأغذ السير من ببلغ حتى وصل إلى الحضرة وأخذ جعفر بن مسخرة من بين يدي سلطانه وتقدم بشق قفاه وإخراج لسانه . ففضى في مكانه . ثم أوقع التديير في حق بن بهمنيار حتى أخذه وسلمه . ثم توجه مع والده في خدمة السلطان إلى خراسان وأقاموا ببغداد . ودبروا الأمور . فلما أراد السلطان أن يرتحل استدعى بعميد خراسان أبي علي وقال : أنا مفض اليك بسرّ خفي فقال أنا من كل ما تأمرني به على أقوم سنن فقال : رأسك أحب اليك أم رأس أبي منصور ابن حسن فقال : بل رأسي أحب . وأنا لما تستطيني من دأته أطب . فقال : له إن لم تقتله تقتلك . وصرقتك عن ولاية الحياة وعزالتك . فخرج من عنده ولحق خادماً بخدمة جمال الملك مختصاً . وعرف في عقله نقصاً . فقال : إن السلطان قد عزم على أخذ صاحبكم وقتله غدًا . والصواب أن تصونوا بإبادته حرمتكم أبدًا . فظن السخيف العقل . أن ذلك عن أصل وجهل النظر ونظر عن جهل . وخاف على تشئت آل النظام بهذا الولد فعمد إلى كوز قفّاع فسمه ولما اتّبعه صاحبه بالليل وطلب القفّاع أتاه بالكوز المسموم فلما شربه

أحسن بالموت فاستدعي أخته ليوصي إليها ففضى نجه قبل ان تقع عليها عينه .
وكان السلطان قد رحل ونظام الملك قد سبقه فصار مفزداً أربع منازل حتى
لحقه ودخل الى الوزير ولم يعلم بوفاته ولده فزّاه وقال : أنا ولدك والخلف
عمن ذهب . وأنت أولى من صبر واحتسب

قال : وفي سنة ٤٧٥ سار الشيخ الامام أبو اسحق رسولاً من المقتدى
الى السلطان بمد ان أوصله الخليفة اليه وفاوضه شفاهاً وشكا من العميد أبي
الفتح بن أبي الليث شفاهاً . فوصل الى خراسان وناظر مع الامام أبي المعالى
الجوينى وكان فى صحبته من اكابر تلامذته الشاشى وابن قتان والطبرى
وكان معه جمال الدولة غيف الحادى وعاد الشيخ أبو اسحق الى بغداد
والقلوب الى حضرته متمطشة . والميون من غيته مستوحشة . ثم توفى قدس
الله روحه فى ليلة الأحد الحادى والمشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٧٦
ورتب مؤيد الملك أبا سعد المتولى مدرساً فلم يرض نظام الملك به وجعل
التدريس للشيخ الامام أبي نصر الصباغ صاحب الشامل . فاتفق خروج
مؤيد الملك وخرج معه المتولى فماد متولياً . وفى رتب السمو متعلماً . وقد
لقب شرف الامة وأبو نصر الصباغ مدرس . وتوفى يوم الخميس النصف من
شعبان وبقي المتولى مدرساً الى أن توفى فى شوال سنة ٤٧٨ . وعزل عميد
الدولة فى صفر سنة ٤٧٦ بمكتوب خرج اليه من الخليفة واجتمع يارق
الحاجب والشحنة والعميد وأصحاب مؤيد الملك على باب عمورية حتى خرج
بنو جهر بأهلهم وحواشيهم . وكهلمهم وناشيهم . وساروا الى المسكر .
وحصلوا على المنصب الأظهر . فان السلطان عقد على نحر الدولة بن جهر
ديار بكر وخلع عليه وأعطاه الكوس والمسلم وأذن له فى الخطبة لنفسه .

وفي السنة بآسمة

ثم أنفذ السلطان في سنة ٤٧٧ أرئق بن أكسب صاحب حلوان مع
التركان الى نجر الدولة مددا . وتوفى وتقوى بهم عددا وعددا . وكان بن
مروان صاحب ديار بكر قد استجد شرف الدولة مسلم بن قريش وأعطاه
يده على ان يطميه أمد اذا أمده وأيده . وقصد بن جبير الصلح وقال :
« أكره أن يحل بالعرب مكروه أنا سبيه » وعلم التركان ما رآه . فخالفوا
هواه . وركبوا ليلاً وأحاطوا بالعرب فهربوا وذهبوا وطلبوا . في كل واد
وناد وسلبوا . ولم يحضر تلك الوقعة بن جبير ولا أرئق وإنما أصطلى نارها
الامير جبق وحقق دماء العرب واستولى على جميع جملهم . وعامت أيدي
العامه في أموالهم . وألجئ شرف الدولة مسلم الى فصيل أمد فزرت الحيلة
وأعوزت الوسيلة . ووصى نجر الدولة بن جبير الامير أرئق بأن يأخذ عليه
الطريق وقال اذا حصل شرف الدولة في اليد فتحنا للسلطان البلاد . وحوينا
الطراف والتلاد . فبذل شرف الدولة للامير أرئق مالا ليفرج عنه فقال الى
المال وأظهر الغضب عن تحكم نجر الدولة ونفس عن خناق مسلم فسار الى
الركة وذلك في حادى عشر شهر ربيع الأول وقصد فخر الدولة مياقارقين
ومعه الامراء الاكابر سيف الدولة صدقة بن بهاء الدولة وأياز وترشك
وخمارناش في عسكر كهراتين ولما قصد خلاط رجع هؤلاء عنه الى العراق
وفي سنة ٤٧٩ خرجت ديار بكر عن نظره وسلمها السلطان الى العميد
أبى على البلخي . فأما شرف الدولة فانه لما وصل الى الرقة . أحمد عاقبة
المشقة . وعداً مابذله لارئق من الحقوق المستحقة . فأنجز الوعد وأرسل
المال . وصدق المقال . ولم يشك السلطان لما نجي اليه الخبر ان شرف الدولة

قد قبض . وان . بهم أمره قد نقض . فخلع على عميد الدولة بن جبير وأنفذه
الى ولايته . وكاتب التركان بطلعته . وأنفذ معه الامير أقنقر قبل أن
يصير صاحب حلب وسار في صحبته . واتصل به الامير ارتق وصار في جملة .
ووصل الى الموصل فأطاعه أهلها . وتسهل له وعرها وسهلها . وتوجه السلطان
الى بلاد مسلم بن قريش . في أقوى جاش وأوقى جيش . فلما علم سلامته
ونجاته . وانه بالمكر قد فاته . أرسل اليه مؤيد الملك بن نظام الملك ووثقه
بالايمان وأمنه بالمواثيق وقدم به الى السلطان وهو بالبوازيج . فأحلى له جنا
الجناب المريع وأسامة في مراد المراد البهيج . وكانت أحواله قد ذهبت .
وأمواله قد نهبت . واستقرض ماخدم به وقدم خيله وفيها بشار وكان فرساً
سابقاً مذكوراً وهو الذي نجا به يوم آمد وسبق ووثب الخندق وراهن
السلطان شرف الدولة على مسابقته . فأجراه مع الخيل في حلبته . فجاء سابقاً
ولما طلع صبح غرته من ظلام قتامة قام السلطان للاعجاب به وأظهر انه
لاكرامه . وفي صفر سنة ٤٧٨ هـ تجرع شرف الدولة كأس الحمام . فانه فتك
به خادم له في الحمام

قال : وكان المظفر أبو القتح ابن رئيس الرؤساء قد رتب في ديوان
الحليفة بمد خروج بني جبير واستقل بكل ترتيب وتدير الي أن يوزر أبو
شجاع محمد بن الحسين في سنة ٤٧٩ هـ لامير المؤمنين وخلع عليه خلة
الوزارة ولقبه ظهير الدين . مؤيد الدولة سيد الوزراء صفى أمير المؤمنين . وخرج
في خقه توقيع من انشاء أبي سعد بن الموصلاني ووصل عماد الدولة سرهتك
ساوتكين الى واسط ومنها الى النيل في شهر رمضان وزار المشهدين الشريفين
وأطلق بهما للاشراف مالا جزيلا وأسقط خفارة الحاج وخفر العظمى

وكان خراباً من دهر . وقدم بغداد ولقاه الوزير أبو شجاع ووصل الى حضرة الخليفة ليلة الاربعاء ثامن ذى الحجة وخلع عليه . وأحسن اليه . وكان قد علق به أسل فسار لوقته الى اصفهان ونوفى بها في سنة ٤٧٧ . وكان قد توجه جبال الدولة عفيف الى اصفهان في اتمام المقد للخليفة على بنت السلطان فداد الى بغداد فخلع الخليفة على بن أبي شجاع وسنه يومئذ اثنا عشرة سنة ولقبه ريب الدولة وأخرجه لاستقبال عفيف واستمر أبو شجاع في وزارته جريئاً في الشجاعة شجاعاً في الجرأة . أهلاً للمحمود الذمام ذاماً لاهل الذمة . وألزم اكابرهم بلبس الثيار . وأداء الجزية على وجه الصغار . حتى اسلم الرئيس أبو غالب بن الاصبغى غيرة من الثيار . ونفضاً لما كان على صفحات أحواله الحالية بموضع النصرانية من الثيار . وأسلم الرئيس أبو سعد بن الملاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا صاحب ديوان الانشاء وابن أخيه أبو نصر بن صاحب الخبر وكان في رتبته في السناء وذلك في رابع عشر صفر سنة ٤٨٤ وثقلت وطأة الوزير . على الصغير والكبير . وترك المحابة في الدين . ووافق ذلك وصول كتاب من السلطان في عزله . ووقوع ضجر الخليفة من فعله فخرج التوقيع بصرفه في تاسع عشر صفر فأنصرف وهو ينشد

تولاهوا وليس له عدو وفارقها وليس له صديق

قال : وكانت أيامه أنضر الايام . وأعوامه أحسن الاعوام . فخرج ثاني يوم عزله يوم الجمعة ماشياً الى الجامع من داره . في زى شاهد باستبصاره واعتباره . وانثال الناس عليه يصافقونه فانكر ذلك عليه وألزم داره . وضيق الخليفة عليه أعذاره . ثم سافر في الموسم الى الحج وتوفى بالمدينة على ساكنها السلام في النصف من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ فدفن بالبيع

عند قبر ابراهيم عليه السلام وكان مولده بكنكوز سنة ٤٣٧ هـ
ولما عزل أبو شجاع تولى أبو سعد بن الموصلايا النظر في الديوان .
وكان كبير الشأن كثير الاحسان . تولى ديوان الانشاء بعد سنة ٤٣٠ هـ وعاش
الى أن ناب عن الوزارة المقتدية والمستظهيرية ثم أميدت الوزارة الى عميد
الدولة بن جدير في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٤٨٤ هـ وكان السلطان
ببغداد فركب نظام الملك وناجى الملك وأكابر الامراء الى دار عميد الدولة
لاجلاله . والتتويه بمنصب اقباله . وفي سنة ٤٨٧ هـ درس أبو بكر الشاشي في
التاجية ثالث عشر المحرم . وفي جمادى الآخرة توفى أبو القاسم الشريف
الدوسي مدرس النظامية . وفي محرم سنة ٤٨٣ هـ قدم الشيخ أبو عبد الله
الطبري منشور نظام الملك متولياً للتدريس بالنظامية . ثم وصل بمده القاضي
أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي للتدريس بالنظامية أيضاً وتقرر ان يدرس
هو يوماً والطبري يوماً . وفي سنة ٤٨٤ هـ قدم الشيخ أبو حامد النزالي الى
بغداد للتدريس في المدرسة النظامية وكان في العلم بحراً زاخراً . وبدرأ زاهراً .
وأشرقت غرائبه في المشرقين والمغربين . وملأت حقائب الملوك . وثقلت
غوارب الثقلين .

ذكر دخول السلطان ملكشاه الى بغداد هـ

فأما في النوبة الاولى فانه دخل الى بغداد في رابع ذي الحجة سنة ٤٧٩ هـ
والوزير أبو شجاع خرج لاستقباله . وتوفية حق اعظامه واجلاله . وركب
(١٠ — آل ساجوق)

في اليوم الثالث الى الحلبة ولعب بالكرة وأنفذ اليه الخليفة أفراساً وأطافاً
وتصافيا وتهاديا ومضى نظام الملك الى المدرسة والى دار الكتب بها وقلبا
وتصفحها . ورمّ أحوالها وأصلحها . وعاد الى دار ولده . مؤيد الملك فأقام بها
ليتين . وفي سابع عشر المحرم سنة ٤٨٠ استدعى الخليفة السلطان الى حضرة
على لسان ظفر الخادم فبشر وجهه وسفر ونزل في الطيارة فلما وصل الى باب
الغربة قدّم اليه فرس من مراكب الخليفة . حتى انتهى الى السدة الشريفة .
وأمره الخليفة بالجلوس فامتنع . وتواضع حتى ارتقع . ثم أقسم عليه حتى
جلس . وزاد في ايناسه فأئس . ولم يزل نظام الملك يأتي بأمر أمير الي تجاه
السدة ويقول للامير هذا أمير المؤمنين . ليفتر بتقيل الأرض الجبين . ويقول
للخليفة هذا فلان وعسكره كذا وولايته كذا وكانوا فوق الاربعين وكان
فيهم آيتكين خال السلطان . فانه استقبل القبلة وصلى ركعتين . ومسح وجهه
للتبرك بأركان الدار من الجانبين . وعاد السلطان وعليه الخلع السبع والطوق
والسوار . وقد ظهرت عليه من آثار الجلالة الانوار . فثل بين يدي السدة
الشريفة وقبل الأرض مرات وأمر الخليفة مختصاً خادمه فقلده بسيفين وقال
الوزير أبو شجاع « يا جلال الدين سيدنا أمير المؤمنين الذي اصطفاه الله لمر
الخلافة . واجتبه لشرف الامامة . واسترعاه للأمة . واستخلفه للدين والملة .
قد أوقع الودية عندك موقعا . واصطفى الصنعة عندك موضعها . وقلدك
سيفين لتكون قويا على أعداء الله تجوس بلادهم وتذلّ رقابهم . ولا تألو في
مصلحة الرعية مقاما . ولا تدخر عنها اهتماما . فبطاعته قبل عليك الخيرات
من جوانبها وتدرّ البركات بسحائبها » وسأل السلطان في تقبيل يد الخليفة فلم
يجب الخليفة الى تقبيلها . فسأل في تقبيل خاتمه لترفيها وتبجيلها

قال: وفي النصف من صفر خرج من بغداد الى خراسان . وأما النبوة الثانية من دخوله الى بغداد فانه دخل اليها في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٨٤ . ومعه نظام الملك وتاج الملك وأكابر مملكته وأرباب دولته وبرز أمين الدولة بن الموصل لايلاستقباله . وخرج خروج الوزير في جميع أحواله . وخرج السلطان منها ومضى الى خوزستان في صفر سنة ٤٨٥ بعد ان سير قسيم الدولة آق سنقر الى حلب والامير بوزان الى الرها وحران . وأما النبوة الثالثة فانه دخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٨٥ بعد قتله نظام الملك ومعه تاج الملك وكانت وفاته بها في شوال

ذكر حوادث

قال : في ليلة السبت السادس والعشرين من شهر رجب سنة ٤٧٨ توفي قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن علي الداماني ومولده سنة ٣٩٨ ودخل بغداد سنة ٤١٩ . وولى القاضي أبو بكر المظفر بن بكران الحموي الشامي قضاء بغداد . وتوفي في الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير بالموصل في سنة ٤٨٣ ومولده بها سنة ٣٩٨

قال الامام عماد الدين رحمه الله : عاد الحديث الى تعريب كتاب أنوشروان

ذكر حال ولاية السلطان أبي المظفر بركيارق

« ابن ملكشاه برهان أمير المؤمنين »

قال : كان لسلطان ملكشاه أربعة بنين وهم بركيارق ومحمد وسنجر
ومحمود وكان محمود طفلاً فبايعوه على السلطنة لأن أمه تركان خاتون كانت
مستولية في أيام ملكشاه فلما درج بقي بحكمها ولأن الأمراء والوزراء كانوا
من صنائعها فاختاروا ولدها ولأن الخاتون المذكورة كانت من أولاد الملوك
فعضلوا ابنها على أن بركيارق كانت أمه سلجقية ولكن لم يكن من بني
السلطان بنفداد حاضراً ألا ولدها الطفل فبايعوه وساروا إلى اصفهان
وأجلسوه على سرير الملك وأخرجوا تلك الأموال المتيدة . والذخائر الطارقة
والثليدة . فقرقوها بأمر خاتون

قال : وفي أول العهد فتك تاج الملك ممالك نظام الملك فانه كان وزيراً لخاتون
وولدها ولما سمع ممالك نظام الملك أن خاتون وولدها قد قصدا اصفهان
خرجوا بركيارق منها إلى الري وشرعوا في جمع المساكر عليه وحملهم على
ذلك دخلهم القديم الذي في قلوبهم من تاج الملك وكانوا ينسبون إليه قتل
نظام الملك . وفي بادئ هذا الأمر تولى المستظهر بأهله الخلافة وأخذوا منه
بيعة محمود ثم جاء بركيارق إلى اصفهان محاصراً . ولم يكن معه أحد من أرباب
الدولة حاضراً . فان الأكابري كانوا محصورين . واجتمعت عليه جماعة من أبناء
الدهر غير معروفين . ولما سمعت والدته باصفهان واسمها زبيدة خاتون أنه
على قصد ما سافر وجهها للسفر . وخبر ما كانت فيه من ذمام الخمر . ومات

نحمود ومات والدته ولم تنقض سنة وتم الملك لبركيارق

سجل وزارة عز الملك أبي عبدالله الحسين بن نظام الملك

قال: كان شريفاً خميئاً . لا يصيب رأياً ولا يحسن تدبيراً . بعيداً من الكفاية . قريباً الى النواية . خالياً من الماني . معروفاً بالقصور والعجز والتواني . فلما زاد اختلال الملك . بدم نظام الملك . ظنوا انه يرجع الى نظامه باحد اولاده فاستوزروه ووقروه وعزروه . وكانت علامته احمد الله وأشكره وكان له أخ صغير اسمه عبد الرحيم فجعلوا اليه منصب الطراء وقالوا أن هذا المنصب لا يحتاج الى فضل وليس الا مجرد ذلك الخط القوسي . وكان الاستاذ على ابن أبي علي القسي وزير كشتكين الذي كان قديماً شريفاً لبركيارق وأتابكه . خين ولي السلطنة نفذ أمره ومضى حكمه حتى كأنه في الملك شاركه . وتولى الاستاذ على ديوان الاستيفاء وجرت بإيالة هؤلاء في الدولة أمور شنيعة وأحوال فظيعة ولو تمشى أمر من الأمور فأبما كان بكفاية الاستاذ على فإنه كان يرجع الى نظر لودعي . ورأي وري . والباقون كالاصنام لا يضرون ولا يشعرون . وأم السلطان قد خلعت عذارها ووافقت كشتكين الجاندار على المنكر ومعاقرة المسكر والسultan مشغول باللعب والمشرقة مع عدة من الصبيان والوزير أيضاً منهمك في الشرب مع الاخذان . والمساخر والمجان . ووصلوا الى بغداد واختاروا المقام فيها . والهتهم مغانيها وغواتيها . وصار الامر مهملاً . والعدل مغفلاً . وكان من أكابر الامراء في ثور مصر والشام أميران

كبيران في الجاه والقدر . كافيان في حفظ الثمر . وهما آق سنقر وبرزان .
 فتأبى الكتب والرسل الى السلطان . بخروج عمه الملك تتش بن الب ارسلان .
 وانه قد خرج من دمشق وقد حشد جموع التركان . فاقرا لهما كتابا حتى
 يش الاميران ووقعا في ورطة الشر وظنا انهما يقاومان تتش في رده عن
 قصده فوقعا في طريقه حتى حصلا في قبضته . وقتلا بسيف سياسته . وتوجه
تتش نحو الري وهمذان وقم وجرباذقان وأمرء الدولة البركيارقية كل منهم
 في بلده مشغول بما هو فيه من القصف والزحف . قال : ومما قاله أبو منصور
 الآبى أحد فضلاء مصر بالعارسية في قتل الاميرين ما معناه

قد غرقنا في الشرب والسكر حتى لم نفكر في سنقر وبرزان
 ما ظفرنا بالبيدق الفرد في الست ولكن قد أسلم الرخان
 قال : والاجتاد طلبوا اصلاح حالهم وتركوا بركيارق واتصلوا بعمه
 ووقع هو الى اصفهان وكان بها من بقايا الدولة الخاقانية جماعة أقواء فبسوم
 وأتعبوم ففهم من مات في اعتقاله . ومنهم من نجح دون نفسه بمالك . قال :
 وكانت خراسان أيضا مضطربة وكانت بين ولدى الب ارسلان بورى برس
 وأرغو مقارعات هرب منها مؤيد الملك ابو بكر عبيد الله بن نظام الملك الى
 اصفهان فأرؤه أهلا للوزارة في ذلك الوقت فخلعوا عليه خلة تامة للوزارة
 وعاد به الملك الى النضارة . وكان مصرفا للسيف والقلم . عارفا بلتى العرب
 والمجم .

له بين الموالى والمعالى وما بين المهتدة الذكور
 مقامات شرفن فإيالى أمات على جواد أم سرير
 ولم يكن في أولاد نظام الملك اكفى منه وكان أوحده مصر . بلينا في

النظم والنثر . فتقدم ونظم تلك الامور المشورة . وطوى تلك السيئات
المنشورة . وكانت علامته الحمد لله على النعم . فتوجه الى مصافيتش وقال
لمجد الملك أبي الفضل وهو منزو باصفهان « قم وصاحبني » فاجابه « فاذهب
أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » فلما ضرب المصاف كسر تش و قتل
في المعركة وتوحد بركيارق بالملكة واستبرك بالوزير

قال أنوشروان : كنت معه في المصاف وذلك في سابع عشر صفر
سنة ٤٨٨ عند قرية يقال لها داشلو على اثني عشر فرسخاً من الري فوصل
مؤيد الملك الى السلطان في المعركة وهناك بالفتح فابتسم سروراً بما آتاه الله من
المنح وقال له « كل هذا يركتك وعين تقيتك » فأمن الناس من أنه موزول .
وأنه وزير مقبول . وكانت وزارته في ذي الحجة سنة ٤٨٧ ولما وصلوا الى
الري بعد الوقعة بادر مجد الملك أبو الفضل الى الري من أصفهان واستمال قلب
والدة السلطان في مبدأ الامر وتمكن من الدولة وقبض على الاستاذ على
المستوى في فسل واعمى . وبقى مؤيد الملك وحيداً يتوقع البلاء ويترض . ويتمثل
أكلت يوم أكل الثور الأبيض . وكان أخوه نخر الملك أبو الفتح المظفر
أكبر سناً منه وهو حينئذ بالري متمطش الى الوزارة فاطمعه مجد الملك في
موضع أخيه . وساعده على توليه . واعتقل مؤيد الملك وحبس . ورتب
نخر الملك في الدست وأجلس . ولما كانت والدة السلطان صاحبة العناية بمجد
الملك أعانت على مؤيد الملك فكتب من الحبس اليها أياًناً بالفارسية يستعطفها
ويتضرع اليها . واستقل مجد الملك بالاستيفاء وغلب على الوزارة وبقى نخر الملك
صورة بلا معنى . وكان أيضاً خالياً من الكفاية والفضل والادب . وعلماً
لكل شيء غير النسب . وهو أسير تصرفات مجد الملك وتابع رأيه وليس له

من رسوم الوزارة الاعلامته وهي الحمد لله على نعمائه وقال . يؤيد الملك فيه
يتبين بالقارسية عربها عماد الدين وها

ماذا أقول عن امري * جمع المعايير والمعايير

عادت مناقب والذي * من شؤم منصبه مثالب

قال : وخلص يؤيد الملك من الاعتقال وأقام مدة مديدة في حماية بعض
الكبراء تارة في نهاوند وتارة في مشكان مظهرًا انقطاعه الى العبادة ثم انه
قصد سرير الملك المحمدي في جنزة ورأى ان اقبال محمد على ادبار بركيارق
غالب . وانه لاحالة الملك أخيه وارث أو سائب . وكان في نفس محمد طلب
السلطنة فقواها . يؤيد الملك وحقق رجاءها فيها فقبله الملك محمد واصطفاه
واستأمنه لحلوانه . واستشاره في عزيماته . ثم سلم اليه وزارته وشتم بقربه
وأسكنه صميم قلبه . وقلب . يؤيد الملك . وكل بالانتقام . ورأيه معمل في تسديد
مرامي ذلك المرام . ولم يزل يقرب على السلطان محمد البعيد . ويلين عنده
الشديد . ويحبب اليه الجدد وينبض اليه اللبس حتى حرك اليه ساكن ارادته
وسار من أران به في شردمة قليلة وبلغ به في مدة يسيرة الى دار الملك أصفهان
فتبوا بها سرير سروره . واجتاب حير حيوره . واستمال اليه المناكر
واستقاد الى بهجته ونهجته الاسماع والنواظر . وأجلاً بركيارق من الاوساط
الى الاطراف . ومنى بالاغتراب والاعتساف . وقبض على الخاتون زبيدة
وحبست في قلعة الري ثم سعى . يؤيد الملك في ختمها تخنفت وأحاطت به
أوزار قتلها وأحذقت . وأما محمد الملك فأنهم أفسدوا عليه قلوب العساكر وأضروها
بمضرته . وأغروها بطلب غرته . فبضعوا بين الجمهور بسيفهم أعضاده .
ووزعوا أشلاءه . وذلك في سنة ٤٩٢ وله إحدى وخمسون سنة . وكان

رجلا مواظبا على الخيرات والصيام والقيام . واقامة الصلاة . وإيتاء الزكاة .
مدينا للصلات والصدقات . لم يسع قط في دم . ولم يخط الى مضرة أحد
بقدم .

ذكر خروج السلطان أبي شجاع محمد بن ملكشاه
تقسيم أمير المؤمنين من جنزة وأذن الى الري وأصفهان

قال كان هذا السلطان مؤيدا موقفا . محققا للرجاء فيه مصدقا . ميون
النقية . محافظا على تقواه مع الشيعة . يحب الاقتداء بآثار جده البارسلان
في سياسة المملكة وعلو الهمة . وكان وقورا ميسرا . أريبا لييا . فلما جلس
على سرير ملك أبيه وجده ووجد قواعد الدولة بإيالة أخيه مختلة . وعقودها
منحلة . ضم النشر . ونظم المنتشر . وأحكم القواعد . وأبرم المعاهد . وأعاد مؤيد
الملك الى منصب أبيه في الوزارة . وملا بسناه أفق السيادة . فلبس هذا
الصدر الامور بصدر واسع . ورأى رائع . وتدير لشمل السداد جامع .
فاستقلت الدولة باجتهاده عن كبوتها . وزالت نوبة نبوتها . وبقي سنين وقد
انتم من خصومه باخذ الثار . وشفاء غل الاوتار . وحاز مال محمد الملك وسعى
في قتل زبيدة خاتون فلا جرم عاد مرتهنا بجرمه . وعثرت قدمه في ظلمة
ظلمه . وأسره عسكر بركيارق في مصاف جرى بين الاخوين على حد
همذان وأحضره بركيارق بين يديه وأوثقه كثافا وعصب للقتل عينيه وهو
قد رفع صوته بكلمة الشهادة ولم يظهر منه جزع . ولا خور ولا فزع . فغضب
(١١ - آل سلجوق)

بركيارق بيده عنقه . وكان قصد والده السلطان والسعي في دمها أوبقه . فاعدم
مثل ذلك الشخص المديم النظير . وأعنى ذلك الوزر في حز عنق ذلك
الوزير . وهيات أن يلد الزمان مثله في دهائه . وزكائه ورأيه وحياته . ولطفه
وظرفه . ولينه وعطفه .

قال : وآلت وزارة بركيارق الى الاستاذ عبد الجليل الدهستاني ولم يكن
له أثر محمود . ولا يوم في الكفاية مشهود . بل تقام شره الى أن أخرج املاك
الناس في الاقطاع . وكان في الظلم مستطيل اليد طويل الباع . ولم تطل أيامه فاته
بقربطه باطنى على باب اصفهان . قال : وبقيت حقوق مؤبد الملك عند
السلطان محمد محفوظه . وبمين الرعاية ملحوظة . فاعتقد ان نصير الملك ولده
النقيب وانه اذا ولاه قضى حق أبيه . فولاه وزارة بنيه . وكان يأنف الكلب
من لؤمه . والبوم من شؤمه . ومعايبه لاتعد . ومخازيه لاتجد . وعن له ان
يشغل بعلم الاوائل فبلغ منه الى حد التعطيل . ووقف عند حمار الدليل . وقد
صنف ابو طاهر الخاتوني فيه كتابا سماه نذير الوزير . اليزر الخنزير . وبطل
بعدم مؤبد الملك ذلك الترتيب . وظهر على وجوه الايام التقطيب . واستمرت
سنين بين محمد وركيارق مصافات . وتمت مخافات واغات .

قال أبو شروان : وكنت قد نجحت بمصرع مؤبد الملك وأثر في قلبي
مؤلم مله . وأزعجني عن المقام مقيم هم . حتى حصلت بالبصرة فاقت بها مدة
ثلاث سنين . وصادفت اخواتا صادقين . من جلتهم الشيخ الامام أبو محمد
القاسم ابن علي الحريري صاحب المقامات يوافقني في الجد والهزل طائفاً فينظر
من عيني ويسمع من سمعي . وفي هذه المدة التي أقت فيها بالبصرة درج
بركيارق وكانت وفاته بالسل والبواسير يبر وجرد في ربيع الآخر سنة ٩٨٤

وبلغ من العمر خمساً وعشرين سنة ووقع عليه اسم السلطنة وله اثنتا عشرة سنة وقاسى من الحروب واختلاف الامور ما لم يقاسه أحد فتقرّد بالسلطنة أخوه محمد ودان له المشرقان . وتصرف بيده زمام الزمان .

قال أبو شروان : فجاءني يوماً توقيع سلطانى على يد أمير من بمض الخواص فاستدعاني واستدناى فوصلت الى بنداد والسلطان محمد بها في وزارة سعد الملك ابى المحسن سعد بن محمد الآبى وكان وزيراً سيداً حسن الطريقة ذا هدوء وهداية . ورأى وكفاية . فجمع المسكر على الطاعة السلطانية وأطفأ نائرة الفتنة الشيطانية . وكان الأمير الاسمهسلار اياز مقدم العسكر البركيارقي فلما توفى بركيارق صار انايك ولده ملكشاه فقام مقام والده . ورد ملكه به الى قواعده . فاهتم سعد الملك باسمائه . وحلف له على سلامته . فلما مكن من نفسه قتلوه . وأخذوا ملكشاه بن بركيارق فسلوه . وذلك في سنة ٤٩٩ فزال الشنب وسكنت الدهماء . وكانت للوزير سعد الملك في هذه الحيل اليد البيضاء . قال : وسرت في الخدمة لما ساروا الى اصفهان . ومادام هذا الوزير في ولاية السلطان . ظهرت له آثار حميدة . وآراء سديدة . وكانت علامته الحمد لله على نفسه وكانت له في الباطنية نكايات . ورفضت له في فتح قلعة شاهدز رايات . وكانت قلعة منيعة على جبل اصفهان تناصى السماء . وتناظر الافلاك . وقد تحصن بها أحمد بن عبد الملك بن عطاش طاغية الباطنية في طائفته . وبلت اصفهان وضياعها بيلته . فما لها سعد الملك بال رأى الصائب . والعزم الثاقب . وتلطف في افتتاحها . ودبر في استئزال من فيها على اثار الملة الاسلامية واقتراحها . فأنزلوه من معقل الى عقال . وبدلوه آجالاً من آمال . وألصقوا خدك تلك القلعة بالترب . ووضع الهناء فيها مواضع النقب .

وكذلك افتتح قلعة خان لنجان . وهي أيضاً بقرب أصفهان . وكانت قد خربت تلك الولاية بما لاهلها فيها من النكاية . وكان بأصفهان رئيس يقال له عبد الله الخطيبي . وهو حاكمها والمستولى على رءاستها وهو رجل جاهل من أنواع الموم خال محال . يبدى تنسأ باظهار زهد وورع محال على محال . ولم يكن له سوى ضخامة جثة . وضخامة لحية كثة . وكان لقائه الامى مقبولا . وكلامه السمي معسولا . وكان من هذا الوزير خلفاً . وبمعرفة الوزير باطن شره عارفاً وطلب من السلطان خلوة غر السلطان فيها بتنميسه . وروج لديه سوق تليسه . وتم اتفاق نفاقه . وبرز هلال محاله من محاته . وجرى من مناصبيه على سعد الملك انه حقق في اعتقاد السلطان انه صديقه الصادق . ورفيقه الموافق . الا ان فيه عيباً واحداً هو انه الى الباطنية مائل . وبمذهبهم قائل . وانه يجتهد في ازالة هذا الاعتقاد من قلبه . والمباينة في نصحه . اشفاقاً على ما أجده من حبه . فانه يزع على فساد مثله مع فضله ونبله . واعتقد السلطان صدق قول الخطيبي وحسبه خالياً من النرض . حالياً للنصح المفترض . ثم اغفل مدة وعاد اليه وايسه من قبوله . وأسف على ما فاته اليه من سوله . وصار يشفع الى السلطان في تأجيل أمره . لاجل ما عنده من مودته . وان لا يعجل في عقوبته . وقد وضع من خواص السلطان صبيئاً ناعلي الوقوع في الوزير . وانه باطني الضمير . ولم يزل به حتى أوقعه في الحبس . ولما قيد رب جماعة من الاوغاد شنعوا على الوزير في دار السلطان في مجمع من الامراء والقاضي حاضر . وقال كل منهم هو ملحد وكافر . وما زالوا بالسلطان حتى صلب الوزير مع عبدة من اكابر ديوانه . بهت عدوه وبهتاته . وذكر انه لما اطلع الوزير على مكيدة خصمه . دبر في مكيدة عليه . فماد على الوزير وباله . وآل الى

اهلاكها. وذلك انه كان عارفاً بمكائبات كانت بين الخطيبي ورئيس الباطنية أحمد بن عبد الملك بن عطّاش في مبادئ أمره. وكان مطلماً على سره. فأراد ان يستدعي بعض تلك المكائبات بخط الخطيبي ويقول للسلطان هذا الرجل رماني بما هو مذهبه وشأنه. وخطه هذا حجة قولي وبرهانه. وأرسل في ثقاته في هذا المهم من كتب على يده بخطه توقيماً بالجواز. ولم يوصه بالاحتراز. فظفر بالرسول من كان مرتباً لحفظ طريق القلعة. ومنع الميرة عنها والطعمة. فوجدوا خط الوزير معه بالجواز فأخذوا الخط وكان من أعظم أسباب ذلك الخطب وذلك ان السلطان حفظ خطه الى ان قبضه. ثم عرضه عليه فصرح له ان كتابه للتلف عرضه. فلما أوتى كتابه لم يمدّ جوابه. وما نبس بكلمة. ولا فاه بنت شفة. ولو قال لما سمع. ولو اعتذر لدفع عذره ومنع. وكان من أمره ما كان. ولقي الرحمن. ولقد كان رجلاً خيراً ألقى الأديم. كريم الحليم. جامعاً لآلات الوزارة. وأسبلها لاثقاً بقلم السيادة ودواتها.

قال: وكان المستوفي في وزارته للسلطان زين الملك أبو سعد بن هندو ولم يكن له أصل ثابت. ولا فرع ثابت. ولما تولى خرج واستخرج. وأمر وأمرج. وأخذ الاموال جزافاً. وأسرف فيها اسرافاً. ولما انقضى أمر سعد الملك رفعت عليه رقائق وأخذ وجس واستصفيت أمواله ونهبت دوره وتخبطلت أموره وبقي في الحبس سنين. ولقي العذاب المبين. وكان صاحب ديوان الانشاء في وزارة سعد الملك نصير الملك محمد بن مؤيد الملك وكان مع جهله وعدم فضله للديوان به أهبة وجلالة. وحلية وحالة. فزلت به قدمه. ولم يأخذ أحد يده. وبقي مشنوءاً مهجوراً مهجوراً بكمدته. وكان وكيله السلطان في وزارة سعد الملك اميرى القزوينى المعروف بالزكي

ذو كيسة من جملة التجار وكان قد هرب من أبي مسلم رئيس الرى والتجأ الى سعد الملك، فأرا الوزير أن يكون بينه وبين السلطان من يتردد في المهمات. وبأتيه بجواب المواسرات والرسالات. والذي يتولى هذا الشغل يقال له في المعجم وكيلدر أى وكيل الباب ومنزلته أخص من منزلة الحجاب ويجب أن يكون منطيقاً بليغاً. متجرعاً في مضائق الكلام النقص مسيئاً. متقللاً باقامة الحجة عند الحاجة. متجنباً للسماجة. بقول ينسب الى السماحة عارفاً باخلاق السلطان في أوقات رضاه وسخطه. ومتبعضه وبسطه. فإذا وجده منقبضاً نلطف في تشييطه مما ينفق عليه من الحديث الرائق. والقول النافق. حتى اذا رأي منه سياء القبول حدثه بمقصوده. والا جرى في الامساك على معهوده. فان السلطان لا يثبت خلقه على حالة. ولا بد له من ضجرج وملالة. وكان هذا القزويني خالياً من هذه الممانى كلها لكنه التمس الى سعد الملك هذه الولاية فأجاباه الى ملتسه. وواقعه على هوسه. لسلامة نفسه. وذهب عنه انه سوق قفز من الدكان الى باركاه السلطان فزاحم أركان الدولة بالمكانة والمكان وكان اذا خاطب السلطان وشافه حدث له عجب فانمزع وانمزع. وخرج عما فيه شرع وجمع بين الاروى والنمام. والضباح والبنام. ثم لا يتكلم الا بكل ما يضر. ويسوء ولا يبر. واستنصر سعد الملك من جانب ذلك العاجز بغير قصد منه في حقه وأى ضرر أقوي وأمكن من كونه قتل في حبيل ختنه. وكان عارض الجيش في وزارته أيضاً أبو المفاخر القمي وكان قد غلب عليه في اسطلاح الخاصة والعامة نمت طرطنيل. وما عرفوه بغير هذا الاسم الثقيل. وصرف في وزارته وولي عمله عن الملك بن الكافي الاصفهاني وبقي فيه أشهراً فلما أخذ سعد الملك اقترنت نكبته بنكبته.

واتفقت صلبته مع صلبته . واستدعى مختص الملك أبو النصر القباثي في وزارة سعد الملك وصرف به من ديوان الانشاء محمد بن مؤيد الملك فصل هذا وذلك طرده . وأقيم ذلك وهذا أقمد .

قال : وخلا الميدان الخطيبي فصار محكماً للإسلام . وهو عند السلطان متبول الكلام . وأصحاب السلطان عنه خاشون . والى بابها غاشون . وكان اداسأله السلطان عن واحد كيف تعرفه أجاب مرة بلا أدري ومرة بلا أعرفه وتارة لمهني فاني ابحث عنه واكشفه وتارة يشهد عليه بما يهدر دمه

قال : وحديثي ابن المطلب وكان وزير الامام المستظهر قال ما زال هذا الخطيبي بغداد يتوصل حتى ابصر قهرمانه لدار الخلافة فقال لها اليوم أجرى معي السلطان حديث هرون أخى الامام المستظهر وسألني عنه فدخلت القهرمانه الى الدار واوصلت الى سمع أخيه ما حدثها به الخطيبي فتأتمت قيامة الخليفة وتمكن الاستشمار من نفسه الشريفة فكتب الى الوزير يأمره بالركوب الى الخطيبي ويحمله على الاضراب عن ذكر أخيه . ويحمل اليه ستة آلاف دينار اميرية يدفع بها شره ويكفيه

قال : فاستأذنته في الركوب اليه في الليل . فانه اخفى لاوليل . فما صبر ولا وجد القرار حتى ركب اليه وأرضيته بما حملته . واستغفنيته عن حديث هارون واستنزله

قال : وكذلك لم يترك من خواص السلطان أحداً الا لونه . وشوش عليه رأيه وخبئه . ولم يتأدر أحداً من الخاصة والامة الا طرقت اليه ظنة . او قلده بسكوته عنه مئة . وقال له السلطان يومنا كيف كان أصحاب دواوين والدى وجتى في أديانهم . وانهم كانوا لا فتح في ايمانهم . فكيف اختص

هذا الاوث بزمانى وباصحاب ديوانى فقال اولئك كانوا من اصحاب خراسان .
 وهم أهل الدين والاحسان . وهؤلاء أهل المراق . أهل الاخلاق والنفاق .
 فتخيل السلطان صحة مقاله . واستحكم تقريب الخراسانيين وابعاد المراقين في
 خياله . واعتقد انه ليس في المراق مسلم . وان افق الملك بنير الشرفين مظلم .
 وكان بالمراق جماعة من أهل خراسان محرومون . مهجورون من كل جاهل
 مجهول . وساقط ذى خول . ونزوا الى ناحية . ومتنع الى زاوية . ومتنس
 بالرياء . ومتهوس بالكيمياء . وبطلال مرجف . وعمل محترف . فلما عرفوا
 ميل السلطان اليهم دفعوا رؤوسهم . وعرضوا نفوسهم . وخطبوا المراتب .
 وطلبوا المناصب . وغفلوا بل غفل السلطان عن هذه النكتة ان خراسان
 عش مذهب الباطنية . وبها افرخ وباض . ومنها شاع وقاض . وفيها حصونه
 التى لم تُفتح . وعيونها التى لم تمتح . وانقضى عصر سعاد الملك سرياً . وصار
 بالسكر الصريح صرياً . وعاد الملك المريع منه مروعا .

—•—•—•—•—•—•—
 وزارة الامير ضياء الملك ابى نصر احمد بن نظام الملك —•—

قال: لما نكب سعد الملك طمع الى الوزارة، عمرو وزيد ووصل يوم
 كتبه الامير ضياء الملك وخطير الملك ابو منصور محمد بن الحسين الميئدى
 وكان قد استدعى من فارس فاختلفت عليهما الآراء فرأى السلطان حفظ
 الجانبين . وأمر بتولية الصاحيين . وجعل دست الوزارة للنظامى .
 ومنصب الاستيفاء للميئدى . والى بتأنيتهما قلوب خواصه . وخص كلاهما .

باستخلاصه . وأعطى سياسة ملكه حقها . وجلا بسناء احسانه ألقها . قالت الحكماء : « منازل السياسة اربع فالاولى سياسة الرجل نفسه . والثانية سياسة أهله وولده ومن يضمه منزله . والثالثة سياسة بلد واحد يتقلده . والرابعة سياسة الملك كله . فتنى عجز عن منزلة من هذه المنازل فهو عن التي تليها اعجز » لا جرم ابتلى هذا الوزير بشعبة نسبه . وهو غير خبير بساوك مذهبه . ولم يكن من شغله ولا من اربه . وكانت علامته احمد الله على نسبه . فقضى حقه بشغل عجزت اللقاة الدهاة عن القيام به ووقع اسم الاستيفاء على الخطير كما يدعى بالجهل . اسم النبوة ابو جهل . فلم يكن للمنصب المأهول دسسته بأهل . وخواجه مختص الملك صاحب ديوان الرسائل . معدم من الفضائل . وهو عند اولئك اكتب الكتاب ويمجز عن كتب خمسة اسطر بالفارسية فضلا عن العربية

قال انوشروان : وانا ولانى السلطان الخزانة فانه استدعانى الى خلوته وخصنى بكرامته . وسلم الى خزائن ممالكه وكان هؤلاء الاكابر انما يصلون الى السلطان في الباركة اذا جلس لمامته وانا لخص بخلواته واستسعد بمحادثته . فعمدت وجاهتى بمواجهته . وحسدتى اكابر الدولة على منزلتى . وانتظروا زلتى ومزاتى . واتفق فى ذلك الوقت ان الامير السيد انا هاشم المستنير رحمه الله رئيس همذان . قد تفر على رضى السلطان . وذلك لان قوما من ارباب الدولة تناصروا عليه . وادبوا عقارب مكايدهم اليه . وأطعموا التوج بن ابى سعد الهمذاني فى ايلة همذان ورثاستها وكان التوج هذا من جهة الرئيس . منكوبا . ويده مضروبا . فاوقعوه فى معارضته . وعرضوه لواقفته . واغلقوا على الامير السيد وعلى اولاده باب داره . وسدوا عليه طريق فراره .

وقرروا عليه سبعمائة الف دينار احرر . سوى ما يلزمه من تواع ولوازم هي
أكثر من ان تحصر

قال انوشيروان : فامرني السلطان بالسير الى همدان لاستيداء هذا
المال . وعاد السيد ابو هاشم وهو شيخ كبير قد ضعف بصره . واختل
نظره . فعمم عنده ما قرره عليه واستكثره . فحضت له النصيح وضمت له
النصح . وعاقبته على مساعدته . وعاهدته على معاضدته . ووعده بالسعي
في اصلاح حاله . وانجاح آماله . ونقد سبعمائة الف دينار عتيق في سبعة أيام
من موجود خزانته . ولم يستعن بأحد من أهل مدينته . وحثاً على السير .
ولم يأذن لنا في المقام اليسير . فحين اوصلت المال الى خزانة اصفهان . ولقيت
السلطان . شافته بحقيقة امره . وعرفته اختلاف اصحاب الاغراض بالباطل
في حقه . فامر السلطان باعادته . الى رئاسته . ومنصب سيادته . وسير اليه
الحلج السنية والتشريفات الثلاثة بشرفه . وأخي متلد مجده بمطرفه

قال : ولما حصل ذلك المبلغ في الخزانة سلمها الى . وعول في دخلها
وخرجها على . فتوليت الخزانة والركي ذوكية فيها . وكذخائفة الخزانة
به منوطة . وامورها باماته مربوطة . ولما سار السلطان الى بغداد قتل
بالركي هذافي سوقها فقتل في الحال قتله . ولم يعرف من اى وجه غائته غوائله .
قال : وقد سبق القول بأنه لم يخلص من طعن الخطيبي سوى مختص الملك
الكاشي . فلم يثبت على تلك الحالة فانه شرع عند السلطان يقدح في دينه .
ويجري من الشر في ميادينه . ثم انه قد نقش في لوح خاطر السلطان ان
الباطني لا يعرفه غير الباطني فاجتهد حتى دل على رجل من الباطنية من
الحوف . ختف . وفي بعض الزوايا مكثف . فاحضره وآمنه . وقوي نفسه

بما أمكنه . وقال له « لا بأس عليك ولا سبيل للأذى إليك » ووقعه أساي مائة
نفس من خدام السلطان . وأعيان البلدان . وقال له « اذا سئلت عن ترفه
من الباطنية فاذا ذكر هؤلاء . وعدم على الولاء » فردده الى موضعه وقال
« لا تخف فانك ان أخذت أميكتك . وان أخذ منك أعطيتك » فلما عاد
الرجل الى مكنته حضر الخطيبي عند السلطان وقال : « قد دلت على رجل باطني
في موضع كذا وأرجو أن يقع قلعة يفتح علينا بشئ من أمر الباطنية » فامر
الحاجب بانفاذ من يأخذه فاخذ واحضر وسئل عن يرفه من الباطنية في
البلاد والعسكر فاعاد مائلته من الخطيبي وأجري ذكر مختص الملك أبي نصر
والصفي القمي أبي الفضل نائب الخطير في ديوان الاستيفاء وكذلك عد قريبا
من مائة من المدروفين فاخذوا وسلخوا الى الأتراك . وتصرفوا منهم في الدور
والاملاك . وتشتت أهلهم . وتفرق شملهم . وفي أثناء هذه المكيدة
والحيل نزل الخطب بالخطيبي وضرب بفتنة بسكين سكنت حركته . وأسكنت
نামته . واشتمت به خاصة الزمان وعامته . وبقي المكذوب عليهم في السجن
شهورا . وانتقم الله ممن جاء في أمرهم بهتاناً وزورا . ثم تبين للسلطان بعد
قتل الخطيبي انه كان محالياً مستحلا . مستبد بالاختيال والاعتقال مستقلا .
وعرف ان ذلك الباطني ذكر من ذكره بتلقينه فندم السلطان ولات
حين مندم . وأمر بالاخراج عن أولئك المساكين . ولم يسمع السلطان بعد
ذلك حديثاً في اعتقاد . ولم يصدق نسبة مسلم الى الحاد . واذا جري عنده
حديث الباطنية قال « انهم في القلاع وهي موضعها ونحن نقصدها وتعلمها »
وشغف بمحاصر حصونهم وفتح قلاعاً لو بقيت الى الآن في أيديهم لم
العالم الكفر

قال : وكان شمس الملك بن نظام الملك أخو الوزير حاضراً و كنت متولياً لمرض الجيش فقتل هذا المنصب منى اليه بعد أن أخذ منه القى ديناراً خدمة أوصلها الى الخزانة وبقى في قلب السلطان من مخصص الملك شئ من الارتباب به لم يزل . ومن يسمع يحل . ولم يكن ظهرت بعد احتمالات القاضي فأزال السلطان اختصاص المختص . وتعمد قواهم شغله بالحص . وكان الامير العميد محمد الجوزقاني عميد بندا فاستدعاه ونقل اليه منصب المذكور . واعتمد عليه في تلك الامور . وهو منصب الطغراء . وليس أكبر منه بعد الوزارة الا منصب الاستيفاء . ثم الطغراء . ومن جملة ديوان الرسائل والانشاء . ثم الاشراف ثم عرض الجيش . والطغرائي هو وزير السلطان في الصيد لنية الوزير وعليه الممول . فصار الامير العميد طغرائياً . وكان من كبوة التضائل عرياً . وتولى أيضاً وزارة كوهي خاتون بنت الامير اسماعيل ابن ياقوتى زوجة السلطان وكانت وزارتها أيضاً منوطة بكفاية المختص فصرف من الشغلين . وتسلم الامير العميد المنصبين . وهذا محمد الجوزقاني كان ولد خطيب جوزقان . خرساني المولد والاصل وانما كانت الرغبة فيه لخرسانيته . لا لانسانيته . وتعرف الى السلطان بالمذهب الحنفي ومشاغبته فيه . وادلاله بالتعصب بين ذويه اذا سلم عليه واحد لم يسمح له برد السلام . حتى يقول له ما مذهبك من أهل الاسلام . وكان قبيح الجبه . شديد النج . صفيق الوجه . كابي براقتى في ثلونه . وكالمعق في ثقله . وكالذب في ثوبه . وهو خارج عن الحد في تعصبه .

قال : وكان قد خلص زين الملك أبو سعد بن هندو من الحبس . ونزل في المعسكر بنير شغل ثم داخل صدور الديوان . واستولى على المكانة

والمكان . وكان خاليًا من أدنى فهم . جاهلا بكل علم . ومن جملة ذلك أنه سلم اليه كتاب قرار ليكتب خطه بما جرى من قرار الديوان فكتب كذا الاستقر بالالف واللام وكتب فلان بن فلان

تمس الزمان لقد أتى بسجاب وعما صنوف العلم والآداب
وأني بكتاب لو انطلقت يدي فيهم رددتهم الى الكتاب
وكان الوزير ضياء الملك رجلا سهلا المحبة . صادق اللهجة . اذا جلس في صدر وزارته . وأحقيق الصدور بوسادة سيادته . أثار دفته . وحسن سمته . وكان كل منهم اذا اجتمعوا سلقوه بالسنة حداد . وكلدوا ورده فيما هو قانون الوزارة من الاستقلال والاستبداد . قال : ولما لم يكن مباشرته للوزارة صائبة . وكانت الآمال في نجيحه خائبة . لم تلق مدة ولايته تمكينًا ولقي بعد صرفه اثنتي عشر سنة مسجونًا . ولقي أضاعف كرامته هوانًا . ولم يصادف من زمانه واخوانه الاخوانا

قال : وتوفي الامير السيد أبو هاشم الحسنى رئيس همدان فقتل من خزانته الى خزانة السلطان بعد ما آذاه مبلغ مائتين وخمسين ألف دينار وما أثر ذلك في حال بيته . وقام حيه بتأثيل مجد ميته . وزاد تقرب السلطان لولده . وقوى يده على رئاسة بلده . وظهرت غايل عصيان ملك العرب صدقة بن منصور بن ديس بن علي بن مزيد الاسدى وذلك في سنة ٥٠٠ هـ فتغير رأى السلطان فيه حتى جرّ اليه عسكره . وكدراليه مؤرده ومصدره . وجرت بينهما وقعة غلبه السلطان فيها وقتله . واستضاف مملكته الى مملكته . واستخلص ما كان في يده من ولايته . وحيز أقليمه بقلم الحيازة الديوانية . وتصرف فيه كتاب الدولة السلطانية . ومزقوا بالتبذير تلك الاموال الجزيلة

وخرّبوا بسوء التدبير تلك الاعمال الجليلة
 قال : وقد كثر تمجبي من السلطان يتأتى في تخير كلاب الصيد وفهوده .
 وانما يقتى منها ما يراه موافقاً لمقصوده . فيسأل عن فروعه وأصوله .
 واتقطاعه ووصوله . فما باله لا يتخير لديوانه . ومراتب سلطانه . من الكفاة
 الأفاضل . والصدور الامثال . من عرفه ذاك . وعرفه ذاك . وعرقه كريم .
 ومجده قديم . وطريقه في الكفاية مستقيم . لقد كانت هؤلاء أولى
 بالاختيار . وأجدر بالاختبار . فأنهم أمناؤه على مملكته . ووكلاؤه على
 دولته . وسفراؤه في خدمته

— ❦ — وزارة خطير الملك أبي منصور محمد بن الحسين الميمني ❦ —

قال الصادق عليه السلام : كل شيء يحتاج الى العقل الا الدولة . قال :
 وقد عرف انه معدم من كل آلة وأداة . غير لائق برعاية يراعة . أو الاقة
 دواة . حمار راح . جانح جامع . عضوض رفوس . حرون شمسوس .
 معدن الفش والدغل . منبع المكر والحيل . وكان قد وزر مرة أولى .
 وعرفوا ان يده في القصور طولى . لكنه توسل في هذم المرة لعوده الى
 الوزارة بجنس توصل بن جبير في الوصلة الى نظام الملك بابنته . وهذا لم
 يكن له وصلة شرعية ولكن تم له الامر بمثل وسيلته . والى ذلك أشار بن
 الهبارية في وزارة بن جبير
 قل للوزير ولا تفرعك هيبته وان تعاضم واستلى بمنصبه

لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثاية فاشكر جرأصرت مولانا الوزير به
 وكان رجلا جسيماً ملء التابوت . وعقله أوهن من بيت المنكبوت .
 فاذا استند الى مسنده في الديوان . اعتقد انهما مسندان محشوان
 وزير غاص في شحم ولحم ولم ينسب الى عقل وفهم
 اذا لبس الياض فعنل قطن وان لبس السواد قتل فحم
 وكانت علامته الحمد لله المنعم . وكانت له في الجهل نواذر شوارد .
 وبوادر بوارد . ومن جملة ذلك انه كان يوماً ببغداد راكباً في زى حسن .
 وموكب خشن . وجمع جم . وبهم وذم . وجلال الدين عبيد الدولة أبو
 علي بن صدقة الذي وزير المسترشد مسيره . والجند قد عقدت بروايته
 ورويته اسماعه ونواظره . فانتفت الخطير الوزير وقال « قد أشكلت على مسألة
 لا بد من حل أشكلها . وانشاط قلبي من عقاليها . هذه الواطاة سنة قديمة
 سبق اليها القدماء . أو رسم مستحدث أحدثه السفهاء » فقال له بعضهم « هذا
 رسم قديم لقوم لوط » فقال الخطير « ومن كان لوط » فقالوا « نبي من أنبياء
 الله » فقال « متى كان قبل نبينا أم بعده » قالوا له « كان نبينا صلى الله عليه
 وسلم خاتم النبيين . وسيد المرسلين . ولا نبي بعده » قال « فما الذي قال
 فيه » قالوا له « قد أنزل الله في قوم لوط إيتكم لتأتون الرجال شهوة
 من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون » قال « ما معنى تجهلون » وكان عجباً
 لا يعرف كلمة عربية فقالوا له « أي لا تعلمون » فقال « هذا حسب فلا امر
 اذا سهل وعذر فاعله انه ذو جهل وأنا اعتقد انه أعظم وزراً وأقطع أمراً »
 فانظر الى جهالته في ضلالتيه . وزارته في وزارته . وكان مهذاراً مكثاراً
 لا يستر شواراً . ولا يحذر عثاراً . وما كفاه ذلك حتى استتاب بن الكافي

الاصه باني الناقص الملقب بالكمال . الطويل بغير طائل . والقيم الذي كان له
 عند الكرام طوائل . طناز غماز . هماز لماز . وكان من نواب الدهر .
 كونه نائب الصدر . بمن بان أخته تحت الوزير . وهو بذلك بالغ القدرة
 والقدر . وهو من الذين قال ابن الهبارة فيهم من آيات في ذم أصفهان
 بلد أبو الفتح الكيم عميده والقاسم بن الفضل قيل رئيسه
 وطريفة الكافي الطويل وشيخه مع انه دنس المحل خيسه
 وابن الخطيبي الصغير محله قاض وجرو المندوى جلسه
 فاتفق جميعهم على الوقية في زين الملك ابي سعد بن هندو . حتى بلغوا
 في مكروهه ما ودوا . فباحوا بسر سرائره . وحملوا السلطان على أخذه
 بجرائره . وانما تمشى لهم السمي فيه بما كثروا عند السلطان من ثروته . وقالوا
 اننا نقل ما شئى الف دينار الى الخزانة من خزانته . فأمر السلطان بأخذه
 وتسليمه الى التوناش . وأوقعه في مخب ذلك البطاش . فحمله من اصفهان
 الى مدينة ساوه وصلبه يوم الجمعة في شارعها . فلما قتل تصرفوا في ماله .
 وتدينوا باستحلاله . وأنسوا السلطان الماشى الف دينار . وتحكم ابن الكافي
 في ذلك المال . واستوعبه الكمال على الكمال . وأعيد في وزارة الخطير ديوان
 الاستيفاء الى ميين الدين مختص الملك فتولى بعد الدزل وتمكن من الشغل
 وعيّن بهم ابو طاهر الخاتوني في آيات فارسية قال الامام عماد الدين :
 وعربت بعضها وقلت

صدور ما بهم للملك أيراد واصدار

خفاف لو نفختهم وهم في دستهم طاروا

رأيتهم كما كانوا وأعرفهم كما صاروا

وكان الاستاذ الموفق ابو طاهر الخاتوني من صدور الدولة . وأعيان
 المملكة . وأفاضل المصر وامثال الدهر . ذافصحة وحصافة . واطافة وظرافة .
 في النظم والنثر جامعاً لادوات خدمة الملوك . خيراً في مناهج المناهج
 بالسلوك . قد قلب الأمور ظهراً لبطن . وجرب الخالين من قوة ووهن .
 ولم يزل منذ نشأ والى آخر عمره صدرأ كبيراً . ومشاراً الى صوبه وبالصواب
 مشيراً . وما زال الخاتون مستوفياً . وديوان السلطان بكفائته مكنتياً . فلما
 تولى هؤلاء عرفوا نقصانهم عند فضله . وانخفاض محلهم في البراعة عند
 ارتفاع محله . وعلموا انه لا يقضى عن عيهم عينه . وانه لا يقضى الا من
 عروض عرضهم ان قارضوه أو عارضوه دينه . فتخلوا من تربيته وانتقاده .
 وتخلوا بكل طريق بعد تقريبه في ابعاده . فتخلوا له من جرجان شغلاً .
 وعدوه له أهلاً . وجروا الى جرجان . جرجان . ونقل من أعز مكانة الى أذل
 مكان . قال الامام عماد الدين رحمه الله . وشكا في آيات عجيبة أعجم حظه
 واتهامه . واقلل قلمه واعدامه . فزربتها وقلت

لمرتبة الكلب في عصرنا على رتبة نحن فيها شرف

وما عاد ذو قلم مفجعاً فان الملاح لطبل ودف

قال : وكان مختص الملك . قد شمر جفنه للشعر فيه فماد كانه شكل
 مثلث في عين رأسه . فقال فيه الموفق الخاتوني بيتاً بالفارسية مشتملاً على
 معنى بديع وهو انه ينظر من مثلث عينه الى الناس نظر ترييع فقلت

لصدر الصدر ضيق في اتساع ويطمع في كمال من قصور

على التثليث ناظره ولكن من الترييع ينظر في الأمور

قال : وما زال الوزير يصنى فيه الى السعاة . ويسيم في مرعى سمعه

شرح الوشاة . ونسبوا اليه التقصير والتخطيط . والافراط والتفريط . وأحال
الوزير عليه بمائة ألف دينار واتهم في أمره القرصة . وأخذ في استدعائه
من جرجان الرخضة . فاستحضره وتشدّد في إرهاقه . واستصنى ماله فماد
ذلك باملاقه

قال الفتح بن علي البنداري الاصفهاني منتخب الكتاب : رأيت
بخط جدي رحمه الله ان موفق الدولة قال في تلك الحالة ألياناً مطبوعة
بالعربية ومن جملتها قوله

نهبوا ماملكت في بغدادى واستباحوا ذخائري وعنادى
فأنا اليوم غير ذقني وسنى مثلاً كنت ساعة الميلاد
وهما الآن رهن قلع ونف تحت هذا الابراق والارعاد

قال : فأحوجته الحوالات عليه الى الاستقراض . وانضاف اشتغال ذمته
الى الانفاض . وكان للاستاذ الموفق معرفة بالكمال السيميرى وبينهما
صداقة صادقة . ومودة صالحة من كأس الصفاء غابقة . وسيأتى ذكر
الكمال عند انتهاء ديوان الاشراف اليه فى الايام المحمدية . وعند استقلاله
بالوزارة فى الايام المحمودية . ولقد كان من أوسع الصدور صدراً . وأرفعهم
قدراً . وأحسنهم تدبيراً . وأجملهم تأثيراً . وكان يلقب بـ بزم الدين وهو فى منصب
مشهور . ومذهب فى السماح مشكور . فلما أُملى الموفق كتب اليه ألياناً
ذكره فيها بحقوق خدمته . وعقوق حظوته . وشكافها حاله . وهجا الوزير
وأشكاله . قال عماد الدين . ولم يأت لى تعريبها : ولم يأنس بخاطري غريبها .
فأضربت عن ضربها . لما عصاني ضربها . وله فى شكوى حاله . ما عريت
معناه نسجاً على منواله . وقلت

وكم يذيق في خدمة الشاه ساعة تفرز لما صار في سابع الدست
 ولى أخدم السلطان سبعين حجة وها أنا حتى للاضافة كالميت
 قال : وملاً هذا الوزير الخطير مخازن مخازيه . والكامل بن الكافي
 موازنه وموازيه . ولم يكن عنده من الله خبرٌ . ولا في قلبه من الدين أثر
 وكلما طال عليه الدهر تطاول على فيه حتى تأسست بالشر مبانيه . وحلت
 له مكاسب لا يرضى المجانين بها مجانيه . والسلطان لهم كارهٌ . وضميره له
 بما هم فيه مشافهٌ .

﴿ ذكر جلوس شرف الدين أنوشروان بن ﴾

« خالد في نيابة الوزارة »

قال أنوشروان : فراسلني السلطان بخادم من خواصه . وشكا من
 الوزير اعتياد اعتياصه . وقال « هذا الوزير قد أيست من فلاحه . ولا مطمع
 لي في اصلاحه . وفي كل وقت يحكم في بيتي من أولاد الكافي . غير كافٍ
 واذا رمت وفيأ جاء فيه منهم بجاف . وقد عرفت يا أنوشروان طريقتك .
 وعلمت حقك وحقيقتك . وأنا أوتر أن تنوب من قبلي في الوزارة . وتعر
 ما بيني وبينك في السفارة . حق الهارة « فقبلت الأرض . وأديت في تولى
 خدمته وشكر نعمته الفرض . وقدمت عذراً لا تفتأ بالحال . فلما انكره
 سارعت الى الامثال . وكان السلطان كريماً حليماً . لا يمجى . وتأخذ من

ينحونه وان كان بحاله عليا . فحفظ قلب الوزير في نيابة ابن الكافي لما عزله .
وكان في نفسه مؤاخذته بالمال الذي اختزله . مراعاة لقب الوزير . ومحافظة
على خطر الخطير

قال : وجلست في النيابة عنه . على الكره منه . وكان احترامه للوزير
لا تبجيلاً . بل تدفيعاً للوقت به وتأجيلاً . فأجلسني في الديوان مكرماً .
وعلى الصدور مقدماً . لكن الوزير اعتقد أنني للسلطان عليه عين . فهو
يستثقلني كما ثني من له قبله ثأراً أو دين . وكانت صحبته لي على مضض . وصحة
ملاقاته لي عن مرضي . وصدور الديوان عن يمينه ويساره . ومؤثرون
لا يثاره . يبدون لي بشري . ويضمرون لي شراً . واتفقت كلمتهم مع اقتراق
طبائهم على مضادتي . واعتقدوا حصول محابهم في محادثتي . فلما
اشترت بشعيرتين سبالهم . ولا شغلت بالي بما شغلوا به بالهم . ولما عجزوا
عن ايقاعي في مصايد المكاييد . شرعوا في تمويق الرسوم والقوائد . وتوقفوا
في توجيه واجباتي من الديوان . وتوافقوا على قطع ما أطلق لي من صلات
السلطان . فكنت أنسلي بقول القائل

إن لله غير مرعاك مرعى نرتعيه وغير مائك ما

إن لله بالبرية لطفاً سبق الامهات والآبا

قال : ولم أخل من قصد الجماعة في نوبتي الوزارين الضيائية والخطيرية .
وما زالت تأتي منهم قوارض الاذية . وكان بين الوزير الخطير وبين المعين
المختص مناوأة ومناوأة . ومواحشة ومناوأة . وما كان يقدر أحدهما مع
المبالغة في قصد صاحبه ان يبلغ فيه غرضه . وكانما يخفي مرضه ومضضه .
حتى مال الوزير الى كمال الملك الشيمى فصار بينهما موازرة في أمر المعين .

ومشورة في تكدير ذلك المين حتى بلغ فيه ماتمناه . وخلصى يفتخر بزب
مولاه (وسأني شرح ذلك في موضعه) وتوفى الامير العميد الطنرائي في
وزارة الخطير . وخد شرزشره المستطير . وجلس مكانه في ديوان الطنراء .
وصدر الانشاء . الاستاذ أبو اسماعيل الكاتب الاصفهاني وكان ذا فضل
غزير . وأدب كثير . وكان في حياة الامير العميد منشأ على سبيل التباة
عن الطنراء . ثم تولاه بالاصالة متصدرا في دست العلماء . وكان مع ذلك
بطي القلم كليله . ملثا الخط عليه . وهتف به أبو طاهر الخاتوني في نظمه .
وسلط سفه الهجاء على حلمه . وأشار الى القلم في يده وقال كأنه وهو يجره
برجله . مذبذب يماقه بجرمه . وكانت بنيتها اية . ورويته روية بحية .
فاذا أنشأ تروى بطيآ . وتفكر مليآ . وغاص في بحر خاطره ثم أتي بالمعاني
البديعة . والاستعارات الغريبة . وسندكر أحواله فيما بعد . وحال الوزير
الخطير لما خانه السعد .



ذكر تولى كمال الملك على السيمري أشرف مملكة السلطان

محمد بن ملكشاه وابتداء أمره



قال : كان كمال الملك على بن أحمد من مدينة قزوين قرب أصفهان يقال لها
سيمر أهلها ذوو فطرة زكية . وفطنة ذكية . وكانت هذه المدينة في معيشة
كهر خاتون زوجة السلطان وأبو كمال الملك زارع غلاتها . وقابض ارتفاعاتها

ووزيرها حيثئذ الأمير العميد والكمال لسبب شغل والده وانجاح مقاصده متردّد إليه متودّد . ومتصدّد لأموره مسدّد . فاستجلاه واستجلاه . واستكفاه وأحمده . واستنابه في خاصة حين استبان نصحه . واستوضح في ليالي نوابه بالنجح صبحه . فوفر ماله . وثمر حاله . وجعل له في الميون هبة . وفي الصدور رهبة . فبقى الأمير العميد لا يعتمد في أموره الا عليه . ولا يسكن الا اليه . فلما اتفق مسير الأمير العميد الى بغداد في تولى العماره لم يكن له بد من اقامة نائب في وزارة كهر خاتون يلزم الدركاه . ويقم له بخدمته عنه الاسم والجاه . فرأى ان الكمال أوفق وأوثق . وأشقى لصدره في التصدر وأشفق . فاستنابه على انه لا يستمين فيما ينوبه الا بالمعز . وكان المعز ابو نصر احمد بن حامد رحمه الله عمي اول ماشب ومضى في البلاغة شباه . وعقد بحب البلى جباه . وصرف اليراعة بنائه . وعرف البراعة بانه . وهو في الديوان الخاتوني نائب على الاصل يحكم . وشاب عند عند مشايخ صدور مجهلون ما يعلم . فلما تولى الكمال نيابة وزارة كهر خاتون انضم اليه المعز فضم نشره . وحسن اثره . وأرشدته ودبره . وكان الديوان الخاتوني في الوزارة العميدية خاملا خادماً ماله غير رواتب موظفة . ووظائف مرتبة . ومعايش مرسومة . وعوائد معلومة . ليس لنوابه في غيرها أمر ولا نهى . ولا لوزاده من سواها شرب ولا ري . وخاتون راضية بالهدو . متناضية عن الثمو . ففرقها الكمال ما في الحول من ذهاب رونق السلطنة . وعزل ولاية القدرة المتمكنة . وكانت هي ابنة الملك اسماعيل البغائي من آذربيجان . وكان كبير الشأن . فقال لها : قولي للسلطان ان اجناد آذربيجان من صنائع والدي وأشياعه . وهم صاروا متبوعين فقد كانوا

أُمس من أتباعه . وأريد أن تكتب منشوراً بأنهم في اهتامي . وإن امر معايشهم
 بـ يرم بـ إبراهيم « فأجاب السلطان سؤالها . وكتب لها مثالها . فسيرت الكتب
 السلطانية . وأمر بخدمتها الامراء الأذربيجانية . فبادروا الى بابها بتقبل
 العتبة . وتأميل المرتبة . ووصلوا بالهدايا والتحف . والالطاف والطرف .
 وازدحمت على بابها وفود الملوك . واتسق الى قصدها سلك الفج المسلك .
 فرأت من الدولة شيئاً ما رأت . ورعت من الدولة روضاً ما رعت . فبركت
 بموضع كـال الملك . وسمع الامير العميد بان نائبه قد جاءه الجاه . وقبلت يديه
 الشفاء . فقام وقعد . وابق وأرعد . وكتب بصرفه . والنض من طرفه .
 ومطالبته بفرعه . وعمل الحساب وورقه . فلم تلتفت الخاتون الى قوله في كتابه .
 ولم تكثر بخطابه . وكتبت « ان هذا النائب عندي مرضي . وحقه مرعي .
 فما لك ان تصرفه . بل عليك ان تعرفه . وتعرف له حقه وتنصفه . وهو ان
 حاققته فليس لك بنائب وانما هو شريك . وان امرنا بالانكار ان قصيدتك
 أو شيك وشيك . وأنت تعلم أيها العميد ان دور الحرم . مبرمة لها معافد
 المعصم . محكمة لها قواعد المظم . فاي مجوز ان يتولاها في كل قريب غريب .
 وما يحسن ان يتجدد في كل حين لها مستتاب ومستنيب . وهذا عرفناه بك
 فالاولى ان تبقيه . والابقي لجاهك ان توليه »

فعرف الامير العميد ان الامر خرج عن يده فجدد للكمال بشغله .
 منشورا . وطوى من شره فيه ما كان منشورا . وكتب الى خاتون « أن الآن
 قد قوى أملي حيث مكنت نائبي . وعرفت ضجة صاحبي . واني ما أردت
 صرفه وانما أردت تهذيبه . ورمت تجريه . وقد وفرت عليه ثلث الرسوم .
 وأشركته معي في أصل القرع المعلوم » فاستقل الكمال واستمر مريره .

وثاب سروه وثبت سريره . . . وبقى كذلك متولياً مستولياً . . . ومتغلباً مستغلباً الى ان قضى الامير العميد نحيه فسولته وزارتها بالاصالة . وخصته بالايالة . ثم تصببت له عند السلطان حتى ولته إشراف للملكة فدانت له الامم . وأطاف به الحشم والخدم . وصار السلطان يكتب اليه خطه . ويطلعه على حالتي رضاه وسخطه . ثم شوش على أرباب المناصب قلب السلطان حتى تغير رأيه في وزيره الخطير . وردّ وردة الى التكدير . وتقله من بنى جنسه الى بناء سجنه . ومن مجلس عزه الى محبس عزله . وسلمه الى الامير الحاجب عمر ابن قراتكين ليخرجه ويستخرجه . وليروج ماله ويورجه . قال : ونظم أبو طاهر الخاتوني بيتين فارسيتين غربتهما وقلت

كان حماراً وزيرنا ومضى فما يملك السلطان من خلل
لكنما في صدور دولتنا ليس لذلك الحمار من بدل

وكان شمس الملك عثمان يمين نظام الملك قد بقي في حبس الوزير سبع سنين فأفرج عنه ليوافق الوزير على أوزاره . ويقرب خطي الخطير الى اخطاره فكان حبس ذلك لهذا فرجا . ودخوله في المحبس له مخرجاً . وجمع السلطان أمراء دولته وأرباب ديوانه وفاوضهم في وزير يقوض اليه وزارته قال انوشروان : فاجمعوا على ان اكون المتكلم عنهم بالصواب . والمبلغ للخطاب . وكان رأي ماثلا الى مثل ما حكى عن المتضد . انه كان قد حرض على عبد الله بن سليمان وسعى عنده عليه . وكان يقول « اذا فكرت فيما ينتقض من التدبير . ويضيع من الامور بين صرف وزير وتقليد وزير . وان كان المتقصد اكفى اضربت عن نكته » فاتفقوا ان اكون الناظر في الامور . ومتقصد مصالح الجمهور . ومنفذ الاوامر . وجامع شمل الاكابر والاصاغر . وان

المنشئ* والمشرف يكتمان بخطى وتمثلي . ويتألان في شغلها بتأيلي . حتي يُقضى كل مهم . ويُقضى كل ألم . وبقيت الرعية مرعية . والسيرة رضية مرضية . والدهاء ساكنه . والغبراء آمنة . وطال حبس الوزير تلك المدة . ولقي الشدة . وكان خلف الزمان رجلين من أولاد الكافي من بقايا السيوف . وزوايا الختوف . فحبسها السلطان معه وأختها التي كانت زوجة الوزير على مائة وخمسين ألف دينار . وسامهم في تلك المصادرة كل خسار وصغار . وباح السلطان بما كان يُضمره من أمر الوزير ولا يظهره . وكشف الغطاء عما كان يستره . والزمه بتطبيق زوجته ابنة الكافي . ورماء من مفارقتها بثلاثة الأثافي .

قال : وكانت الدولة السلطانية قد شارفت انقضائها وانقضاءها . وقارب خطو انتهاءها . لما قاربت انتهاءها . وبدأ بالسلطان مرض طويل اضناه وأتحله . وألهاه عن المملكة وأشغله . ووقع القناء في أمراء دولته . وأكابر مملكته . وبقي السلطان من مرضه في ذوب . ومن عيشه في كدرو وشوب . فأراد أن يولي وزيراً يوصي اليه بولي عهده . ويستكني به مهام الدولة حيث علم أنه لا يستقل بها من يقوم من بعده .



ذكر وزارة ربيب الدولة ابى منصور ابن الوزير

(ابى شجاع رحمه الله)

قال عماد الدين رحمه الله : ذكر والدى أن أرباب المناصب لما عرفوا ميل السلطان الى تولية وزير يكتفى بالمهام . ويحفظ النظام . ويكفل الامور العظام . خافوا من استنامته الى بطل بطاش . ومستجيش بثبات جأش . وانهم يباون إما بذى حنق عليهم . وإما بذى فرق منهم فيدب كيده اليهم . فحسبوا للسلطان طلب وزير من تربية دار الخلافة فانه ليس بالحضرة من يصلح لهذا المنصب . فاستدعى ربيب الدولة من بغداد الى اصفهان . وسد به المكان . فصار له اسم الوزارة بالوراثة . وكان لافتاً بتلك الدولة المريضة الملتأنة . وكانت علامته الحمد لله على النعم

قال : قال انوشروان وكان قد بقى من أيام عمر السلطان مقدار اربعين خمسين يوماً وقد استحصد زرعه . وانتسخ شرعه . فجاءوا بهذا الصنم ودسوه في الدست . وقصدوا بترقيته شغل الوقت . واتفق موت الكفاة . وضهم جبل الوفاة . وتناثروا تناثر ورق الخريف . وتفرقوا تفرق سحب المصيف . ولم يبق في تلك المدة اليسيرة من المعروفين كبير . ووصوف . ولا من الامراء الا كابر معروف . فصار الاتباع اصولاً . والاقطاع نصولاً . والدارايء شوساً . والاذناب رؤوساً . ولم يبق في الدولة من القدماء الا مختص الملك المستوفى . والاستاذ ابو اسماعيل الطغرأتى . فلما المختص فاتهم عزلوه . واعتقلوه . وقرروا عليه خمسين الف دينار للخزانة ثم أخذوا خطه بأنه لا يخطب ما عاش

عملا . ولا يستنجد ما طال أمد عمره أملا . وخلقوا سيبله وما خلوا له الى
ثروة سيلا . وأخذوا ما كان له فلم يتركوا له كثيرا ولا قليلا . فأفلت بجزية
الذقن . وعدت سلامته من المنح في تلك المحن . فتولى ديوان الاستفتاء كمال
الملك الشميرى . وعلا منه الامر . وحل له المر . واستقل واستقام . وسما
وسام . ورمى ورام . والوزير هين لين . وعجزه عن البطش بين . وكمال الملك
فارس ذلك الميدان . وحكم ذلك الديوان .

وأما الاستاذ ابو اسماعيل الطنراقى فانه لما لم يروا في فضله مطعنا . ولا
على علمه من القدح مكننا . اشاعوا بينهم انه ساحر . فحواله في السحر عن
ساعد الخندق حاسر . وان مرض السلطان ربما كان بسحره . وانه ان لم يصرف
عن تصرفه فلا أمن من أمره . فبطلوه وعطلوه . واعتزلوه وعزلوه . وعاد
الخطير الذي كان وزيرا يمد الطغراء خطه . ولم يضره عن درجة الوزارة خطه
وكان قد خلا دركاه السلطان من الامراء والكبراء فانه كان شغلهم بمحاصر
قلعة الموت مع الامير الكبير . انوشكين شركير . ولقد كان شهما شديدا .
وسهبا سديدا . وسما ذعافا على العدو . وموتا زوا ما على أهل الاحاد والعقوت
ولولا موت السلطان لتسلط على الموت . ولم يترك فرصة فتحها ان تقوت .
وهو في ذلك لها حاصر . والله له ناصر . فصير السلطان على ابن عمر حاجبه
الكبير . وأسى مكانه الاثير . وكان أمير البار يعني أمير الاذن وأمير البار
هو الاذن عن السلطان اذا اجتمع الاكابر . والامير الحاجب الكبير هو الذى
يسمع مشافهة السلطان ويؤديها الى الوزير فهو الناهى الامر

قال : ولما مضى شهر اشتد مرض السلطان وبلغ الرجاء فيه اليأس . ووجد
بالعدم الاحساس . وأصبح يعد الانفاس . وأمر بالحجاب وحجب عن الامراء .

وأيقن ان القدر لا يرعى له زمام ما بقى من الدماء . ولم يكن يدخل اليه الا
الامير الحاجب على بن عمر بن سريمة فهو الذي يسمع كلامه . وينفذ بالتبليغ
احكامه . وسعى حديثه وصية وجعل نفسه وصيا . وعد مصدقه مطيماً
والمستريب برأيه الرائب عصيا . ولما قرب الاجل . وحل الوجل . ذكر الامير
الحاجب ان السلطان أمر باخراج مائتي الف دينار من الخزانة لارضاء الخصوم
واشكاთهم . والاستحلال من فقراء الرعايا وأغنيائهم . فقسلم ذلك المال
وقبضه . وتصرف فيه على ما وافق غرضه . وكان وزير الامير الحاجب
الكبير حينئذ أبو القاسم الدركزني ويلقب بزين الدين . فن ذلك المال
تمول . واستكثر العبيد والحول . وكان ذلك مبدأ غناه . وريمان نهج مناه .
وأمر المسكر بمباينة ولى العهد ومتابته . وطاعته ومشايته . وانه لا بد من
جلوته على السرير واجلاسه . ووقوف الامراء على رأسه . وقيل للسلطان
مرضك سحري . ومضضك خفي . وانما سحرتك زوجتك فاعضل دواءك .
وحملوا السلطان على ان يحلبها وسلمها . وجبها في بيت ضيق واعتقلها . وأثلف
عدة من حواشيها . وعصابة من جواربها . ثم أخرجوا خاتم السلطان وقالوا
انه أمر بنحتها . ودخل اليها من شد الوتر في حلقها . ومن عجيب القدر ومقدور
العجب . ان الزوجين توافيا ساعة واحدة على العطب . فالحاتون في بينها
خنقت . والسلطان على فراشه نفسه زهقت . وذلك في أواخر سنة ٥١١ وقد
كانت أيامه يأمن للايامي . ومراحم الليثامي . ورسومه جائزة غير جائرة .
وأحكامه راضية غير ضائرة . وحصاه رصينا . وحجاء رزينا . ودينه متينا .
وشرع علمه في العمل بالشرع مينا . وكان رجل السلقجية الكامل . وخفهم
البازل . وله الآثار الحميدة . والآراء السديدة . ولما حسنت سيرته . وكلت

دولته . وأصحت سبأؤه . وطالب هواؤه . وصفا ماؤه . وآلت الآؤه . أن يننى الفقير
ويجبر الكسير . ويفك قلاع الاسير . ويكف العسير . وينصر الاسلام .
ويكشف الاظلام . ويقلع الملحين . ويلبى اعلام الموحدين . قبض القضاء يده
وقصر أمله وأمدده . وغض بجره . وغيب بدر .

بين الصفائح والثرى ريحانة قد كان لي من قربها مستمتع
وإذا تذكرت الذى فعل البلى بجمال وجهك جاء ما لا يدفع
قال : وتوفى أمير المؤمنين المستظهر بالله رضى الله عنه بعد وفاة
السلطان محمد رحمه الله بمدة يسيرة . ومحولت الدولتان . وتفصلت الجملتان .
وخلف السلطان محمد خمسة بنين وهم محمود ومسمود وطغرل وسليمان
وسلجق وكل منهم تولى السلطنة سوى سلجق وسيأتى ذكرهم فيما بعد
إن شاء الله تعالى

ذكر جلوس السلطان مفيت الدنيا والدين أبى القاسم

محمود بن محمد بن ملكشاه عين أمير المؤمنين

قال : جلس على التخت مكان والده . واستقر من الملك فى أعلى وسائده .
وأحكم قواعده . وحضر الناس على طبقاتهم للثناء . وجلوه فى دست السنأ
والسناء . وقبلوا الارض . وأدوا من اقامة الرسم القرض . ووقف العطاء
والكبراء سماطين على ترتيب اقدارهم وقدر مراتبهم . وتناسقوا على درجاتهم
فى مراقى مراتبهم .

قال أنوشروان : وتقدم الوزير الريب وصعد الى السرير للتهئة وتقبيل اليد ونزل وتقدم الخطير بحكم انه كان وزيراً يفعل مثل ما فعل . وكان على كل حال للشيخوخة والتقدمة يستحق ان يقدم ويحبل . فراحه الكمال السهميري وأخره وتقدمه . ولم يعرف سابقته وخدمته للدولة وقدمه . فاقام الخطير رسم التهئة بعده . ولزم كل منهم في ذلك المقام حده . وأنا أيضاً أقمت رسم التهئة . ووفيت حق التوفية . وكان السلطان حينئذ في سن الحلم . متوقد الذكاء كالنار فوق العلم . مشرقاً وجهه مع صغر سنه بسناء العظم .

وفي ابتداء هذه الدولة انتقلت الخلافة الى أمير المؤمنين المسترشد بالله ابن المستظهر بالله رضي الله عنهما وبويع له وجدد تقليد السلطان على الشرائط المشروعة . والرسوم الموضوعة واجتمع أرباب الدولة السلطانية واصطلحوا على التحالف وتحالفوا على الصلاح . وأجالوا بينهم في مظاهرة البمض للبمض ضرب القداح . وكان أبو القاسم الانساباذي الدركزني وزير الأمير الحاجب على بارفصار يلقن مخدمه ويفهده . ويدله على طرق الضلال ويريه انه يرشده . ويقول ان الوزير والمستوفي ينبغي ان يكونا بحكمك . وهذا السلطان صغير ينبغي ان يكون تحت حجر . ولا يأمر الا بأمر . فادخل في رأسه مالم يخرج منه في آخر الامر الا السيف . فأول ما دبر انه ذكر للسلطان ان صلاح دولته في افساد عمه . وانه يئلب على دولته برغمه . وكان عمه سنجر السلطان الاعظم عماد آل سلجق وسلطته ببلاد خراسان الى العراق الى ما وراء النهر الى غزنة وخوارزم والترك قد عمت ونمت . ودولته قد علت وسمت . وهو شيخ البيت وعظيمه . وحافظ عزه ومديعه . فاحضروا الشهاب أسعد كاتب الانشاء وأمره ان يكتب الى خان سمرقند

وقالوا له انا نقصد السلطان سنجر وهو لاشك يتوجه الينا اذا توجهنا للقائه
والرأى ان تأتى أنت من وراثته . فيقع الخصم في الوسط ويحصل في التورط .
وكان هذا الرأي القائل . أول ما أدب الادبار وأهب دبورته . ومحامن
الاقبال جبره وأذهب جهوره . ومن جملة تدبيراتهم المدبرة أيضاً ان الامير
ملك العرب ديس بن صدقة بن منصور بن ديس بن علي بن مزيد
الاسدي كان مقيماً في خدمة السلطان منذ عشر سنين وقد سلا عن بلده
وقنع بما في يده . ورضى من السلطان بالرضى . واتقضي طمعه في ملك ابيه
الذي انقضى . وبلاد الحلة والولايات في تصرف نواب السلطان والامير
المجاهد بهروز الخادم الحصى نائب السلطان ببنداد والرياء آمنة والاذايا
• أمونة . والنعم راهنة والذمم بشكرها مرهونة . فبدلوا تلك القواعد
وجعلوا تلك المعاهد . وارثوا من الامير ديس وأعادوه الى العراق .
فقامت الحرب على ساق . وكتبوا ملطقة بالقبض على بهروز . ومحاسبتها
واستخراج سر غناء المرموز . وكل هذا عاد بالفساد وفسد الدوائد . وأفاد
التمحيق ومحق التوائد . والمفسدة اثلاثة ان بلاد فارس كانت على أحسن نظام
وأوفق مرام . وطاعتها شائعة . وشيعتها طائفة . والبذول فيها حاصلة . والحمول
منها متواصلة . واتفق في ذلك الوقت ان عاملها كان حاضراً بأصفهان فأشار
الدر كزني علي مخدومه بالقبض على العامل . ومطالبته بالمال . فأخذه
وعذبه . وما صدقه ان المال بمُدْمَدُّ بفارس بل كذبه . فلما نعى الخبر الى
أمير فارس طمع في المال وكان مبلتاً وأفراوضن برده واستوحش . وجاهر
بالعصيان وأخش . وكان للسلطان جسران بتلك البلاد فاستاقها . وأذخار
فاعتاقها . فاختل نظام الولايات الفارسية بتلك الآراب السيئة والاراء السيئة

والمفسدة الرابعة ان جماعة كانوا مقيمين في الخدمة من أمراء
مازندران وأمرأة الشبانكارية وهم جيل من جنس الاكراد في جانب بلاد
فارس . بلادهم ممتنة . وقلاعهم مرتفعة . وكان السلطان الماضي قد ألف
قلوبهم باحسانه . وقادهم باليد الى سلطانه . لانه كانت الطرق منهم مخوفة .
والفرقة منهم مألوفة . فأساء الدركزني وصاحبه ومن وازرهما اليهم فاشتطوا
عليهم . فنزروا وعادوا الى حصونهم . فأظهروا من الشر ما كان كمن . وجروا
من الفتنة ما كان سكن

والمفسدة الخامسة انه لم يخلف أحد من السلجقية ما خلفه السلطان محمد
من العين واللائث فتصرفوا فيه وتقاوسوا به وفرغوا الخزانة من العين .
في أقرب من شهرين . فلما ذهب الذهب فضاو ختم القضة وفضوها .
واستخرجوا وجوه الماملات الراجحة واستنضوها . ثم تصرفوا في المصوغات
من المالى والاوانى والآلات . ثم في الجواهر ثم في الثياب . ثم في الخيل
المسومة العراب . ثم في الجمال ولم يبقوا شيئاً حتى تفرقوا بأغنام التناج .
وتقاوسوا بالكباش منها والتناج . فصيروا الملك الآهل قترآ . وأضعفوا
بعد التني فقاره قترآ .

والمفسدة السادسة انهم قالوا ان هؤلاء ممالك السلطان لا يطبوا
بطاعتنا نفساً . ولا يجدون بمتابعتنا أنساً . فاحتالوا في شت شياهم وراموا كل
سهم منهم الى هدف . وكل سهم منهم الى طرف .

والمفسدة السابعة وهى المفسدة الكبرى ان الساكر التي كانت
مشغولة بحصار الموت وقد شارفت فتحها . وشاهدت نهجها . شرع
الدركزني في تقريبها ليلته الى الملاحدة . ووعدهم بالمساعدة . وأخذ

رخصة في قبض الامير الكبير انوشكين شركر وهو امير ذلك العسكر
فرحلوا عن الحصار بغير ترتيب وتبعهم اهل الموت فقتلوا خلقاً . وذهب
الباقون غربا وشرقا . وقلوا الى القلعة من المددالكثيرة والازواد والميرة .
مازید قيمته على مائتي الف دينار . ووصل الامير الكبير كندغدي الى
الباب . وكان عظيما من أولى الالباب . فولوه اتابكية الملك طغرل اخي
السلطان ثم حذروا السلطان منه خاف كندغدي على نفسه وعلى ملكه فادخل
به ساريا . وذهب متواريا . فلم يحوها بعد ذلك دار . وصار من ذلك للقلب
اشتغال . ولناز الفتنة اشتغال

والمفسدة الثامنة ان الامير قراجه الساقى سلموا اليه الملك سلجق اخا
السلطان وولوه بلاد فارس فلما سمع الامير قيصر بقدمه وكانوا قد ولوه
فارس من قبل هرب وحصل عند السلطان سنجر بنخراسان وهو متور .
ونفت شكايه التي هو بها مصدور

والمفسدة التاسعة انه كان للسلطان ممالك صغار . كانوا اقرار . وكان
عليهم من الحصيان الخواص رقباء . وعلى طوائفهم من جنسهم نقباء .
فاخذ كل واحد منهم عدة واقتسموا بالنيمان الروق . واقاموا ألف
سوق للفسوق

والمفسدة العاشرة انهم اخرجوا الجوارى المطريات . والاماء المغنيات .
من دور الحرم الى دورهم . وآثروا حضورهن مجالس حضورهم . وركبوا في
الفسق كل مركب . وذهبوا في الخزي كل مذهب . وتسلطوا على السلطان
واجترؤا عليه بما اجترحوه . وتمشى لهم بصوته كل ما اقترحوه

قال انوشروان : ذكر لي انه لما توفي السلطان محمد دخل الامير على

بار إلى خزانته فأخذ صناديق الجواهر النفيسة واليواقيت الثمينة فاودعها عند وزيره الدركزني فلما قتل على ما سنده حصل بها ولم يسأل أحد عنها

قال عماد الدين : وأذكر طرفاً من هذا الانساباذى وأنساباً ضيعة من إقليم الأعلم قريبة من دركزين فنسب نفسه إلى دركزين لأنها أكبر قرى تلك الولاية . ومظم أهلها أهل الإباحة والنوابة . وأكثرهم من المزدكية الحرمية . وشرهم شائع في البرية . وكان أبوه فلاحاً منهم فجاء به إلى أصفهان وعلمه الخط . والجراة والخطب . وما زال مخالطاً للمتصرفين عمراً ذا غمير . ووتراً في الشر أخاً وتر . ما أحسن إليه أحد الا قتله . وما آوى إلى جبل الاززله . وأول من استخدمه بين يديه كمال الملك السمرى . وعيى العزيز فلقى كلا منهما الامرين . وقابل بالاساءة منهما الحسين .

قال : وجرى وزير الوقت على تلك القاعدة في الفساد . ولم يرى مخالفتهم على المراد . وكان من خرقه وخرق أصحابه انهم جعلوا خطاب الامير على بار بوصى السلطان وسيروه أخص ألقابه فانه ألزمهم بذلك وقال يجب ان القب به وعزلوا الخطير من شغل الطغراء وناطوا به وزارة الملك سلجق المندوب إلى فارس مع الامير قراجة الساقى . ومقصودهم ان يبعدوه عن الدركاه فلا يقع منهم له التلاقي . وفي كل معاملوه لم يستظلموا رأى السلطان ولا استأذنوه . وحقروه واستضعفوه . وتواترت أخبار هذه التضاخ . وتواصلت أثناء هذه التباخ . فاتتني السلطان سنجر ليته الذى شرعوا في هدمه . وتحركت على ابن الاخ الشفيق الشقيق شفقة عمه .

— ذكر وصول السلطان الاعظم شاهنشاه المعظم —
 معز الدنيا والدين أبي الحرث سنجر بن ملكشاه عيين أمير المؤمنين
 (من خراسان الى حدود العراق وظفروه وعفوه وعوده)

قال : فانهى الى هذا السلطان المادل . الكامل الشامل . المحبوب
 الشامل . ان امر ابن أخيه محمود غير محمود . وان ملكه ان لم يتلاف . يؤد
 الى التلاف . مؤود . فصوب رايته صوب الرى . ونشر لواءه ليميد اللأواء الى
 الطى . وكان كالشمس أضاءت من مشرقها . وأثارت من أقصاها . فلما أطل
 عسكره على العراق . وسد عثيره جوانب الآفاق . برز السلطان محمود
 سرادقه . وعرض فيالقه . ولم ينب أحد فى تلك النوبة من المساكر .
 وتلاطمت أمراج بحارها الزواخر . وكان مقدي عسكر السلطان الاميران
 الاصفهلاران على بار ومنكوبرس وبينهما تباين . وتضاد وتضاغن . فلاجرم
 لاختلاف رأيهما . واختلاط أهولهما لم يستقم تدبير . ولم يتدبر تقويم .
 ولم يتفتح فى المصلحة تأخير ولا تقديم . ودرج الوزير الربيب فى تلك الايام .
 وسكن فى عى الحمام . وتولى الوزارة كمال الملك أبو الحسن على بن أحمد
 السمرى وذلك فى سنة ٥١٢ وذلك قبل المصاف بين السلطانين بثلاثة ايام
 وجرى أمره على نظام . فى غير وقت انتظام . وكان المسكران مشغولين
 بالتمية فلما التقى الجمعان . واختلط التعمان . انهزم عسكر محمود وكسر جيشه .
 وانكسر جأشه . ولما ضل عن النار فراشه . ظل كأنما على النار فراشه . وقتل

في الحركة جماعة مبرأون . وسلم المجرمون . فلما أصبح السلطان سنجر سأل عن ولد أخيه . ولم يحمد ما كانت من تأخره عن حضرته وتراخيه . فأرسل إليه رسولا لقبض زعمره . وبسط عذره . وأنه يؤثر حفظ قلبه والانس بقربه وتنفيس كربه . وأنه يتدراك ما فرط بالتلافي . وأنه يتم التقصى عن عهدة تلك الهنات بالتصافي . فاستخّر الله ولا تستأخر . واستأثر لقاء من على لقاءك لم يستأثر .

وكان أحاط أولئك المذمومون بالسلطان محمود لا يهدونه الى الصواب ولا يصوبونه الى الهدى . ويصدون عنه رى الرى ولا يروون منه الصدى . وكان قد سبق أبو القاسم الدرگزى صاحب الامير على بار الاعظمي فحضر لاصلاح امر صاحبه وأحضر قدراً من المال الذى اخذته من الخزانة السلطانية فنثره وبذره . وقدم الرشى حتى أمن ما حذره . وأراد أن يكون هو المتوسط فى الصلح والصلاح . والتحدث فى الانجاز والانجاز . وكان السلطان يؤثر أن لا يطول مقامه فتقل وطأته . وتكثر مضرته . ولم ير أن يترك البيت متداعى البنيان غير معمود . ويريد الانصراف راشداً وقد طالت عليه غيبة محمود . وما صدق بحضور الدرگزى على بابيه . وظن أنه قد حصل من النجح على لبابه . فأمر باحضاره فلما بصر به قال « اين على بار فانه لامر ولدى ضمين » فلا « انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين » قال « فإني ولدي » قال « انا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » وأنه يسمه عطفك وعرفك » فندبه الى اصفهان لاحضارهم . وأجري الامور على ايثارهم . فبلغ الوزير كمال الملك السمرى انس الدرگزى بالحضرة السنجرية وأنه واصل بالجرأة . فسبق بالراى ورأى

السبق . وأن يكون هو الذى يتولى بالرتق والفتق . فقال للسلطان « هذا عمك فى مقام والدك وله عليك حقوق . وعصيانه عقوب . ومن حسن الادب استعطافه . واستجداد رضاه واستثافه . وأنا امضى اليه لامضاء الالية . وارضائه بالكلية » وخاف انه ان وصل الدركزنى يصير الامر على بار الامر متولياً . ويبقى هو عن الشغل متخلياً . وانه يصير تابعاً . وماء غائضاً . وماء جاء الدركزنى تابعاً . فتوجه الى الرى . من جي . وقطع الطريق بالنشر والطمى . ولقى الدركزنى فى طريقه . وأخبره بتوحيه من السلطان سنجر وتوحيه . فلم يرجع على تصديقه . وقال له « انى قد قضيت الشغل فلا تمب . وعرقهم زهدنا فلا ترغب . فاجتهد بكل طريق فى اعادته عن طريقه » فاالتفت ولا اكترث . وأغذ السير وما لبث . ففضى الخبر الى السلطان سنجر بأن الوزير كمال الملك قد قدم . وان ابن اخيك أرسله اليك للعذر لما ندم . فسر بذلك وأمر الامراء باستقباله . واحتفل فى حفله لتوفير اقباله . وأبصر الوزير من تعظيم خطره ما لم يخطر بباله . فخط عمل وزير على بار وبار . وانهدم كل ما كان بناء وانهار . وأخذ يد السلطان على شد أواخيه . لابن أخيه . واعلمه بارادة الوفاق وتوحيه . واستوثق منه فى كل ما استوقفه . واستدرك بالروية فى رأى كل ما فاته واستلحقه . وأقام الوزير وسير الى سلطانه من عندهم رسولاً يستدعيه ويستحثه . ويعلمه ان عمه لا يتظاره اطلال مقامه ولبثه . فأقبل محمود الى وزيره حامداً . والى عمه وافداً . فأكرم وفادته . وأتبع ارادته . ولم يجد على بار بداً من الاتباع . وحضر ضيق الذرع قصير الباع . وخر لتقيل الترب . واعترف بالذنب . فأبدى له السلطان الرحيم صفحة الصفح . ومنحه العفو وأعفاه عن المنع . ثم اجتمع كمال الملك

وعلى بار ووزيره . على ما يتم به تقرير أمر السلطان محمود وتديره . وأنه يجب أن يترك رسم السلطنة احتراماً لعمه . وأن يكون مدة مقامه عنده بحكمه . وذلك أنه إذا استقبل بجنيب السلطان يركبه ليحسن أدبه . وأنه ينتقل من نوبتيته الحمراء . نوبتيه بيضاء في سوداء . وأنه يأمر بإبطال ضرب طبله . ما دام في ظله . وأنه إذا دخل على عمه قبل الأرض وأنه يقوم عنده على قدمه وأنه يمشي في ركاب عمه راجلاً من الباركة إلى السراشق . وأنه لا يفرد عن عمه بسرادق . بل ينزل في جوار خيمه . وفي موضع أولاده وحرمة . وأن يبق عشرين يوماً على هذه القاعد ليستعطف عمه في عود مرضيه المتباعدة

قال : وكان من حلم سنجر أنه يقضي عن يعقوب . ويجدى على من يجذب . فصنع عن كبار ذنوبهم . بعد ما تصفح سرائر قلوبهم . وأفاض عليهم الخلع . واصطفى كلا واصطنع . وكتب منشوراً للوزير كمال الملك بتقريره على الوزارة . ومنشوراً علي بار تمكينه في الإمارة . ومنشوراً لآل القاسم الدركزني بمنصب الظفر والانشاء . ثم إنهم طلبوا من السلطان سنجر خلوة حسناً له فيها من سفك الدماء كل قيسح . وأعطوا عنده كل صحيح . وكان من جملة من ضربت رقابهم الأمير منكوبرس و قرا تكين القصاب . ثم قفل السلطان سنجر بمساركره إلى خراسان . وقرر عليهم أن يسطوا العدل والاحسان . وعاد الوزير الكمال . وله الأبهة والجلال . والدركزني في ديوان الظفر . و شمس الملك بن نظام الملك في ديوان الاستيفاء

قال : وكان عمي العزيز في ذلك الوقت ينوب في الوزارة والاستيفاء والوزير كمال الملك لا يرجع إلا إلى كماله . ولا يعمل إلا على اشتغاله . بل السلطان لا يأنس إلا به . ولا يصنى إلا لخطابه . قال : ولا شك أن أنوشروان

صعب عليه انحطاط حظوظه الى الحضيض . وانحراف مزاج شغله للحظ
الريض . وعرض للوزير كمال الملك بايات غير واقعة في وقعها . وتمثل
بتثيلات باردة ليست في موضعها . وكأنه ما سمع للقاضي ابي بكر الارجاني
فيه قبل ان يلى الوزارة وهو مشرف المملكة قصيدته التي يقول فيها

دع عنك يمني ويسرى غير مجدية واقصد أمامك واطلب منتهى السبل
واعلم اذا قلت رد باليس بحر ندى أتى على غير عز الدين لم أجل
البحر أسأوه شتى وأشهرها على اصطلاح بنى الآمال كف على
قال عماد الدين رحمه الله : سمعت من والذي رضى الله عنه انه لم يكن

في وزراء الدولة السلجقية أكمل من كمال الملك حزيمة . وصرامة وشهامة .
وكتبه بالفارسية تدل منه على فضل عزيز . وعلم كثير . ومن معانيه اتعرف
قواعد الوزراء وقوانينها . وهي رياض ناضرة للناظرين ازهارها . فائمة للمستنشرين
بالرياحينها . قال : قال انوشروان فأول ما شرع فيه الوزير كمال الملك من أمر
وزارته أنه لما وصل الى أصفهان . تقدم بقراءة منشوره بوزارة العراق من
خراسان . ثم دبر في قتل الامير أحمد بن بنراء وبمك السلطان على الفتك بالامير
على بار وأغري . حتى أفلت منه هربا . واتخذ الليل جملا وادج رعبا . فأركب
وراءه من رجل نفسه عن بدنه . وأخرج روحه من جسده . ووكل بوزيره
الدر كزني واعتقله . وهم بان يقتله . قال عماد الدين رحمه الله : قال والذي وكان
الدر كزني حينئذ صديق فاستدعاني ولما بصرتي دعا على نفسه بالويل
واستجارني وأخذ مني بالذيل . فقال « أسألك ان تتوسل لي في أماني من
القتل فقد أيقنت اني مقيم . وان لم تنصرني فاني لاشك مخدول » فشفت
في حقه . الى أخيه عزيز الدين فازال بالوزير كمال الملك حتى خلصه . وفتح على

ذلك الطائر المشوم قمصه . وكان محبوباً في موضع سيل الحلاء نفى سيله
فقدّر الله ان الشافع فيه بعد عشر سنين كان قتيله . فما عرف والدى ولا عمتي
رحمها الله انهما يسعيان في قلع الليث بخلاصه . ويحصلان بتيسير أمره على
تيسير أمرهما واعتياصه . فقد كان هذا أبو القاسم للدماء سفاكاً . وبالكرام
فتناً . وقرّس فيه الوزير كمال الملك الشرفاء ان يريح الناس من غائلته
وأراد الصحيح فما صح له ما أراد . ومابدا من الدركزي ما بدامته لو باد .
ولكن القدر لا يطاق . والمقدور ما يطاق

وأصلح الوزير بقتل علي بار قلوب الجماعة . واستمالهم الى الطاعة . فقد
كانت في نفوسهم منه احن . وتمت عليهم باستيلائه محن . فوجدوا بانزعاجه
الثبات . وبقتله الحياة . وتقدم الامير قيصر وترقت درجته . وقامت بالقيام
في الدولة حجة . وارتفع شأن أمراء كانوا متضعين وتحالفوا على طاعة السلطان
وترجيح جانبه . والاضراب عن مقاصد عمه سنجر ومطالبه

قال أنوشروان : فشرع الوزير في المصادرات . وسمى ديوانها ديوان
المفردات . قال عماد الدين : ولم يكن كما ذكر . ولا على وفق ما أنكر . وانما
طالب أصحاب الامير علي بار بأهواله . وأمر بمحاسنة عماله . والبحث عن
اسبابه وأحواله . وأعاد رونق سلطنة العراق غصاً . وضم من نشرها ما كان
منفضاً . وخرج في خدمة السلطان من اصفهان على عزم بنداذ . وقد حكمه
في الامر . وأعطى حكمه النفاذ . ولما قبض الدركزي وعزل ولي الوزير كمال
الملك منصب الظراء أخاه النصير . وناط به ذلك المنصب الكبير . وكان النصير
رصيناً . ثقيل الطبع رزيناً . ولم يكن فيه ما كان في أخيه الوزير من التلطف .
والتغفل على المكارم والتعطف . وكانوا يقولون نعم المولى وبئس النصير .

قال : وفي سنة ٥١٣ هـ جرى بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود مصاف بقرب همدان . وكان النصر فيه للسلطان . وذلك ان الملك مسعود كان مسلماً الى الامير جوشيك وهو آتاك بكه بالموصل وعسكر الشام وديار بكر في خدمته . وهو ينبت في ملك الترب لحد مملكته . فجمع آتاك بك جوشيك جيوشاً كثيرة وجما جماعته واطمع في أخذ السلطنة وجعل الاستاذ اباسماعيل وهو مؤيد الطغرثي وزير مسعود . ولم يعلم انه لا يتمكن فيها من مسعود . فلما فعل السلطان بحشده فجاء في حشره . وجاء جوشيك بمسعود تحت جتره . ولما اصطف الجمان . وكاد يلتقي البحران . ويجتمع الصفان . بصر مسعود بأخيه محمد فحن اليه . وضبطه جوشيك فلم يرج عليه . وصاح ايجي ايجي وهي كلمة بالتركية للاخ الكبير . فتشوش على جوشيك جميع ما قدمه من التدبير . وساق محمود ووقف الى جنب السلطان محمود أخيه . وأسلم للسلب والنهب جميع ما كان معه من جنوده ومواليه . فأول من أخذ وزيره الاستاذ أبو اسماعيل الطغرثي فأخبر الوزير كمال الملك به فقال للشهاب اسعد وكان طغرثياً في ذلك الوقت نيابة عن النصير « هذا الرجل ملحد » فقال الوزير « من يكون ملحداً يستحق ان يقتل ظلاماً » فقتل ظلاماً . وقتل من الفضلاء الاكابر الاستاذ زين الكفاهة أبو الفتح وكان وزير البرسقي فأحسن محمود الى أخيه وأعادته الى عظمته ورتب آخر لآتابكيته وخدمته

قال : وكان من بقية أولاد ملوك الديلم في الخدمة السلطانية المنفيين الملك عضد الدين علاء الدولة أبو كاليجار كرشاسف بن مؤيد الدولة علي بن شمس الملوك فرامرزين علاء الدولة وكان من السلطان بمنزلة الاخ . وقد أثر له بالحل الاشمخ . وكان مع ذلك محترماً من حاسديه فلزم بيته في مدينة يزد

فما زالوا يحسنون منابه بالباب . ولا يصوبون رأيه بالاغياب . فلما ركن الى ركنهم وركب . وكرب ان يجلو بقاء السلطان عنه الكرب . جردوا اليه ثلثمائة فارس فاعترضوه . وأخذوه من طريقه وقبضوه . وكان الأمير يقصر تولى بإبداء الود اخفاء ختله وختره . فحمله الى قلعة يقال لها فرزين فاعتقله . وأحكم قيده وثقله . وهي قلعة منيعة . وثلمة رفيعة . تمدها النجوم من اترابها والسماء من أسبائها . فلفظ الله به . وأوضح له مذهب مهربه . وذلك انه توسل حتى اشرف على السور . في جنح الديجور . وألقى بنفسه من المكان العالي . وفعل فعل الآيس من حياته السالى . وسلمه الله حيث لا ترجى السلامة . ونزل نزول التيت حدرته النمامة . وتوقل في تلك العقاب . وتسلى من تلك الشعاب . ووقع الى ولايته . وسر الناس بعود الانس والسرو . وبوده الى بلده . وعلموا أن خطى الخطوب لا تصل في طورها الى طوده . وكانت عاقبة الامير قيصر انه ضربت ببغداد رقبته . وأودت به في سبيل العقوبة صقيته

قال انوشروان : وكان الملك في عهد السلطان محمد مجموعا . وجانبه من الاطلاع ممنوعا . فلما صار الى ابنه محمود فرقوا المجتمع . وضيقوا المتسع . وجعلوا له فيه شركة . ولم يتركوا له منه مسكة . وذلك عند حضور السلطان سنجر فأول ما اقتطعه سنجر لحاصه ما زنتران وطبرستان وقومس والدامقان والرئى وذبأوند وأعمالها وما أفردوه للملك ركن الدين ظفر بن محمد ساره وآبه وسارق وسامان وقزوين وأبهر وزنجان وجيلان والديالم والطاقان . وللك سلاجق اخيه ولاية فارس بأسرها وشرط من أصفهان من الخوز . وتنب الامير ديس بن صدقة بن منصور على البصرة وأعمالها والمضافات اليها من البطائح

وكذلك هيت والانبار وأعمال القرات والرجبة وعانة وكذلك أعمال الموصل
ونصيبين والخابور قد تغلب على كل منها أمير والذي بقى للسلطان أقطع جميعه .
وما انحفظ ريمه . وانخفض رفيه . ولما لم يكن للسلطان خاص لم يكن له عمال
وبطل الديوان . وتدون البطلان . فانه لم يبق للديوان شغل الا أخذ أموال
ذوى اليسار . وإسماعيل الاعسار .

وقال عماد الدين في ذكر كمال الملك الوزير : وبينما هو وزارته في ريمائها .
وسعاده في عنقوانها . ودولته في كمال سلطانها . فلم يشمر حتى عاجله القدر
بجاءه فجأة . واستحال في الحال كل مسرة مساة . وذلك في سنة ٥١٥ فان
السلطان خرج من بغداد عائدا الى همدان . فتخلف عنه الوزير يوما على انه
يتبع في غدا السلطان . فلما بكر ركب وقد رتب الموكب والسيوف بين يديه
مسالوة . والفاشية محمولة . فوثب عليه قوم من بعض تلك الدكاكين .
وضربوه بالسكاكين . فخل جريحا . وبقي في حجرة من غرف السوق طريقا
وأحضر من يداويه . واستقل بالجرح آسبه . فلم يحسوا الا برجل قد ففز من
السقف . ونزل عليه بمدة الخف . فأنلف مهجته . ومحا من الزمان بهجته . فتولى
عمي الوزير حفظ مخلفيه . وحلم عنهم حد الزمن السفيه . واستشهد وله ولدان
أحدهما عضد الدين محمد والآخر نغر الدين محمود فتصيب الولد الكبير ذى
التفضل الاوفر . والاعتقاد الاور . والدين المتين . والعلم واليقين . ففولاه السلطان
أشرف المناصب . وأرفع المراتب . فزهده في الدنيا مع القدرة . وسلك طريق
لانكسار والقناعة بالكسرة . قال عماد الدين : وهو الى اليوم من سنة ٥٧٩
حسن السيرة . صافى السريرة . خشن العيشة . قال للعيشة . بلبس السمل البالى
ويألف المنزل الخالى . ويأمر بالمعروف . ويأخذ بيد الملهوف . ينظر الى الدنيا

بمين البيافة . مقبل على الآخرة والتقوى قد ألبسته شعار المخافة . وتولى أخوه
نفر الدين محمود الاعمال الفاعرة الى آخر زمانه . وظهر قدر مكانه . وقدره
امكانه . والمضد الزاهد فيه زاهد . وفي صرف جاهه عنه جامد . وكان بينهما
تضاد . وتباغض في الدنيا لاتواد . وعُضِدَ الدين يرجع الى فضل وافر . ووجه
عن الحق والحقيقة سافر

قال عماد الدين : عدنا الى ما ذكره أنوشروان

ذكر وزارة شمس الملك بن نظام الملك

أنشد أنوشروان فيه تمثلاً

لثيم أتاه اللؤم من عند نفسه ولم يأته من عند أم ولا أب
قال : قال لما صرع الكمال . واتسع المجال . سمت همة شمس الملك لطلب
الوزارة . وخطب عمر وسهامع المجز عن اقتراع البكارة . فاجتنب لباسها . وأثارت
شمسه من مطالعها . وورد على الظماء البرح عد مشرعها . وتولى عزيز الدين
أبو نصر أحمد بن حامد منصب الاستيفاء . وقد نضل بالفضل والكفاية جميع
الاكفاء . ومن جملة مبتدعائه في الخير انه جعل للمسكر السلطاني بيمارستان
يحمل آلاته وخيمه وأدويته والاطباء والعلماء والمرضى مائتاً بخي ومن جلتها
أيضاً انه بني بحلة السائبين ببغداد مكتبةً للايتام . ووقف عليها وقوفاً مستمرة
الجدوي على الدوام . والايتام مكفولون منها الى ان يلبثوا الحلم بالنفقة

والكسوة والطعام . وتعلم الآداب وحفظ القرآن . ومعرفة الحلال والحرام
وصح له التحكم على الوزير . بأحكام التدبير . وتولى ديوان الطغراء والانشاء
الشهاب أسعد وكان معلماً السلطان في أيام والده وتبرز حظه انه يوليه الطغراء
اذا انتهت اليه السلطنة ولما تولى لم يستعير عليه وبقي الى آخر عمره في الطغراء وتولى
أبو القاسم الانساباذي ديوان المرض وكان أوشروان عارضاً وهو غائب . وفي
مقامه عنه نائب .

قال أوشروان : كنت انا قد تخلفت في بغداد في ذلك الاوان لشغل
أقضية . وأمر أمضيه . فاجتمع هؤلاء القوم واغتموا غيبتى . وأخذوا باخذني
وتوقيى توقيماً . وشنعوا على عملي وعملوا شيناً . وكان مضمون المثال السلطان
ان الامر الطاع أعلاه الله ان أوشروان ان كان في حدود بغداد ألزم بيته
باب المراتب . وسدت عن لقائه طرق الاقارب والاجانب . وإن كان قد
وصل الى بلاد الجبل فيقعد في ولاية الامير برسق بقلة كفراس . ويشترط
عليه ان لا يطلب المنصب والمماش . ويحضر ممالكه الى الدركاه لينتقلوا الى
الخواص من الامراء . ويحمل ثقلهم عنه مع الانزواء . قال وكان المثال
بخط الوزير وقد مد الطغراء عليه أسعد وعلامة الوزير فيه أحمد الله على نعمه
وتوقيع السلطان اعتصمت بالله وما وجدت من أنسب اليه هذا القصد غير
الوزير . فان الآخرين كانوا مسخرين له وهو المتوحد بالتميز والتبريز . وكتب
الوزير بخط كاتبه ان شغل المرض قد فوض الى العميد الاجل الاخزين
الدين ظهير الدولة أبي القاسم يسنى الدركزى فنختم جميع دفاتر المرض
وأوراقها وتشد حتى سلم اليه

قال : وأنهبوا الى طريق جماعة من الفرسان لولا اعظام الامر السلطاني

المطاع . لما رعت حرمة أولئك الرعا . ولما دوا وحكوا انهم لقوا منى رجلا .
ولركبوا من الخوف الليل جملا . فامتثلت الامر وسلمت اليهم موجودى
وخرجت من مالى كالشجرة من العيين . ووقع الهجان بتوقيع المهجين .
وسلمت نفسى الى الحبس . وبقي أمرى على اللبس

قال : عدنا الى الحديث عن شمس الملك بن نظام الملك قال : فعاد الملك
به الى أدنى استقامة . ووجد الى كفايته أيسر استقامة . لكنه لم يطو بساط
الظلم والمصادرة . ولم يقبض عن التمدى الايدى المتجرئة على المبادرة .
وكان الى الناس مبنضا . ولقمتهم متعرضا . فلم يكفه ذلك حتى استتاب بفيضا .
واستطب لمرضه مريضا . وهو الكامل ابن الكافى الاصفهانى الذى مضى
ذكر مخازيه فى وزارة الخطير . ووصف بالشؤم والسوء فى الادبار والتدبير .
وهذا الكامل ما ناب عن أحد الانابه خطب مير . ودعاه لم كبير . كما
قال البخترى فى سعد حاجب عبيد الله

ياسعد انك قد خدمت ثلاثة كل عليه منك وسم لائح
وأراك تخدم رابعا لتيرة فأزقق به فالشيخ شيخ صالح
يا حاجب الوزراء انك عندهم سعد ولكن أت سعد ذابح

فبدأ هذا النائب فى الاول بأخذ مخلفى الوزير المستشهد وكانت خزانته
قد نهبت . وذخائره قد ذهبت . وهم فى بيوت الاحزان . يرجون عواطف
السلطان . فلم يرض لهم بالدم حتى سجنهم وحبسهم . وضاعف عليهم محنهم
وعرق عظامهم . وفرق نظامهم . ثم أمر باستمادة الرسوم والادارات .
ولم يقتصر على قطع الصلات . حتى كتب الى جميع البلاد باسترجاع ما أخذه
بأرباب الصدقات بسنين . ومن اخذ عرضا بادراؤه ألزم رد الدين . فوكوا

في كل بلد بالاخيار والاشراف . وسلطوا أقوىاء الشرط على المتضوتين
قال : وكان قد عزم السلطان في هذه السنة على النزاة فصدوه وعرضوا
عليه كتاباً من بعض أمراء بلاد شروان يذكر فيه انني قد استخلصت لكم
المملكة الشروانية . وأهلها ينتظرون الراية السلطانية . وان الملك شروانشاه
محصور . وان القرج عليه محذور . فان أردتم تملك الخزائن . واستخراج
الدفائن . والاستيلاء على الممالك فاصرفوا اليها الالعة . وأشرعوا نحوها
الاسنة . فثنوا عزم السلطان الى قصد بلاد شروان فلما وصل وجد الامر
بمخلاف ما ذكر وخرج اليه الملك شروانشاه راجياً انه قد عاد عيده . وان
يتحلى بعد المظل بطوق الانعام جيدة . فانه كان فقيراً قد قنع الرعية بملكه .
وأثقوا الانحرط في سلكه . فحين وطئ البساط طوى بساطه . وعقل نشاطه .
وسحب وحبس . وغبن وبخس . وانتظر أهل البلد انه يعود اليهم مملكا
مكملاً . مشرفاً مجملأً . فحين عرفوا الحال أكثروا الصراخ والبكاء . وأثادوا
الرجال والنساء . وخرّبوا الجامع ورموا منارته . وشمثوا البلد وأذهبوا عمارته .
فما نفعهم ذلك وجرت عظام ثائف منها العظماء . واجترحت كباثر نأياها
الكبراء . وجرد ذلك الخطب خطباً . لم يدع يأساً ولا رطباً . وطمع الكفار
المشاغرون فأغاروا . وأبادوا الاعمال وأباروا . وقتلوا خاتماً من المسلمين ونزلوا
قبالة السلطان في ثلثين الف عنان على فرسخين لكن الله تدارك رمق
الاسلام . بكسر أولئك الاغنام . ونهض السلطان محمود اليهم محموداً .
ولم يدع في هزمهم مجهوداً . وعاد منصوراً مسعوداً .

ولما حبس الملك وقع الشروع في مصادرة الرعية فلم يحصلوا على طائل . ولم
يظفروا بمحصل . وكانت للخزانة السلطانية . في كل سنة على الاعمال الشروانية .

مقاطعة مبلغها أربعون ألف دينار فبطل حق تلك المواضعة بوضع الباطل .
 وطال المقام في تلك البلاد لدفع البلاء . ورفع الأحوال والاهواء . وكان هذا
 القرار على شروان من عهد سلطان ملكشاه بن الب أرسلان فانه لما عبر على
 أرآن وصل الى خدمته الملك فيروز صاحب شروان بعد امتناعه والتزم بحمل
 سبعين ألف دينار الى الخزنة وما زالت المسامحات تدخل في القرار . الى أن
 وقف على أربعين ألف دينار . فباء الوزير بالوزير . وقبح الذكر . ولم يحظ في
 مدة سنة واحدة من وزارته بعمل يذكر به الا حبسه أنوشروان . وتخريب
 شروان . ولما أبصر السلطان اختلال الأحوال . واختلاط تلك الاعمال .
 سخط على الوزير شمس الملك بن نظام الملك وقتله بالسيف صبراً . وذلك في
 آخر ربيع الاول سنة ٥١٧ . باب يلقان

قال أنوشروان : وكان الذي جرى على من الاخذ والنهب باب حلوان
 أيضاً في آخر ربيع الاول سنة ٥١٦

من يَر يوماً يُر به والدهر لا ينتر به

قال عماد الدين : وسبب قتل هذا الوزير ان أبا القاسم الانساباذي
 كان رسولا عند السلطان سنجر . وقرر من أمر بن أخيه السلطان محمود
 مقرر . وذكر له أن الوزير هو الذي اذهب الهيبة وشتت شمل الاجناد .
 وبث حبل السداد . وتوسل بكل طريق حتى تميز كتاب السلطان سنجر
 الى بن أخيه في طلب وزيره . وأمره بتسييره . فحار محمود وخشي انه ان
 سيره اطلع على سره . وان لم يسيره اسخط عمه بمخالفة أمره . فاشير عليه
 بقتله . وتسيير رأسه . فبغت الوزير أقوى ما كان رجاء في الحياة بأمره .
 قال عماد الدين : وعاد حكم المملكة كله الى عزيز الدين أبي نصر أحمد

ابن حامد وكان حينئذ مستوفى المملكة وجاذب زمامها . وملاك نظامها .
 فمكن السلطان اليه . وعول عليه . وعرض الوزارة عليه فلأبها . ووجد
 منارس المملكة ذاوية فروأها . وقال أنا أنفذ أمورك وأوامرك . وأصني
 مواردك ومصادرك . ولا أدع مصلحة تقف . ولا منفعة تنصرف . لكنني
 لأنسم بالوزارة ولا أقبل وزرها . على اتني أقبل أمرها . فاذا حضر صديقي
 أبو القاسم الانساباذي جولته صدرها . وما عرف ان صداقته عند عوده تدود
 عداوة . وانه يجبر مرارة سم ماظنه حلاوة . فكث سنة بالنائب متوحداً
 وبالمراتب منفرداً . وعاد السلطان الى مقر ملكه محبواً بالظفر محبوراً .
 محمود الأثر مشكوراً . واستمر الشهاب أسعد الطغرائي في الانشاء ومنصب
 الطغراء . ولما عاد البركني قال النزير للسلطان « قد وصل من يكفل بالامر
 ويكني في الحل والعقد . فانهض للوزارة فاني غير ناهض بأوزارها .
 وأتركني ومضائي في غير هذه الخدمة ولا تقبلي بمضارب مضارها . وأنا ان
 خليت الوزارة اسما فما أخلها نظراً . واعذتها بسواي وأكون عليه بحكمي
 مستظوراً . فيكون أبو القاسم لي قسيماً . وأصبح أنا له مقعداً في المصالح
 مقياً » فقال السلطان « ما أعرف سواك . ولا أعول الا على جنك وحباك »
 وسيأتي ذكر الحال في ذلك

قال أبو شروان : وفي تلك المدة استدعاني السلطان الى بيته وانتهت شدة
 حالي . وانقضت مدة اعتقاله . واتخذني اللفظ الرباني من كيد المحصوم .
 وعرفتني التجارب انه لا يحيد من المحصوم . وعليت أنه لا يجدي طلب
 العز في زمان الذل . ولا يوجد الخصب في سنة الازل . وصمدت في
 الاعتزال حد العزم . ونزلت على آل المهلب ذوى الكرم والفضل واللم

كما قيل

نزلت على آل المهلب شائياً غريباً عن الاوطان في زمن محل
 فاذا لبي احسانهم واقترادهم والطافهم حتى حسبتهم أهلى
 قال : ويعنى أنوشروان بآل المهلب الإمام صدر الدين عبد اللطيف بن
 محمد بن ثابت الحنيدى بأصفهان وكان أجود الامجاد . وأجود الاجواد . فلما
 ضافه أنوشروان أكرم مشواه . وقبله وآواه . قال : قال أنوشروان فصرف
 الى الاصداقاء المهمل . وحقق اكرامهم عندى الكرم . واستقرضت من
 تاجر غريب جملة . وكتبته على وثيقة فجاءنى بعد حين انسان وقال غندوى
 عزيز الدين يسلم عليك . وقد نفذ هذه الوثيقة إليك . وقال لك ابطلها فان
 الدين قد قضى . وصاحبه قد رضى . فعجبت كيف توسل فى اسداء هذه
 اليد الى . وافضاله على . فبقيت مدة فى تلك الضيافة . آمناً من المخافة .
 سالماً من الآفة . حتى استدعانى السلطان بعد قتل الوزير . وأهلنى للتدبير .
 فامتعت أياماً . وطلبت من الخطر زماماً . ولما وصلت الى الدركاه رأيت كلا من
 الجماعة يقول ما استحضر الاسبب . وما استقدم الالارب . قال : فراجعت
 فكبرى . وندمت فى أسرى . وقلت أعمال السلطان عوارى لا بد من
 ارتجاعها . وملابس لا بد من اثرائها . ولو خلصت فرحت فرحت . ولو
 استخرت الله فى الاتزواء لاسترحت . وكان السلطان فى الاذن لى متوقفاً
 وأنا قد ملت الى الوحدة والافراد . وقصرت همى على هذا المراد . فما
 زلت به حتى استأذنت منه فاذن فى الانصراف . وخصنى من مواعيد
 عوائده الجميلة بالاطاف . فساعدنى أرباب الدولة من الخيل وغيرها بما حمل
 أنشأ . ومن الازواد وغيرها بما نقل أحمالى . وتوجهت من أصفهان الى بغداد .

وعدمت الملاذ لاجل الملاذ . فلما وصلت الى حضرة الخلافة وجدت
الاکرام . والانعام والاحترام .

ذكر وزارة الدرکزی فی سنة ٥١٨ هـ

قال : لما وضع عليه اسم الوزارة . تبدلت الوزارة بالوزارة . وهو أول
فلاح ترك العمل بالقدان . فدان له عمل الترك . وحل البقر عن الملك . فحل
في دست الملك قنقك وهتك . واستباح الدماء وسفك . وشرع المنكرات
وانكر المشروعات . وغادى الکرام . وبدد النظام . وظاهر الباطنية . وأظهر
السنة الجاهلية . وشرع في القنك بالاحرار . والهنك للاستار . فمن جملة من فك
به القاضي زين الاسلام أبو سعد محمد بن نصر بن منصور المروى وكان
أوحد دهره . ونسج وحده . والمعروف بأسداء المروف . والمرجو لأعداء
الملهوف . وهو حبر العالم وبحر العلم . والحاكم بالعدل والمادل في الحكم .
وقد ملك من قلوب السلاطين القبول . ولم يرؤا من نصحه وإشاراته المدول .
وكان من متعصبى عى العزیز . المخصوصين في الفضل والافضال بالتبریز .
فتقررت له بعد وزارة الدرکزی رسالة السلطان الاعظم سنجر . وسار الى
خراسان في البهاء الابهر . والجمال الاوفر . فصعب على هذا الوزير أمره .
وتقسم سره . وعرف انه اذا حضر هناك انهتك ستره . فانه كان موته
ولبس . وأخفى أحواله عند السلطان سنجر ودلس . فعرف ان المروى
یهربیه . وينزع لباس نلیسه ویعریه . فقرر مع عدة من الباطنية أنهم قتكوا

به عند عوده من رسالة خراسان . وقد حضر للضلاة في جامع همدان .
فاستشهد قبل ان يشهد السلطان . وذلك في سنة ٥١٨ هـ

قال وكان حينئذ بالموصل آق سنقر البرسقي . النازي المجاهد التقي
التقي . فدخل في وزر ذلك السعيد الوزير الشقي . فانه كان قد قمع أهل
الاحاد . ونعمه أمر هذا الوزير الذي سد باب السداد . وتوسل الوزير عند
السلطان في عزله فلم يقدر . وبالع في كل مكيدة ولم يقصر . ولما أعياه
أمره استدعى اخوانه من الباطنية . حتى جلسوا له في جامع الموصل بزي
الصوفية . وقفزوا عليه وضربوه بالسكاكين . فجلى به مصاب المسلمين .
وذلك في ذي القعدة سنة ٥٢٠ . وكان وزير السلطان سنجر في ذلك العهد
الاجل معين الدين مختص الملك أبو نصر أحمد بن الفضل بن محمود وقد
مضى ذكر كرمه وفضله في زمان السلطان محمد وتولية ديوان الاستيفاء .
ولقد كان موثلا لاهل الرجا . وهو من ممدوحى القاضي أبي بكر الأرجاني
وله فيه قصيدة صادية أولها

روحاً ساعة متون القلاص واحفظا وقفة بتلك المراص
يا خليلي من سراق بني الاقسيال والفر من بني الأعياص
واسياني فلا أخلاء قدما بالتواصي في الثنابات تواص
كيف أشكو خطباً ومختص ملك السأرض أضحي بالقرب منه اختصاصي
وإذا استنصر المهام أبو نصير أطاعت لنا الاليلي المواصي
ذوندى يستهل كالديعة السكيب ونشر كالنكوكب الواص
وبنات يريك للقلم الننا حل فضلا على القنا المراص .
قال : فأنف من وزارة الدر كزني بالمراق . ولقد كان على الدولة شديد

الاشفاق . وعرف الدركزني ان قصه مع فضل أبي الفضل باد . وأن أمره مبنى لعمى دهره عنه على غير عمد . فلم يزل يعمل كيدته في نكته . ويتسلق بالكر على هضبه . وياطن الباطنية في قتله . وفرغ فكره لشغله . فوجده متحرزاً متيقظاً . متحرساً متحفظاً . فبث عليه جباله . وأدب اليه غوائله . وسير الى خراسان عدة من الملاحدة . فتوصل منهم واحد الى أن خدّم في اصطبل الوزير المختص سائساً لدوابه فأراد يوماً عرض الخيل فحضر ذلك السائس وهو غريان . وقد خبأ سكينته في ناصية حصان . فأطلق حصانه من يده حتى شغب . واستخرج من ناصيته السكين ووثب . وتعمد مقتل الوزير فأصابه . وعظم على الكرام مصابه . وبضع السائس في الحال تبضيماً ومزغوه تمزيماً . وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٥٢١

وما زال الدركزني يتبع الاكابر فقتلهم من يقتله جهاراً باذن من السلطان . ومنهم من يقتله غيلة بمن يتخذ من أولئك الاعوان . قال : وكان سبب ميل الباطنية الى الدركزني ان الامير شيركير رحمه الله كان مشغولاً بحصار قلعة الموت وقد قارب فتحها . وشارفت الآمال في أخذها نجحها . فلما توفي السلطان محمد وتولى ابنه محمود وتمكن الدركزني من الدولة أعمل الحيلة في استدعاء شيركير ونفس عن القلعة ثم لم يزل يدقق الاحتياال حتى جعل شيركير عند السلطان ذنباً اختلقها . وسأوى لقبها حتى اعتقل ذلك الامير مع ولده شرف الدولة ولم يزل يطلب غرة السلطان في أمرهما حالتي سكره وصحوه حتى أخذ رخصة في سفك دمهما الحرام . وأذهب بقية القوة الاسلام . واتخذ بذلك عند ذوى الاتحاد يدا . واستكثر له من أعوانهم مدداً

قال : وكان عمي العزيز يحسب انه انسان . وأن جزاء الاحسان له منه احسان . فلما أحس بشرارة شره . وضراوة ضره . أفكر في طريق الاتزواء . والخلوص من تلك الاهوال والاهواء . فاستأذن في الحج فسار في سنة ٥١٧ أو ٥١٨ وكان حاج تلك السنة بأجمعهم في ضيافته وكرامته . وعمهم شمول عارفته حتى قال الرئيس أبو الحارث البندادي فيه

يا كعبة الاسلام مالي أرى اليك تسمي كعبة الجود

تقصد في العام وهذا التقي لم يلف يوماً غير مقصود

وهناه عند عوده القاضي أبو بكر الأراجاني بقصيدته النونية المشهورة

التي أولها

ورد الحدود ودونه شوك القنا	فن المحدث نفسه أن يجتني
لا تتمدد الأيدي اليه فطالما	شبوا الحروب لان مددنا الاعينا
ما ان جفوت الطيف الاليلة	والحي قد نزلوا بأعلى المنحني
لما ألم وقد شغلت بمدحة	لعزير دين الله فكري موهنا
في ليلة حسدت مصابيح الدجى	حكى وقد كانت لها هي أزيئا
قلبي بها حتى الصباح وشمعتي	بتنا ثلاثتنا ومدحك شغلنا
حتى هزمننا للظلام جنوده	لما تشاهرنا عليها اللسنا
أفناهما قطي وأفتيت الدجى	سهرنا فاصبحنا وأسعدم أنا
لله مقدم ماجد أضجى به	عنا لنازلة النوائب مظعنا
أمنت اساءته عمدها لانه	مذكان لم يحسن سوى أن يحسنا
أثبت غزواتك الحميدة حجة	فقضيت أيضاً فرضها المتعينا
وجررت أذيال الكتائب موغلا	في الارض خلف بني الحباث مثعنا

حتى غدت تلك المجاهل منهم وكأنا هن المناخر من منى
قال : ولما عاد من حجه . استغنى السلطان من شغله . فما أجابه الى مراده .
ولا مكنته من انفراد . وأعاده الى منصبه على المادة . وأشرق به مطلع
السعادة . وأصبح الوزير يحول في مكر مكره . ويسر له ما يرجع بشغل
سره . وعادت تلك الصداقة عداوة . والمعرفة نكرة وغاوة . وغبرت على
ذلك مدة فثبت العزيز على الاستغناء . وترك منصب الاستغناء . فقال
السلطان « اذا كنت مستغنيا . ولا تؤثر أن تكون مستوفيا . فإني أعز من
الولد والمال وقد سلمت اليك خزائني وأولادى وبهذا يحصل مرادك
ومرادى » فلما خلا منصبه منه . ورغب العزيز عنه . تولى الصفي أبو القاسم
الحنزي ديوانه . وجلس مكانه . فتوازر هو والوزير والجماعة على قصد العزيز
فلم يقدروا له على مضرة . ولم يثروا له على عثرة . ومضت على وزارته ثلاث
سنين وشمل العدل بغير التثام . وسلك الملك بلا نظام . والمعاهد غير مبرمة .
والقواعد غير محكمة . وتفرغ العزيز لاعلام السلطان بالتشويش والتشويه .
وحصول كل أمر كريم به في الامر الكريه . فأمر السلطان بقبض الوزير
واعتقاله . وسلمه الى العزيز ليرجح الناس من شره واغتياله . فرأى أن اهلاكه
على يده شنيع . وان ذكره بالفتك وهو ليس من أهله فطبع . ودبر في تولية
وزير يسلمه اليه . وهو لاجل الخوف على منصبه منه يقضى عليه . فسمى
في استدعاء شرف الدين أنوشروان بن خالد بن محمد من بغداد فلما حضر
واستوزر حمل الدر كزني الى داره على حاله . وصيره في اعتقاله
وكانت في أنوشروان ركاة ظاهرة . ووضاعة لخلق الرفعة ظاهرة .
فلما تسلم الدر كزني ضرب له في داره الخركاه . وأذن لكل صاحب له أن

يدخل اليه ويلقاه . وكان في كل يوم يدخل اليه ويجلس بين يديه ويحاطبه
يا . ولانا . وأنت أولى منا بالمنصب الذي خصنا به السلطان وأولانا . فستطبت
حرمته . وذهبت هيئته . واتضعت وزارته . وعرفت حقارته . وخيف
عود الدر ^{كزني} بعد استقرار سلامته . الى منصب كرامته . فشرعوا في
اعادته . وجروا على ارادته . وهو جالس في دار أنوشروان . والناس متناوبون
اليه لتقرير وزارة السلطان . فما شعر أنوشروان حتى أخرج من داره .
ورُدَّ الى مقره على قراره . وأذن لـ أنوشروان في المود الى موضعه . والتقيض في
منبعه . فرأى النسيمة في الاياب . واغتم السلامة التي لم تكن له في الحساب .
قال : وكانت وزارته سنة واحدة على ما أورده في بابه . والآن أذكر ما ذكره عن
نفسه في كتابه

— — — — —
﴿ ذكر وزارة شرف الدين أبي نصر أنوشروان بن خالد ﴾

قال أنوشروان : كنت قد اتخذت بغداد مدينة السلام . دار المقام .
وانا من حفظ الله في أوفى ذمام . فجاءني كتاب السلطان محمود وخاتمه .
ووصل رسوله وخادمه . يستحثني في الوصول اليه . ويستعجلني في الثول
بين يديه . فحين حضرت الخدمة شافني بالتقليد . وخصني بأمره الاكيد .
وكل لي تشريف الوزارة وخلصها . وأدواتها محلاها ومرصعها . ودواة الذهب
والسلاح المجوهر فجلست في الوزارة سنة وأشهر لا أقدر على الخطاب في
مصلحة . ولا على التنفس بفائدة مترجمة . وصاحباً يميني ويساري الشهاب
أسعد الطرائق والهنى أبو القاسم المستوفي والامير الحاجب الكبير حينئذ

أرغان . وامرأته خلف الستر قهرمانه السلطان . فلما رأيت اتفاقهم على ما هم فيه قلت في نفسي لا يظهر لي مع الناقصين فضل . ولا يقبل منهم صرف ولا عدل . فاستغفيت واخترت العزل على التولية . وحدثت نفسي عن الولاية بالتزمية والتسلية . ونفضت يدي من صحبتهم . وقات الفاء على تربتهم ورتبتهم . وعاد الدركزني الى الوزارة فانه ارغب أرغان الحاجب بالرشى . ومشي به غرضه فشى . ورجع كالكلب الكلب . والبغل الشغب . وهابه من لم يكن يباه . وامتلاً بالاثوم والشراباه

قال : فعدت الى بغداد مستأنساً بالوحشة . آلقا بالوحدة . فلما وصل الدركزني الى بغداد اجتهد ان ينالني شره . فمصنني الله من كيدته . لا لاساءة اليه مني سبقت . ولا لضيقه علي بقلبه علق . فاني كنت اسلقته في حال حبسه وعزله احسانا . وقلدته امتنانا . ولم أترك في الانعام امعانا . ولما كلاًني الله من غائلته مديده الى مالي . وانزل النوازل باسبابي . وقد كنت بنيت على دجلة دارا فادعاها لنفسه ملكا . واستحضر عدولا شهدوا له بالملكية زورا وإفكا . وانتقل الى الدار بحكم الشرع . وصير باطله حقا بيناته الكاذبة في الاصل والقرع .

قال : واجترأ على الاجترام . واجترأح الآثم . وسفك دم الكرام . فتارة يظهر التسنن باراقة دم الملوية . وآونة يدعى التشيع في قتل الائمة السنية . فن جملة من سفك دمه . ورام عدمه . علاء الدولة رئيس همدان وكان شابا حسنا شريف النسب . كريم الحسب . وكان باصفهان قد حضر مجلس الوعظ فقام اليه رجل من أصحاب الدركزني فضربه بسكينه . وفرى بمديته جبل وتينه . وكذلك عين القضاء المناجي . بهمدان كان من الاكابر

الائمة والاولياء ذوى الكرامات . وقد خلف ابا حامد الغزالي رحمه الله في المؤلفات الدينية والمصنفات . فحسده جهال الزمان المتلبسون برضى العلماء . ووضعهم الوزير عليه فقصدوه بالايذاء . وأفضى الامر به الى ان صلبه الوزير بهمدان . ولم يراقب الله فيه ولا الايمان . وكذلك الملك علاء الدولة يزيد سعى في دمه وهتك حرمة . وكذلك رئيس ساوه اعتقله ثم قتله وتبع البيوت الكبار واقتلها . والجال المظالم فزعزعا . ومن جملة افعاله القبيحة . وأقواله العائذة على الدولة بالقضيحة . انه حسن للسلطان وقد وصل الى بغداد في سنة ٥٢٠ ان زحف بمسكروا الى دار الخلافة وقالوا وفعلوا ما لا يحسن ذكره . واعتمدوا كل ما بقيت سمعته وعظم وزره . وكان حينئذ وزير الخليفة المسترشد بالله رضى الله عنه جلال الدين أبو علي الحسن بن علي بن صدقة فتوسط للامر بكفايته . وكشف تلك الضلالة بهدياته . وكان صديق عمي العزيز رحمه الله . فتماونا على الاصلاح . وأسوأ الجراح . وحللا السلطان على معاودة طاعة إمامه . والتصرف على أوامره وأحكامه . وذلك في اواخر ذي الحجة سنة ٥٢٠ أو أوائل المحرم سنة ٥٢١

ولما قرب مسير السلطان من بغداد حدث به مرض ضعف . منه جسمه وقلبه فاعتقد ان ذلك من شؤم خلافة الخليفة . فجلس في مخفة ووقف على باب الحرم للمواقف الشريفة . وأبدى الاعظام والاجلال . وطلب المغفر والاستحلال . فخرج اليه التوقيع الامامى باجمل جواب . والطف خطاب . وطابت نفسه . وزاد بذلك أمسه في البر وأنسه . ووصل الى همدان وقد ابل وتوفرت له حصاة الصحة . وشكر الله تعالى على رواح المنحة . قال عماد الدين رحمه الله : وفي هذه السنة عزل الدرگزني وولي

انوشروان كما سبق ذكره ثم عزل انوشروان بعد سنة وأعيد الدرگزني وما زال عمي العزيز في عصمة من شر الوزير حتى أخبر السلطان بأن غمة سنجر قد سير في طلب ميراث ابنتيه وجواهرهما رسولا فانه كان قد تزوج بأحدهما فأتت ثم تزوج بالآخرى فأتت أيضاً فوضع الدرگزني من قال للسلطان « ان رسول عمك واصل اليك بسبب تلك الجواهر . وأنه لا يعود عنك بما تقررده من المآذر . وقد رضى سنجر بشهادة العزيز فانه أمين قوله صادق . والسلطان سنجر بصحته واثق . ونحن نرى ان نجس العزيز في بعض الماقل . محفوظاً من النوائل . حتى اذا وصل الرسول وأدى رسالته . وطلب العزيز وشهادته . قلت له هذا صاحبنا وقد نعمنا منه أمراً فبزلناه . وقبضنا عليه واعتقلناه . وما بقينا نرجع اليه في الشهادة . وسؤال المحبوس خلاف المادة » فتوهم السلطان محمود وتذم وتردد فكره وتسم . فقاوضه الدرگزني وهو ن عليه الامر . وسهل عنده الومر . وقال له « اذا كنت معتنيا فما يضره العقود مصونا . وما ييب الدر مكنونا . والنخر مخزونا » قال « انا أطلق لك من مالى ثلثائة الف دينار اذا حبسته . وأقوم بأدائه اذا أجلسته »

ذل الى المال . وحال بالحوال . فاستدعى عمي العزيز من داره وعمره بنرضه ثم أمر بالتوكيل به على أجل وجه وكان ذلك والسلطان حيثئذ ببنداد في أوائل سنة ٥٢٥ هـ ثم قالوا للسلطان الصواب انفاذه الى معقل فقد قرب وصول الرسول فسلم العزيز الى مهرور الخادم شحنة بنداد حتى سيره الى تكريت فلم يلبث السلطان بعد حبه الا قليلا . وكم نلا (باليثني) لم آتخذ فلانا خليلا) وذلك انه لم يسمع من رسول عمه عند حضوره ما قيل عن رسالته .

واستدل بذلك على كذب الوزير في مقالته . وأرسل الى الوزير وطالبه بالمال
 فزاع عن مطلبه . ومطل به . وسير الى أصفهان فقبض على والدى صفى الدين
 وعلى عمى ضياء الدين واعتقلهما بقلعتهما ونهب وسلب . واستولى على أملاكنا
 وأموالنا واستوعب . وأما العزيز فإن السلطان كتب اليه بتكرير يعمده
 ويأمره بالصبر ويقول « اذا أخذت من الوزير ما بذله فانا لا بد أن أطلقك
 وأعتقله » والوزير في كل مدة يزن له شيئاً من المال ويريه أنه من عنده
 ومن ذهبه ولا يعلم أنه جباه من مال المصادرات وجاء به ووعدته بالباقي الى
 همدان . وفي القدر ان بقاءه قد انتهى وان حينه قد حان . ورحل السلطان من
 بغداد ومرض في الطريق واشتد مرضه . ثم فارق جوهره عرضه .
 وذلك في شوال سنة ٥٢٥ . وذكر ان الوزير سبه في طعامه فانه لما قصر
 في اداء المال . ونظر في سوء المال . شرع في اغتيال السلطان على وجه
 الاحتيال . فتم له تأميله . وحين مضى السلطان لسيله . وضع في
 التسلط سيله

قال : وكان قد اتفق وصول السلطان سنجر الى الري في سنة ٥٢١
 قبل مضى السلطان محمود الى بغداد فعاد الى خراسان واستصحب الملوك
 معه تأييساً لقب محمود . باستصحاب اخويه طغرل و مسمود . عاد محمود
 الى سريره . وتفرد الوزير بتديره . ومن الاتفاقات العجيبة . والواقعات
 الغريبة . انه اجتمع في ذلك المهد في خركاه واحدة السلطان سنجر والاخوة
 الاربعة السلطان محمود و مسمود و طغرل و سليمان و الوزير الدركزى و النصير
محمود بن أبى قوبة و وزير سنجر وهناك رجل يقال له الملك وهو من التدماء
 المطبوعين فقام وصلى ركعتين . ورفع الى السماء اليدين . وجعل يدعو الله

ويتضرع . ويتهل اليه ويخشع . فاستدعاه سنجر وقال « ما هذه الصلاة والدعاء » فقال « ناجيت الله تعالى وقلت هؤلاء المصيبة الذين اجتمعوا في هذه الحركاء هم أصول التتن . وفروع المحن . فاخسف بهم هذه البقعة . وانفض عنهم هذه الرقعة . حتى يسلم خلقك . ويسلم حقك » فضحك منه سنجر . واستخف النديم المتسخر .

فلما عاد محمود سار الى بغداد وشرع في ازهاق النفوس فازهتها . والاخذ بمشورة الوزير لنفاها عنده مع نفاقها . لاجرم انه ماتمتع بمره بعد قطع تلك الاعمار . وانتقل بمجوره وجبروته الى جوار الجبار

قال : وحكي نجم الدين رشيد الخادم النياي انه حضر السلطان محمود وهو يتقلب على فراشه في سكرة الموت ويقول « ادفعوا عني شير كير وولده فقد شهر اسيافين ليقتلاني » وكان يكرر هذا القول الى ان قضى نحبه . ولحق بربه . وما عصبت به هذا الوزر الاعصية هذا الوزير . فانه عجل له سوء الادبار بسوء التدبير . وكان السلطان محمود محمود الخليفة . مؤدود الطريقة . ان ترك وطبعه لكنه بلى بانواع من البلاء من أعوانه . ونقصوا عليه . شرع سلطانه . وفرقوا في ابتداء دولته خزانه آية . واستضعفوا جانبه وطعموا فيه . قال : ووجد تفصيل بخط عمي العزيز رحمه الله ان الحزاة النياية الحمدية . كانت تشتمل على ثمانية عشر الف دينار سوى الصياغات والجواهر الثمينة وأصناف الثياب الممدية . قال الامر الى انهم احتاجوا الى اقامة وظيفة القمع . فلم يجدوا ما يصرفون فيها من المتاع . فاخرجوا الى القعاعي عدة من صناديق الحزاة التي فرغت فباعها بما بلغت وحتى طلب السلطان من شاور الحازن غالية فاستمهلها أياما وادعى اقلالا . ثم أحضر ثلثين مثقالا . فقال السلطان

لشاور وكان خازن أبيه « حدث لجماعات بما كان في خزانة أبي من الغالية »
 فقال شاور « كان في قلعة أصفهان منها في الاواني الذهبية والفضية .
 والبلور والصينية . ما يقارب مائة وثمانين رطلا ومعنا في خزانة الصحبة
 مقدار ثلاثين رطلا » فقال السلطان للحاضرين « اعتبروا بالتفاوت بين
 الامرين وفصل ما بين المصريين » قال : وكان محمود قوى المعرفة بالعربية .
 حافظاً للأشعار والامثال الادبية . عارفا بالتواريخ والسير . ناظراً فيما يوجب
 الاعتبار من الغير .

— ❦ — ذكر ما حدث بعد وفاة السلطان محمود ❦ —

❦ الى ان استقر الملك لطفرل ❦

قال رحمه الله : كان قد تفرس الوزير في السلطان محمود . انه موؤد
 وانه في الاحياء غير ممدود . وحين فارق كنفه . ورافق كنفه . استصحب
 الى الري مع عساكر العراق . وتظاهر ا على الاتفاق . وأمر اؤم برُسق
 وقزل وقراسنقر وقراطغان وغيرهم وأقاموا بها تلك الشتوة . وعندوا بها على
 انتظار السلطان سنجر الجبوة . ولبثوا من يوم موت محمود الى حين
 وصول سنجر أكثر من خمسة أشهر فوصل الى الري في شهر ربيع الآخر
 سنة ٥٢٦ واستقبله عساكر العراق مع الوزير . وجلس سنجر على السرير
 ووصل بعده ليلا لطفرل سحرة . ولقي عمه بكرة . فترجل له الوزير الدركزني

فاحترمه طغرل ولا التفت اليه . ولا قبله ولا أقبل عليه . وكان الرسول قد أرسل الى طغرل بحفة ونسخة عهد . ابانة عن نصيح وشفقة وبذل جهد . قال : وحكى زين الدين المظفر ابن سيدى الزنجاني وهو الرسول انه لقي طغرل بخوار الرى فثل بين يديه . وأوصل هدية الوزير اليه . فلم يجعل لها وزنا . وأظهر عند رؤيتها حزنا . وذكر آتاكه شيركير وشرف الدولة ولده وأغرورقت عيناه وابدي عليهما كده . وقال « اين هاتى هذا اليوم ولو عاشا لكانا انفع لى من هؤلاء القوم » ولما عرضت عليه اليمين بان فيه اثر السخط فشرع فيها متلفظاً . ومن ان يمين متحفظاً . فلم يتفوه بروابطها . ولم ينسبه على شرائطها . ولما رجع الرسول الى الوزير عرفه ما جرى وأخبره فلم يكثر بتلك الحال . اغترارا بقوة الاحتيال .

قال : وكان وزير السلطان سنجر نصير الدين محمود بن ابى توبة فأنتم على الدركزني بفرع الرى لتلك السنة فان الرى كانت من الاعمال السنجرية ووالها من أصحابها الاجل المقرب جوهر المعروف بالامير الاجل فلما فرغ الوزير القرع ووزعه . منعه الامير الاجل ووزعه . فأغلظ الوزير له فى المقال . وكان ذلك من اسباب خفه فى المال . قال : ورحل سنجر الى همدان وخيم بها ثلاثة أيام . ثم نهى الى نهاوند . وحث على اتباعه الجند . لأن الخبر وصل بأن الملك مسعوداً وصل مستعداً للملك ومنه صاحب فارس آتاك قراجه . ولما سمع طغرل بأقبال أخيه مسعود . لم يطعم من السلطنة فى مسعود . فغزم على الرحيل فأحس سنجر بزمه وسير اليه الوزير والامير الحاجب وهو محمود القاشانى . والامير قاج وجماعة من امراء السكر الحراساني . فأتوه وهو واقف على تلة حذاء كنشكوز وبلغوه رسالة عمه سنجر

وأنه ولاء سلطنة العراق وسلطه على ولاياته وأنه ولي عهده ومالك خراسان
 من بعده . فهوى الى الارض مقبلا . وجرى القدر بملكه من السماء فاصبح
 مقبلا . وسار سنجر الى نهاوند بعد ثلاث ونفذ السلطان طغرل في المسكر
 العراقي فجاءهم الخبر بان مسعود ايسى عائدا الى آذربيجان على سمت دينور وما
 في عزه ان يلقى عنه سنجر فاعذ الجماعة اليه سائرين وهجروا تلك اليلة
 الكرى . ووصلوا السير بالسري . فما اسفر الصبح الا وليل المعجاج جان .
 والخطيئتهز على يمين الشجاع كأنه جان . والكوسات تذعر . والبوقات
 تنعر . وصادفوا المسكر المسعودى على موضع من عمل دينور يقال له
 بنجكشت مررت تلك الجيوش به فامتلا الملا وماج المرت وجاش الموت
 وطلعت راية السلطان الاعظم سنجر وهو تحت مظله . كالتغر في هالته .
 وعلى ميمنته السلطان طغرل والامير قاج . وعلى ميسرته خوارزمشاه وعدة
 أمراء مساعير يسر بأسيهم الهياج . فحلت ميسرة مسعود على ميمنة سنجر
 وفيها السلطان طغرل فصدمتها وهزمتها . وركض طغرل في الهزيمة فرسخين
 ثم تحيز الى عنه ووقف في قلبه . وثبت بجنبه . وحملت ميسرة سنجر على ميمنة
مسعود فقرقت نظامها . والتهمت لها . وقرق قراجه ووقف في خواصه وكانت
لسنجر صفوف وراء صفوف تنفرقها الى القلب . ودارت في الاحاطة بهارحي
 الحرب . وكان أشجع أهل زمانه فابقت في مستنقع الموت رجله . ولم ير في
 الاقدام بالروح بخله فلما كسر أسر . وقبض معه من أمرائه على يوسف
الجلوش ووزيره تاج الدين بن دارسس
 ثم ركب السلطان بعد ثلاثة أيام ووقف على تلعة فاحضر بين يديه قراجه

ويوسف وهو . طارق لا يضرع له ولا يخاطبه فضربت رقبتهما . وطويت ورقهما . ثم انصرف السلطان سنجر ذلك اليوم وأرتحل من غده فلما وصل الى كور شنبه خلع على السلطان طغرل وسار به على انفراد . ووصاه ببلاده ونلاده . وأقضى اليه بأسراره وأسر اليه بمفاوضاته . وأمره بان يكون مع رضاه ونهاه عن معارضاته . فقبل عين الوزير ذا كره لما ذا كره . وعنه . وظن انه سرّ يختر فيه ذممه ويخفي ذمه . ثم دعاه وودعه . وأودعه من النصيحة ما أودعه . وانصرف الى الري راجعاً . ولصالح الممالك جامعاً .

— ذكر جلوس السلطان المعظم ركن الدنيا والدين —

﴿ أبي طالب طغرل بن محمد بن ملكشاه ﴾

(ابن الب ارسلان)

قال رحمه الله : جلس طغرل على سرير الملك بهسندان بعد انصراف السلطان سنجر الى خراسان في جمادى الآخرة سنة ٥٢٦ هـ ووزيره القوام أبو القاسم ناصر بن علي الدر كزني الانساباذي استبد بتمشية الامور . والامر والهي على الجمهور . وكان لا يوقع في الامثلة السلطانية مظهراً انه وزير سنجر . وانما خلقه بالعراق ليهذب الممالك ويدبر . وهو في هذا الكبر نشيط . والسلطان طغرل منه مستشيط . فهو في بث العدل . والوزير في بث الجبل . وذلك

يمطى وهذا يأخذ . وهذا يورط وذاك يتخذ . ووصلت رسل الامام
المسترشد بالله فلقمهم الوزير بمبوس وبؤس . ووقعهم بالنجۃ . وواقهم بالحبة
وضيع للطمع في الرئى الرشد . وضل عن نهج الضلالة التى تشد . وأفسد
ما صلح . وجرى على خاق الفلاحة وما أفلح . وانفصل الرسل ولم يستقر
بين الامام والسلطان قاعدة . وكلما ظنت متقاربة عادت وهى بمادية عادة
الوزير متباعدة .

ذكر ماجرى للملك داود بن محمود بعد وفاة أبيه

قال رحمه الله : كان داود ولي عهد أبيه . وآق سنقر الاحمد بلى آتابكه
ومرسيه وهو بأزريجان فى جمع كثير . وجم فقير . وقصده خواص والده
وتغضبوا له وتمصبوا . وثابوا اليه ووثبوا . ومهم الامير سعد الدولة
يرتقى الزكوى وكان من أجل أمراء الخدم . وأخذهم فى احياء رسوم
البأس والكرم . ومهم ابن قراجه ايلر مش وأخوه . وعدة من الامراء
هم الاعيان والوجوه . ومن أرباب العائى الصنى الاوحد أبو القاسم الذى
جعل مستوفيا للسلطان محمد بعد العزيز . فحملهم على التبريز من
تبريز . ونهض السلطان داود فى سنة ٥٢٦ الى همذان ولما قرب من
معسكر عمه طغرل انحازت عدة من أمراءه الاتراك الى خدمة طغرل
منهم بلنكرى وأخوه مع عصبة ذات عصية وكذلك شيمه الاتراك

غير وفية .

وبرز طغرل في جنوده المنفة . والبنود المنخفة . فلما تصاف المسكران .
وتضايق الشيران . وقع البيض على البيض . ولم ير البحر الدم يجود من
الغيظ بالبيض . ومضى الظهر ولا صهور . وقد حمى بالصدور الظهور .
وظهر الم وعم الظهر . ونفر ابن الاخ وفر منه النفر . وانهزم آق سنقر
بداود . وباء الباقرن باغلال وقيود . وقتل في المعركة المرش بن قراجه مقدما .
وبذل روحه في الملتقى مكرما . وأخذ سعد الدولة يرتش الزكوى فاعتقل
في همدان عند الوزير في قصره وأمضى على سبعين الف دينار فصل أمره .
وتسلم منه قلعة قزوين . وخلت منه بلاده وذوين . وأخذ أيضا الصفى
المستوفى المعروف بأوحد هروز وحبس عند جاولى جاندار . وسأل الوزير
أن ينقله ويمنقله عنده بالدار . فما رخص فيه السلطان . ولا تمكن منه ذلك
الشیطان فانه كتب الى طغرل يقول « انسلتني الى الوزير . أسلمتني الى
المير وأنا أعطيك مائة الف دينار على أن أسلم ولا أسلم . ويستصفي
مالي لا الدم » .

فلما يش الوزير من وقوعه في يده افكر في حيلة ضئف بها مال
مصادره حتى أدي مائتي الف دينار وفك أنه قال للسلطان طغرل « إن عمك
أمرني أن أضرب الديار الركني في همدان . حتى يتفق نقد المراق
وخراسان » وتقدم بضرب الف دينار بذلك الديار . ونادى بالتعامل به في
تلك الديار . وطولب الصفى الأوحد بذلك النقد . من غير تضيف المقد .
ثم انه صادر الامراء وأمر بالمصادرات . وبيت بالاذى ذوى البيوتات .
فقرر على قتل الرشيدى وكان استاذ دار السلطان محمود ثمانين الف دينار ثم

غدر به الوزير فاستخرج من ودائمه ثلاثين الف دينار اخرى فقرته وأفتقرته .
 وكسرتة وخسرتة . وأخذ من الجلال بن منارة البيع في همدان ثلاثين الف
 دينار . وولى نغر الدولة بن أبي هاشم الحسني رئاسة همدان وأخذ منه
 عشرين الف دينار . وقرر على تاج الدين دولت شاه بن علاء الدولة ووالده
 ووزيره مائة وخمسين الف دينار . وصادر الاكابر . وصدر الكبار . وجر
 المظالم وعظم الجرائر . ووزع على بلاد الممالك بملة صياغات بيت الشراب
 والمطبخ الوفا . وثمة فاطم السطان طنرل على طغيانه وتسلمه فأفخذ اليه
 « انك اساءت سمعتي وأسمنت مساءتي . وفضحت أمرى وأمرت بفضيحتي .
 ألم يكفيك سلخ جلود المظالم . حتى شرعت في استقراغ دماء الضعفاء .
 واستنزاف دماء الفقراء » فكف الوزير عن التوزيع بعد جباية الاكثر .
 والحيانة في الاوفر .

وسمع السطان طنرل يتحرك اخيه مسعود . وخروجه مع أبي سمنر
 في جموع وحشود . فأرحل صوبه الى أذربيجان فلما سمع مسعود يقربه . لم
 يقف لحربه . وأغدر السير الى بنداد في حزبه . ودخل طنرل الى مراغة
 وكان الوزير في تأخر عنه فاتهنز فرصة غيبتة . وبسط يد معدته . فجاءه
 الوزير فجاءه . وجر عليه جرأة . وبطل الحق وعطل المدل . ووجه على
 وجوه البلاد البلاء . ومثل بالامائل والى الرؤساء اساء . وصادر زرقان
 رئيس تبريز . على سبعين الف دينار من الذهب الابريز . ودخلت الشتوة
 رقصت الخطوة . واختار السطان طنرل دخول تبريز والمقام في قلعتها الى
 حين انحسار شتوتها . وانكسار سطوتها . فاجتمع عسف الوزير . وعصف الزمهرير
 وادبار المسى وسوء التدبير . وكان المستولى على فارس بعد قزاجه منكوبرس

وقد اجتمع عليه الترك فكتب الى السلطان . يطلب ولده الب ارسلان .
ليذعن بالطاعة . والاعتراف بالتباعة . فأوجب ذلك رحيل السلطان والطرق
مسدودة . والسبل مسدودة . فتضرر الظهر وظهر الضرر . ونفتت الدواب
وتضوّر المسكر . ووصل الى اصفهان . وأنفذ الى فارس ولده الب ارسلان .
فوقعت على منكوريس حيثئذ على الحقيقة سمة الآتابكية . ودرت له
اخلاف الحرمان البكية .



ذكر حوادث جرت في أثناء ذلك من السلطان مسعود

﴿ وآتابك آق سنقر الاحمدي ﴾



قال : رحمه الله لما قصد السلطان مسعود بغداد عبر على تكريت وكان
واليها الامير نجم الدين أيوب وعمى عزيز الدين عنده فقال مسعود لا يستتب
أمرى الا بوزارة العزيز . فان الامراء يميلون اليه واذا استوزرته كنت في
حرز حريز . فنفذ اليه خادمه عماد الدين صوابا . والامير أبا عبد الله البدوي
ومعه مقدمين وحجابا . وطلبوه من الوالى . فأظهر الامير طاعة الموالى .
لكنه اضمر نية اللاوى ولى المناوى . فان صاحبه كان مع السلطان طغرل
فحصل فى الامر المشكل . ان سلمه خشى فى العاقبة عقوبة صاحبه الثائب .
وان لم يسلم خاف من سخط السلطان الحاضر العاتب . واخرجه من القلعة
الى المشهد بالمدينة . واشتغل بحمل اسباب التجميل والزينة . ولم يزل يدافع

الوقت حتى حان المغرب . وخان المطلب

فنزح العزيز على الخروج فيمن معه وتسابقوا الى الابواب فوجدوها
قد أغلقت قبل وقت اغلاقها . وعند ذلك عاد وثوق الآمال بالانطلاق
بوثاقها . وطلبت المفاتيح وقد حملت الى القلعة . فباتوا على مضضهم في تلك
البقعة . فلما أصبحوا وجدوا صطماز أحد ممالك بهروز وهو شحنة الحلة على
الباب . وقد استتبع جماعة من الاوباش والاشاب . وقد ساق في ليلة
واحدة اربعين فرسخاً . وجاء لمن بالقلعة مصرخاً . ودخل على العزيز وأخذ
بيده ورده الى القلعة وقال للقوم « انصرفوا بسلام . فلا حاجة بنا الى التعرض
من صاحبنا لمعتبة وملام . وهذا السلطان مسعود ان استقرت له سلطنته
فالافاق له مدعنة . وما دام الملك لاخيه فلا مطمح له فيه » فلم يقوم انهم
اخطأوا الحزم . وضيعوا العزم . فرجعوا الى السلطان وأخبروه بالحكم والعملة .
فخل به الشحنة من شحنة الحلة . وطلب بمض اخوة العزيز ليستخدمه .
ويتقرب به اليه ويقدمه

وكان العميد الدين أبو طالب وزير آق سنقر الاحمديلي وهو في
الخدمة فرتبه في منصب الاستيفاء . وتموض بالصعيد الطيب من الماء .
واستوزر أبو شيروان . وجعل بمكانته المكنان . وأخذ المسكر للملك طالباً .
ولاخيه مناصباً . وكان السلطان طغرل سينش باصفهان . وقد استخلف آتاك
قرا سنقر بأذربيجان فلما نهض آق سنقر مع السلطان مسعود الى آذربيجان .
ترشح عنه قرا سنقر الى زنجان . ومخصن عين الدولة خوارزمشاه والاميران
بشكتين و بلاق بارديل والامير الحاجب تار بأرمية وتحكم السلطان مسعود
واقى سنقر في تلك البلاد . وانتظمت امورهم في سلك السداد . ونزلوا على

أردبيل محاصرين . وثبت اهلبا صابرين مصابرين . وكتب الدركزني الى قرا سنقر يحرضه ويقول له « بارز آق سنقر فأت له مبار بالمبارزة . واحضره وناجزه الحرب بنفسك والا حضرت بنفسى الى المناجزة » فكتب جوابه ومهد في تأخير القتال عذرا فلم يذره الوزير وكتب اليه ثانيا يأمره بالمناجزة فأستشاط قرا سنقر من اشتطاط الوزير وقال لجماعته « قد بلانا الله بهذا الفلاح . والدولة بوجوده معدومة الفلاح » فاحتد الاميران الحاجب تبار وجاولى الجاندار وقالوا « لا بد من طاعة السلطان في محاربة أهل المصيان . فلا نجبن فهذا مقام الشجمان » فاغتاض وركب وساق نيفا وعشرين فرسخا في ليلة واحدة فوصل بخيول رازحة . وخيول آق سنقر جماعه غير جائحة . فتلاقيا وتضاريا . ثم انهزم قرا سنقر وفر . وظفر آق سنقر وفر . وكانت الحرب على باب اردبيل . فشق آق سنقر منهم القليل . واحتوى على ما كان معهم . ولم يتم بدمهم وتبهم . وهجر الكرى . ووصل السير بالسرى . حتى وصل الى همدان . وعنا الملك لسعود ودان . وخرج السلطان طغرل وتحصن بازونذ وماوشان وكان قد عرض له مرض اقده عن الحركة . واعجزه عن حماية المملكة . فقدم الامير الحسن الجاندار على المسكر وهاجه الى اللقاء . وألقاه في الهيجا . ثم انهزم طغرل الى الرى قادما . وعلى الرأى نادما . وعلى وزيره واجدا . والله شكرا على سلامته ساجدا .



ذكر ما كان من حديث عمي العزيز وحادثته

بعد عوده الى القلعة

قال : قال الدكتور ني لسنجر عند عوده الى خراسان « انك تمود الى خراسان ويعد علينا استئذانك في المهام فاعطنا علاماتك في دروج بياض . المقاصد امراض واغراض . فاذا عنت مصلحة . وافقت . منمة للدولة مترجمة . أصدرنا بها مثالا بعلامتك فلا يخالفه القريب والبعيد . ولا ينقاد الا له النوى والرشيد » وكانت علامة سنجر تحت قوس الطغراء وفوق بسم الله (توكلت على الله) فاخذ العلامات في عدة دروج . واتخذها اسبابا لاستباحة دماء وفروج . فاول مثال زوره انه وقع تحت علامة منها بقتل العزيز الى صاحب تكريت هرروز الخصى . وافق انه كان في المسكر مهم فارهبه وأرعبه وأمره بالامثال . والجري على مقتضى المثال . ففزع الخصى وتمكن منه الخوف وكتب الى والي تكريت نجم الدين أيوب . وخاطبه في الخطب المخطوب . وقال له « هذا توقيع السلطان مع صاحب وزيره . يأمر بقتل العزيز وتسليمه اليه وتسييره . فان آيت فقد رضيت بسخطي . وخالفت شرطي . وأردت الخطأ في رد خطي »

وكان نجم الدين رجلا مسلما . فما رأى أن يكون لرجل مسلم مسلما . وعرف أخوه أسد الدين شيركوه الحال . وحجز بينه وبين الوقوف على التوقيع الواصل وحال . فشاركه أخوه شيركوه في رد الوارد . وصرفوه بالخلع والقوائد وكان شيركوه ملازما للعزيز ومتبركا به . و متمسكا بسنته .

قال عماد الدين : سمعته يوما يقول « صليت ليلة مع العزيز فسمعت هاتفا يقول جملك الله عزيزا كما حيت العزيز » فما أطمعني في مصر بعد نيف وثلاثين سنة الا هذه الدعوة . وأيقنت اني أنال هذه الخطوة . قال : فكان كما قال فانه ملك مصر وصار عزيزها . ومن حاز الجنة بما فعله فلا عجب لمملكة مصر ان يحوزها

قال : فلما عرف الدركزني تمنع ما توقعه . ضاق عليه القضا وما وسعه . فقتل على بهرروز وفزعه . وقال له « سر بنفسك ولا تنفس بسرك حتى تأتي تكريت . وبيت من بها قبل ان تبيت » ووصل بالخصى أياما . ومنزج له في الشهد ساما . ثم أطلقه على الشرط فلم يشعر نجم الدين أيوب وأخيه أسيد الدين شيركوه حتى هجم الخصى عليهما القلعة وقال لهما « قد دافعتما عن هذا الرجل دفات فكيف هذه الدفعة » فدفعاه فلم يندفع . وردعاه فلم يرتدع . فتركاه وشأنه . فمات ترك ماشانه . وكان بهرروز قد استصحب معه من أعوان الدركزني ملحدا . مثله مفسدا . فلما عرف العزيز رحمه الله انه قد أسلم . وأحسن بالامر وما أعلم . قام يصلي ركعتين فصلى الاولى بسورة الكهف وشرع في الاخرى يباسين . وطالت صلاته على الملحد اللعين . فضربه وهو في السجود . فجاء بروحه في مناجات المعبود . وشهد السعادة . وسعد بالشهادة . وكان مذحس متوفرا على الببادة . يصوم ويقوم وذلك في سنة ٥٢٧ وعمره ٥٥ سنة . وجرى هذا الامر . ولم يكن عند السلطان طنزل خبر . وفي ذلك عبرة لمن اعتبر . فانه بعد قتله الدركزني طلب العزيز فاعلم بمحادثته وحديثه . فلمن الوزير على تأثيره . وشؤمة النارى وناريسه . ولم يكن بين مقتل الشهيد العزيز وبين

(٢٠ - آل سلجوق)

مقتل المرتد الوزير سوى أربعين يوما

ذكر قتل الوزير الدرگزني وما آل اليه أمر السلطان طغرل

قال رحمه الله: قد ذكرنا أنه أحجم إلى الريح من قدام آق سنقر ومسعود.
في عدد مفلول وفل معدود . وخرج الأمراء الذين كانوا باردبيل في الحصار
ورحلوا على سمت أصفهان . ليحقتوا السلطان . وفارقهم العسكر فوصلوا في خوف
من الخوارج . وعبروا للخلاص . على النهج المتعص . وجاءت العساكر
إلى مسعود من كل حذب تنسل . وبكل عيال تعسل . وكان طغرل قد
رحل إلى أصفهان . ثم رحل لقصد أخيه مسعود إلى خوزستان . وأيقن
أن كل ماتم عليه من الوهن في أموره كان بوزر وزيره . وإدبار تديره .
فأمر بصلبه . فصلب بأمره . وانقطع لثقل جسمه جبل خنافة . فوقع
إلى الأرض في آخر أرمائه . وفي جملة النظارة مملوك من ممالك شيركير
واقف . وهو بما جرى منه على مالكه عارف . فشق الحلقة بسيفه
المسلول . وضرب رقبة الوزير المنلول . فقطع في الحال أربا أربا . وأفرغ
خف رأسه وحمل إلى ابن شيركير فاتخذ للكلاب شربا . وأهدت كل أئمة
له إلى من عنده له ثار . وانتش بعثاره من كان له عثار . وكان مقتله
بشاهور خواست

وكان السلطان طغرل قد قال له وهو جافل . ومن طلوع أخيه عليه
أقل « ابن المسكر أين الجند أين ما سبق به منك في الكفاية الوعد » فقال

له « لا تبالي ولا تخظر خطراً بالبال فاني قد نذبت جماعة من الحشيشية لقتل أعدائك وكأني بهم وقد تمجّل قمعهم وتقلّ جمهم » فاعتاظ السلطان وقال له « قد وضحت صحة الحادك . وبان فساد اعتقادك » فامر بتجريدته واشمال نار الحديد في ماء وريده

قال : ووصل الخبر بان الباطنية قد دخلوا على آق سنقر في خيمته بمرج قراتكين . وتناوبوه بالسكاكين . وان عساكره ارتحلت من هذات . على صوب آذربيجان . فان السلطان مسعوداً وان كان في جمع جم . وعسكرهم لكن أمره مدبر . اذ عدم من هو له مدبر . فتتى طغرل عنانه . وشرع لنحر الحصم سنانه . ومضى الى الرى . وطوى المنازل اليها أسرع الطلى . فلما خيم بها اجتمع الزباب على عسله . والذؤبان العاسلة في محفله وجحفله . ورحل السلطان مسعود بعد مقتل آتابكه آق سنقر الى الرى لاضفاف أخية أخيه . ومناجزته قبل انتهاء قواده بجوافيه . والمسكر الباقي منه يزيد على ستة آلاف فارس وطغرل في ثلاثة آلاف فبرزوا بمدة المبارزة . وانجزوا عدة المناجزة . فانهزم طغرل وحماه حماة خواصه . وخلصه ذور اخلاصه . واستأمن الاميران بلاق وسنقر صاحب ذنجان وجماعة الى المسكر المسعودى . وأستوت سفينة السكينة منهم في بحر جوده على الجودى وذلك في ثامن عشر رجب سنة ٥٢٧

وامتد طغرل الى طبرستان ونزل على الاصفهيد على فأكرمه وأعز مقدمه ووسع له ولعساكره الاتراك وأنفق فيهم النخائر والاموال وأقاموا شتوتهم عنده فلما انحسر الشتاء رحل طغرل عائداً الى همدان واتصل به من الامراء الاكابر جماعة . لهم على الانام طاعة . مثل عين الدولة خوارزمشاه ومحمد

ابن شامك وحيدر بن شيركير وسعد الدولة يرتقش ووصل بزابه من عند
آتابك منكوبرس في التي فارس من فارس فاشتدت شوكته . واحتدت
شكته . وكان السلطان مسعود بأذربيجان فاستدعى نجر الدين عبد الرحمن
ابن طنايرك واتصل به يرتقش البازدار ونجم الدين رشيد ونهضوا لصوب
قزوين والرى . عازمين على حسم الداء بالكي . فرحل السلطان طغرل يتبع
أثارهم . ويشق غبارهم . فنكلوا عن لقائه . وولوه ظهورهم عند ظهور
لوائه . وتفرقوا ابدي سبا وغنم أصحاب طغرل ما وجدوه من دوابهم
وأسلحتهم ونذب قرا سنقر الى محاربة الملك داود بن محمود بالمراغة فهزمه .
وفل غربه وثله . وتمكن السلطان من سلطته . وتسلط بمكته . وفرع
سريه وعرف سروره .

— — — — —
وزارة شرف الدين علي بن رجا — — — — —

قال رحمه الله : سمعت والدي صفي الدين يشكره ويشني عليه ويقول
لما قتل السلطان طغرل وزيره الدرگزني استدعاني من اصفهان وظن
بهران العزيز باق . وانه عن حضرته اذ طلبه غير معتاق . قال : فقربني واكرمني
قال « خذ خطي الى يهروز باحضار أخيك . وأسرع فاني منتظر لتوافيك »
قال : فمضيت الى بغداد واذا بالقضاء قد قضى . والحكم قد أمضى . فلما
عرف طغرل بوفاته طلب رجلا كافيا فوجد علي بن رجا عليا كما رجا . فبول
عليه في وزارته وسلم اليه المنصب وشرع في مصادرة الدرگزنية وقبض على

نوابهم . وضيق على أصحابهم . قال : وفي هذه النوبة قتل السلطان مسعود
الصفى الاوحد المستوفى وصادر أهله على مائتي الف دينار وكان ذلك برأى
سعد الدين أسعد المنشئ الحراساني وبمواطاة الكمال ثابت القمي فانه تولى
منصب الاستيفاء . فرأى ائتلاف من يترشح لمنصبه حتى يبطش بيد الاستيلاء
ولما استقرت قاعدة طغرل وأمن من معار معارضيه . وعلا على معار
مقارعيه . وجلس على تخته . وتبجل بملو بخته . فاجأه الاجل فانتقل من
التراء الى الأثرى . ومن دار البلاء الى دار البلى . وذلك في أوائل سنة ٥٢٨
فانه عرض له قولنج فشرّب دواء أسهله وأدواه . وأسقط قواه . فقتلت
ذلك الجمع . وانطفئ ذلك الشمع . وغاض ذلك البحر . وغاب ذلك البدر .
وكانت وفاته بهمدان ودفنه بها في مدرسة بناها لبعض خدمه . وأسف
بنو الآمال على كرمه . وكانت مدة ولايته سنتين وشهراً أو شهرين وكان
جامعاً للاخلاق التي تفتقر اليها السلطنة من الحزم والتعفظ . والعزم والتيقظ .
الا انه كان مستبداً بأرائه . معجبا بأهوائه . لا يستشير في أموره . ولا
يسترشد في تديره . وكان مصطنعاً لا راذل محبوبه في أول عهده . فصاروا
مقدمي جنده . والمخصوصين برفده . فكانت دنائتهم نفص من جليل قدره
وتغصص على ذكره .



ذكر جلوس السلطان المعظم غياث الدنيا والدين أبي الفتح

مسعود بن محمد بن ملكشاه قسيم أمير المؤمنين سنة ٥٢٨ هـ



قال رحمه الله: كانت أم مسعود حظية تسمى نيسا ندر جهان وزوجوها
بعد وفاة السلطان محمد بالأمير الاصفيسلار منكوبرس والي العراق. ونقلوا
مها برسم جهازها من الخزانة السلطانية أموالا لا تعد مع دوام الاتفاق .
وكان منكوبرس من أكرم أسراء الدولة وأعيانها وكان قد استبد بأقطاعات
العراق بعد وفاة السلطان وتفردها مدة حياته . وارتفع بوفور ارتفاعاته .
وحكي عن وزيره ولي الدين المخلص محمد المياجي انه قال « جمعت له في العراق
الف الف وثلاث مائة الف دينار نقداً . مطبوعاً بالسكة الامامية سوى ما كان
له من الآلات والثياب والدواب والجواهر وقد ألتنا بذكر قتله في عهد
السلطان محمود . ورجعنا الى حديث مسعود . وذلك انه سلمه والده في سنة
٥٠٥ الى الأمير الاصفيسلار مودود صاحب الموصل

ثم جهز مودوداً للحرب القرنج ووصل الى الطبرية وروى صدى الاسلام
من دم الكفر . وشهر على أيمان الايمان فصل النصر . وعاد الى دمشق
محبواً بالفتح . مجبوراً بالثجج . وحضر في الجامع في آخر جمعة من ربيع
الآخر سنة ٥٠٧ وخرج ويده في يد طفتكين صاحب البلد . وهو مخوف
من جنده بذوى العدد والمدد . فجاء اليه رجل وضربه بضرتين فنفذت احدهما
الى خصرته وحمل الى دار طفتكين . وعز فيه عزاء المسلمين . وقيل انه خاف
منه على دمشق فدمى اليه . ولولا ذلك لكان لما اهرق منه الدم شق عليه .

ولما وصل نبي مودود الى السلطان محمد سلم ولده مسعوداً الى آق سنقر
البرستي وأقطعه الموصل والجزيرة . وأجزل له عطاياه الزيرة . ولما توفي
محمد تولى محمود فزوج أم مسعود بمنكوبرس استماله لقلبه . واهلاراً للتقرب
اليه ترغيباً له ورغبة في قربه . فلما ظفر به قتله . وحلى بصنغ دمه من سيفه
عظلة . وجمع جوشبك الجيوش وسار بمسعود الى حرب أخيه محمود فكان
ما كان من هزيمته وقتل أبي اسماعيل الطغراني وزيره

ثم استدعى السلطان سنجر بعد ذلك مسعوداً وأخوته . وقرّر على السلطان
محمود من مال العراق نفقهم ونفقته . الى أن خرج الامراء على محمود في
آخر ايامه فاستدعوا مسعوداً من جرجان . وحملوه على مناجزة السلطان .
فالتسني له أمر . ولا تهيأ له نصر . فاستمال السلطان محمود أخاه مسعوداً
وقربه وسيره الى ارازية . واستكانت لهيبته عيون أعيانها الراية . ثم لما توفي
محمود جرى له ما ذكرناه مع أخيه طغرل حتى مضى لسبيله

قال : وكان مسعود قد وصل الى دار الخلافة في حياة أخيه وخطب الخليفة
المسترشد بالله له وأجله وبجله ووقفت عليه سمة السلطنة بلاسم . وعلاصيته بلا
صوت علو . وكان الجندي مجتمع عليه ويفترق . ويشتم تارة معه ويمرق . فلما نبت
غمرسه . وثبت عرشه . وقرّر قراره . وسرأسراره . وكان وزيره شرف الدين
أنوشروان بن خالد . قال رحمه الله : وكان المسترشد بالله رضي الله عنه قد
استوزره مدة ولما وصل السلطان مسعود الى دار الخلافة وخطب له في آخر
الحرم سنة ٥٢٧ هـ . فأنوشروان وهو وزير الخليفة في مهامه . ففسر بحسن سفارته
وجه مرامه . وأحضره المسترشد وقال له شفاها « تلق هذه النعمة بشكرك
واتق الله في شرك وجهرك » وخلع عليه وطوقه وسوره وجلس على

الكرسى المعدل فقبل الارض وقال له أمير المؤمنين «من لم يحسن سياسة نفسه لم يصلح لسياسة غيره قال الله تعالى ذكره فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» فأعاد عليه الوزير بالقارسية فأكثر من الدعاء والضراعة . ونطق بالاذعان والطاعة . وقلده بسيفين . وعقد له يده لوائين . وسلم اليه ابن أخيه داود وآتابكته آق سنقر وقال له «أنهض وخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين» فضى مسعود وهي التوبة التي نصر فيها على طغرل قال : ثم رأي الخليفة عزل أنوشروان واستبزار شرف الدين قبيب النقباء على ابن طراد الرضي وفيه يقول حيص بيص قصيدة أولها

شكراً الدهرى بالضير وبالقم لما أعاض بمنعم عن منعم

جلس في بيته مكرماً . ولزم منزله محترماً . ثم اجتمع بالسلطان مسعود فاستوزره . وصدرهبة الاطماع حين صدره . وكان المستولي على مسعود آق سنقر فلما استشهد تمكن الامير يرتقش البازدار فاستولى ولم يلتفت اليه ولا الي وزيره وكان آتابك قراسنقر حينئذ قد وصل الى الخدمة في حشوده وجنوده وحماة آذيجان . وكماة اران . وعنده استثمار من زوجة السلطان الخاتون زبيدة بنت بركيلى فلما كانت على السلطان متسلطة فرأى صلاحها واصلاح رأيها . وحمله دهاؤه على حمل النفائس اليها واهدائها . فلم يعجب الامير يرتقش ذلك فاستوحش ووافقه الامراء الاكابر وهم برنسق وقزل أمير آخر وسنقر صاحب ذنجان وچاولى وحيدر بن شيركير فخرجوا عن الطاعة . وتدرجوا الى مفارقة الجماعة . ورحل يرتقش بهم الى بروجرد وبقي السلطان ومعه قراسنقر في جيوشه واتصل به خوارزمشاه ووصل الامير السابق رشيد من خراسان فنهض السلطان بهم الى هؤلاء البهم والتقوا

فانهزم يرتقش وأسر من الامراء الطنزرية جماعة . وقعت في اطلاقهم من
قرا سنقر شفاعة . ولم يزل بهم حتى اصلح حالهم . وقضى اشغالهم .
 وأما يرتقش البازدار فانه رهب فهرب ودار بخلافه حتى أتى دار
 الخلافة . فخط بحرم الامن رَحْلَ الخافاة . واستصحب معه من الارك
 جمعاً كثيراً . وصار بين الخليفة والسلطان للشر مثيراً . وأشاع عن السلطان
 نقض الأيمان . ورفض الايمان . وزعم أنه قد عزم على صدق القصد .
 وانه باغ باغ زَرَعَ الدولة المسترشدية بالحصد . وكان الخليفة قد انقرض من
 السلطان في تسميرات غيرت فيه آراءه . وبدت من شحنة بينداد ماأبدت
 شحناءه . فلما سمع قول يرتقش صار يرى نقشه في الحجر . ونبت ما شجر
 من الخلاف والناد عند الخليفة نبت الشجر . وكان السلطان قد تم باتباع
يرتقش بمسكر يكفه ويكفيه . ويقف على أثره ويقضيه . فصدق الخليفة
 قصده . وتحقق حق عناده عنده . فحينئذ خطب وخاطب . وطلب
 وطلب . وخرج بنفسه في هيئة رائعة . وهيبة رائعة . وخرج معه من
 كل طائفة أعيانها . وتماونت على التناصر انصار الدولة وأعوانها . وسار
 وقد صحبه حتى الشعراء والاطباء . والصوفية والفقهاء . وفي تلك السفرة
 يقول أبو القاسم بن الفضل الشاعر قصيدته التي اولها

في المسكر المنصور نحن عصاة مرذولة أخس بنا من معشر
 خذ عقلنا من عقدنا فيما ترى من خفة ورقاعة وتهور
 ويقول فيها

تكرت تعجزنا ونحن بمقلنا نسى لناخذ ترمذاً من سنجر
 قال : ولم يقدر على التخلف عن الخليفة ذو قدر . ولم يفسح لذي عذر .

وسار في حشد وحشر . وضم ونشر . ونفي الى السلطان خروج الخليفة
فشق عليه شقاقه . وأظلمت آفاقه . فخرج صوبه من همدان والتقوا بمرج
يقال له داي مرك ولما تراءى الجمعان مال الجنس الى الجنس . فقال الترك
الى الترك . وأسلموا حرمة الاسلام المصونة الى الهتك . وتفرد الخليفة مع
مفرديه . وبعد من جدى منجديه . ثم أقتنع نشاصه . وانفل عنه خواصه .
ووقف ولم يول . وثبت ولم يخل . وهابت الجماعة الاقدام عليه . والتقدم
اليه . فنزل أمير العلم السلطاني وتقدم ولم يزل يقبل الارض حتى وصل اليه
فأخذ بعنائه . ثم أحدق به الامراء كما يحدق كل موكب بسلطانه . وأنزلوه
في خيمة ومعه وزيره نقيب الثقباء وابن طلحة صاحب المخزن وسديد الدولة
ابن الانباري كاتب الانشاء وبقي هكذا في خيم مسعود يرحل برحيله .
ويحل بحلوله . وهو يبعده باعاده الى دار الامامة حتى كان المعسكر على
المراغة فوصل الامير يرتقش قرآن خوان من خراسان برسالة سنجرية كتم
سرّها . وأسبل سترها . وهجم على الخليفة جماعة من الباطنية قفتكوا به في
سرادقه . وجفوا الزمان بسيد خلاشقه وخلاشقه . وذلك في يوم الخميس
الثامن عشر من ذى القعدة سنة ٥٢٩ هـ فمرف بقرائن الاحوال ان سنجر
سير الباطنية لقتله . وما اشنع وأفظع ما أقدم عليه من فعله .



هو ولاية أمير المؤمنين أبي جعفر منصور الراشد بالله

(ابن المسترشد بالله رضى الله عنهما)



قال : فوصل الخبر الى بغداد باستشهاد الخليفة رضوان الله عليه يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ٥٢٩ هـ وبويع لراشد بالخلافة وجلس في منصبها في ذي الحجة وتلقى في دار الامامية ببغداد قريب تسعة أشهر على ارجاف مزيج الارزاء . وخوف غالب على الرءاء . حتى تفرغ مسعود الى شغله . فشدل بيته بيت شمله . وأخرج بدره من بيت شرفه . وأتى على مثله ومطرفه . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه

قال : فأما السلطان مسعود فإنه بعد حادثة الخليفة بالمراغة قبحت سمته . فذكرته الاسن . ونكرته الاعين . فصارى فكر في شئ ينق عنه الظنة . ويستل به من القلوب السخيمة المستكنة . حتى سوات له نفسه قتل الامير ديس بن صدقة . وكان في القرب منه بمنزلة انسان عينه الذي بؤاه المدقة فرأى انه اذا قتله نسب الناس اليه قتل الخليفة وان السلطان لذلك لم يبق عليه . وكان الامير ديس المزدى حضر باركاه السلطان وهو جالس ينتظر الاذن فجاءه من ورائه وهو لا يراه بخيار الوشاق . وأبان بسيفه رأسه وأسأل على البساط دمه المهرق . وكان بين استشهاد الخليفة وقتل ديس شهر واحد . وكانت هذه النوبة أيضاً شنيعة . والقضيحة فظيمة . وشغفت الكبيرة بالكبيرة . واتبعت الجريرة بالجريرة . فتقرحت القلوب وتمحرت . وأسفت النفوس وأشغفت . فلم يكثر السلطان بما كثر . ولم يحدث غمأ لما حدث

وطما عباب طماعيته . ولتفع شر شرته . وخشيته الا كابر والامائل . وغشيه
الاصاغر والاراذل . فرفع قوانين السلطنة وأبطلها . ومحاسن اعسانها وعظماها
فأول مابدا به بعد حادثة الخليفة انه نهض الى بلاد سكان فحب على
سكانها البلاء . وأضرى بها الضراء . وخافه ابن سكان فجفل . ثم بذل له
بالذل خدمة حتى قفل . وحيث توجه الى بغداد مناصبا للخليفة . ناصبا له
وجه الخليفة . فنذر وحذر . وقام وقعد . وأحس بقرب من قتل أباه فأباه
وبعد . وكان الامير زنكي بن آق سنقر صاحب الشام ببغداد . فحمله على
السير منها والاغذاذ . وكان داود بن السلطان محمود قد وصل الى بغداد
وزنكي موازره . ومظاهره وناصره . فلما حضرها مسعود وحصرها .
ونازل بمسكره عسكرها . رغل داود عائدا الى آذربيجان . وأجل زنكي
راجعا الى الشام . وقد خاف السلطان وأشار على الخليفة باتباع أثره
فما أصبى اليه . ولا سهل خروجه من بيته عليه . ثم استوحش من مقامه
بعد ان أقام مدة على استيحاش . فرحل رحلة آيس ونفر نفرة خاش .
ومضى اقبال خادم آيسه معه . وصحبه وزيره جلال الدين أبو الرضاء بن
صدقة وخيم بظاهر الموصل متمسكا بجبل قاطعه . ومقترا بسلم منازعه .
فان زنكيا لما أصاح أمره مع مسعود سببه وخيبه . وأخذ اقبالا خادمه
وحبسه ثم قتله . وأزعج الخليفة فانتقل انتقال المرتاب وتحول تحول المرتاع .
وبقي كذلك سنتين لا يستقر به مكان . ولا يمكن له قرار . حتى اجتمع
بالسلطان داود في آذربيجان . وجاء معه الى محاصرة أصفهان . وختم له
بالشهادة عليها سنة ٥٣٢ هـ في ظهر يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر رمضان
وكان ذلك في القيظ وقت الهاجرة المتأججة . والقائلة المتوهجة . فهجم عليه

قوم من فدائية الباطنية . فأُخْجِمُوهُ عَلَى فِرَاشِ الْمَنِيَةِ
 قَالَ : عماد الدين وأنا اذكر في صنري هذا الحادث الكبير وحديثه
 وتأثيره في القلوب وتأريته . وكان ذلك بمَقْبِ سنوات اسنات . وشَتَات
 شتات . ومَجَاعَات للجماعات مفرقة . ونَوَائِب نوابي للنوائب
 محرقة . وهلك الناس جوعاً . وخرج من أهل أَصْفَهَان من لم ينو اليها
 رجوعاً . وما كفاهم ذلك حتى نزل عليهم داود غفر القسرى وألحقت
 بالوهاد وأغلقت أبواب البلد . ووهت أسباب الجلاء . وأعيان أهل
 أَصْفَهَان لما أحسوا بالحصار . رغبوا في الاصحار . وانتقلوا الى ظاهرها
 وسكنوا حتى في مقابرها . وهناك بقرب زَنْدَرُود عند المصلى قصور
 عالية مبنية على قبور أكابرها . وكنا نحن من جملة المتقلين الى بعض قصورها .
 وقد عنيينا بامورنا . فجاء المسكر المحاصر . في عدد كلٍّ عن عدده المحاصر .
 وكان عبيد الله مع داود في ديوان الاستيفاء واليه وزارة خوارزمشاه
 ولم يكن مع الراشد وزيره أبو الرضا بن صدقة فان زَنْكِيَا احتبسه عنده ثم
 لستوزره فنفذ الى والدى صفي الدين والزمه بوزارته فأبى ثم اتفقت حادثة
الراشد فحمدنا الله على ترك خدمته . والمصنعة من واقفته . فان والدى
 رحمه الله حلف ان لا يخدم بمذموم سلطاناً . ولا يتسول ديواناً . فوفى
 بيمينه مدة عمره . وعاش بعد أخيه نيفاً وثلاثين سنة مقبلاً على امراءه .
 ودفن الراشد في مدينة جِيّ وأفردت له تربة في جامعها وصار الى اليوم موضع
 قبره من أشرف مواضعها

وحينئذ تفرق شمل تلك المساكين ورحل داود أخذاً طريق الرى
 وسار معه والدى واستصحبني وأخي أبا بكر وخلصنا في المدرسة المحدة

بقاشان وأقنابها سنة تتردد الى المكتب ونشتغل بالقرآن والكتب الادبية
 ثم عدنا الى اصفهان وكلانا لم يبلغ قره الى الابدان. والوالدسار في ليل الاسفار.
 قال: وأما أنوشروان الوزير فإنه ما لبث في الوزارة. وكان معهد الملك به
 غير مستتب المارة. لا لنقص فيه بل لتغير القواعد. وتكدر الموارد.
 فمزل واعتزل. وما انتقل عن داره حتى تحول الى جوار ربه وانتقل. وجلس
 للوزارة عماد الدين أبو البركات الدرگزني. قال عماد الدين رحمه الله: وكان
نسيباً للقوام الدرگزني من جهة احواله. وقد حسنت في أيام دولته حوالى
 احواله. ورتبه أيام الوزارة المحمودية عارضاً للجيش وبقي مستمراً في منصبه.
 مستقيماً على مذهبه. وهو الذى يقول فيه القاضى الآزجاني

دام علاء العباد فهو رجاء العباد دام لنا طالما فهو ضياء البلاد
 له يد لم تزل تصدر عنها أياد عيون حساده مكحولة بالسهاد
 كأن أجفائها أهدابها من قتاد

ولما رأى السلطان مسعود في عنفوان دولته. وريمان سلطنته. الخلل
 حالاً والخلل محتلة. والخلل بادية والمبادئ معتلة. استعجز أنوشروان للين
 اخلاقه. وقرب قمر عمره من محاقه. فرأى صرفه باحترام. وعزله باكرام
 وغان انه اذا ولى دركزينا أحجى رسوم الاقتدار. وسطا سطوة الجبار.
 فولى العماد فارفع عمادا. ولا عرف سدادا. ولا مشي الا في طريق
 السلامة. وقنع بالذست والعلامة. وكان في منصب الاستيفاء حينئذ كمال
الدين ثابت القمي الثابت الكامل الباسل وكان في زمان عمى من نواب
 ديوانه. وصنائع احسانه. وكان شهياً ناقداً. وسهماً نافذاً. فأفانس السلطان

بروائه . وركن الى رأيه . واستغنى به عن وزرائه . وهو الذى يقول فيه القاضى
أبو بكر الارجاني قصيدة منها

سل النجم على رفيع سنامه أشاهد مثلى من جليس مبات
أساهره حتى تكمل لحاظه وينسل فى الصبح انسلال المفات
سقى عهدهم غيث تقول اذا بدا تجلل وجه الارض وورق القواخت
معلمة الامطار عيني على الثرى اذا ما سما إن لم يكن كف ثابت
له قلم ان هزه فى كتابة أبر على سيف الكمي المصالت

قال : وهذا ثابت كان من دهاة الرجال . وكفاة الاعمال . وعشورته
شيدت القواعد . وشدت المقاعد . وولى المفتى وخلع الراشد . وأما السلطان
مسعود فإنه بعد خروج الرشيد من مقام الخلافة استشار الوزير شرف الدين
علي بن طواد الزينى وكان قد اعتقله بعد ما جرى على المسترشد ثم أطلقه
واستصعبه وخاطبه فيمن يخطب له فأشار بخير الخلائف والخلائق أبي عبد الله
محمد ابن المستظهر فبولع له بالخلافة فى ذى القعدة سنة ٥٣٠ ونعت بالمفتى
لامر الله ووزر له شرف الدين الزينى واجمع الانام على بيته . واجتمعت
الآمال الظائمة على شرعته . وكر السلطان راجعاً الى الجبل . وأما محصول
الامل . وانتهى اليه ان آتاك منكوبرس للخروج عليه مستعد وأنه مستجند
مستعجد لجأوريه مستعجد لمدة الحرب مستجد . فانهض آتاك قراستقر الى
أصفهان ليكون على طريق دفعه فصار معه يرتقى البازدار . وجاوى
الجاندار . وسنقر صاحب زنجان . وم العطاء الكبار . وم اعضاء الدولة
وأركانها . وملاك مسكن المملكة وسكانها . ووصلوا الى أصفهان وكان
القمح فى الابتداء . فكانوا سبب الوباء والقلاء . وأكلوا ما وجدوه من

الربط واليابس . وألحقوا الغني بالفقير البائس

قال : وانا اذ كر وقد وصل قرا سنقر ووزيره عزى الملك ابو العز
البروجردى وكان من الشياطين الذين استتبهم في عصره الدر كزنى فقبض
بقايا أملاكنا التي أسارها المصادرات . وعمد الى شمل جماعتنا ليسرع فيه
الشتات . وأقاموا تلك الشتوة باصفهان ثم صح الخبر بوصول آتاك به
منكوبرس فعرف قرا سنقر والامراء انهم لا يطيقون مقاومته فساروا الى
همدان . ولحقوا بالسلطان . وجاء منكوبرس الى اصفهان . تخلفهم في الظلم
والاغلال . ورعى الفلال قبل ادراكها . وأعجل الارماق عن امتساكها .
وأقام مدة . ولقى الناس منهم شدة . ورحل في أوفر عدة وأوفى عدة . فلما
قرب من السلطان مسعود . تحاجز السكران وباتوا على لقاء موعود . والتقىا
بالموضع المعروف بكور شنه . وصدقا الوثبة . وكانت الدبرة في الاول على
عسكر فارس . فاصبحت فوارسه فرائس . وأسر منكوبرس وأمر السلطان
بقتله بين يديه . وكان شجاعاً كريماً فاسفت القلوب عليه . وكان الامير
بوزاه من أعظم أصحابه . وأنغم اضرابه . فلما رأى الهزيمة . أجلت عن
الهزيمة . قال « اذا سلمنا فقد أبنا بالهنية » وحسب أن منكوبرس ناج .
ولم يدرك أن نيه له مفاج . فلما نى اليه صاحبه . ضاقت به مذاهبه . وحلف
أنه لا يبرح حتى يأخذ بثاره . ويستقبل من عثاره . فعطف على معسكر
السلطان مسعود وقد آمن . ووفى له النصر بما ضمن . والمضارب قد شيمت .
والمضارب قد أقيمت . والسوابق قد أريحت . والسوابق قد أريحت . فينتام
في أغفل حالة اذ هجمهم بوزاه واستخرج كل أمير من مضربه . وسد على
كل كبير طريق مهربه . وركب السلطان مسعود فأبلى بلاء حسناً . ولم يترك

في الدفاع عن مهجته ممكنا . ثم ولي ومعه قرا سنقر هزيمًا تشله الرياح .
 هشيما تذروه الرياح . وحصل في قبضة بوزابه اثنا عشر اميرًا منهم صدقة
 ابن ديبس بن صدقة المزيدي والامير عترة الجاواني والامير الحاجب الكبير
 ارغان واثابك سنقر صاحب زنجان ومحمد بن قرا سنقر وجماعة آخرون
 وما منهم الا من قدمه . وأراق دمه . وشق وتره . ووفى نذره . وذلك
 في أواخر سنة ٥٣١

ثم قفل بوزابه الى فارس واستولى على مملكتها . واستقر في ولايتها . وعاد
 السلطان الى سريره . مسلما لقضاء الله وتقديره . وهو الثالب المفلوب .
 والسالب المسلوب . وقد بددت عقود سلكه . وبادت سمود ملكه . فجلس
 لما تم في المأثم . وعاد الى مأثم من عادة المأثم . واتخذ سواهم نداء . ورفع
 غيرهم امرأ

قال : وفي أثناء هذه الفترة كان خروج السلطان داود ومعه الراشد
 فجرى ما جرى واستشهد الراشد . وانعكست على داود المقاصد . وتمهدت
 لسمود القواعد . واتصل بعد ذلك الملك سلجق بأخيه السلطان مسعود فاقطعه
 بلاد سكران من خلاط وأعمالها . وناز كرد وارزن واصل الى الامير غزاغل
 السلاحى مقطع تبريز فقصدها واستصفها . فاستخرج اموالها واستوقفاها
 واوسعها سبيًا وتخريبًا . وسام أهلها ظلًا وتمذبا . وما زالت الدولة مضطربة
 والفتنة مضطربة . وأيدى الظلم عاتية . والسن الذم عابثة . حتى استجد
 السلطان وزيرا . استجد لمملكته تديرا . وحكم وأحكم . وتقض وأبرم .
 وهو الوزير كمال الدين محمد بن علي الخازن من اهل الرى قال : وكان السلطان
 استعجز الهاد أبا البركات . ووجده في تسكين الخطوب عديم الحركات .
 (٢٢ - آل سلجوق)

فصرفه الى بيته على اجل وجه . ولزم موطنه على رفق ورفه . ولم يفلت وزير كافلاته . وكانت اليه بالسلامة كافلاته . وشنته العطة بصومه وصلاته وتولى الوزارة كمال الدين وكانت وزارته في سنة ٥٣٣ هـ بغداد وفي ديوان الاستيفاء كمال الدين ثابت وفي منصب الاشراف المهذب بن ابي البدر الاصفهاني وفي كتابة الانشاء ولي الدين المعروف بسياه كاسه وفي منصب الطغراء مؤيد الدين المرزبان بن عبيد الله الاصفهاني فانشرت الصدور . وانتظمت الامور . ورتب الوزير لحزاة السلطان أموالا تحمل اليها . وجهات توفر عليها . وأحيى معالم للملك قد دثرت . ونظم عقودا للمصالح انتشرت . وابتدأ بكسر الجبارين وجبر المنكسرين . وقرر مع السلطان سرا . ان ينوي لقرا سنقر سرا . وبذل لقرا سنقر في وزيره عن الملك أبي المز البروجردى خمسمائة الف دينار على انه يسلمه اليه . ويسلط يد الاقتدار عليه . فاعرض عنه . وما قبل البذل منه . وبخل بصاحبه لمحض الكرم . وما اسعد من اختار صاحب على الدينار والدرهم . فلما ايس منه اخاف السلطان من عواقبه وقال له « لا يجمع في غمد سيفان . ولا يظهر لك مع تسلطه قوة السلطان » وقرر معه استدعاء وزائه من فارس ليفرسه به . ويجبر الخلاف الى مذهبه . فاستوحش سر قرا سنقر فاضمر الكيد . واعمل الايد . فاستدعى الملك سلجق ووعد بان يمضى معه الى فارس ويستخلصها لاجله وحمل أيضاً على النهضة معه داود بن محمود وآتابكه اياز وكان من صنائع قرا سنقر

ورحل قرا سنقر عن آذربيجان نحو السلطان مسعود الى همدان ومعه الملكان ومعه من المساكين عشرة آلاف فلما قرب انفد وزيره عن الملك

البروجردى الى السلطان رسولا . وتحدث معه وقرر سولا . وحمله منه
ومن الملكين ومن جماعة الامراء كتبوا مضمونها . انا لانأمن جانب الوزير
الكمال . وانا لانصبر على ما يبدو منه من الاعمال . فاما ان تعدمه . واما
ان تسلمه . فان دفعته الينا فنحن طائعون . وان دافعت عنه فنحن عن
انفسنا مدافعون » فلما سمع السلطان ما قالوه . استقالهم فاأقالوه . فخار في
تديره . واضطر الى تسليم وزيره . فقبض عليه وسلمه الى الحاجب تار
فاوقع به التبار . وضرب عنقه وذلك في شوال سنة ٥٣٣ هـ فثبذ وصل قراستقر
ومعه الملكان سلجق وداود الى الخدمة السلطانية . وحمدوه على اتباع تلك
الهمة الشيطانية . ورب قرا سنقر الوزير محمد الدين عز الملك ابا العز
البروجردى في وزارة السلطان مسعود وكان شيخا ذا بهجة وبهاء . ولهجة
ورواء . ولم يزل منذ عهد السلطان محمد متصرفا مع اكابر الامراء لم يطل
ومتحمليا بالولاية لم يعطل . وما زال متدرجا في الولايات حتى بلغ الوزارة
ووجد بعد الوزارة الوزارة . فانه كان في ريمان عمره يخدم شاكردا . ويستعذب
في كل اوان في خدمة وزير وردا . فتمول الاموال وملك الاملاك وقيل
انه كان يجري في ملكه ايام وزارته اربعمائة قرية

قال : فنكب الكمال ثابا المستوفى وقبضه وأعدمه وقيل انه خنقه .
واذهب بذهابه بهجة الملك وروقه . وتولى منصب الاستيفاء بعده المهذب
ابو طالب بن ابي البدر ولم يلبث في منصب الاستيفاء شهرا حتى اختفى بדרه
في السرا . وانتقل من هذه الدار . الى تلك الدار . وتولى مكانه ديوان
الاستيفاء الكمال ابو الريان الاصفهاني قال : وهؤلاء الذين تولوا الاستيفاء
كلهم كانوا من صنائع الوزير وتلامذته وكان في ديوان الانشاء سعيد الدين

الخراساني . وفي منصب الطغراء . ثويد الدين المرزبان بن عبيد الله الاصمغاني .
 فاما آتابك قراستقر فانه لما قتل الوزير كمال الدين محمد الخازن وجلس وزيره
 في وزارة السلطان رحل بالملكين سلجق وداود الى بلاد فارس فلما عرف
بوزايه حضورهم لجأ الى قلعة كل وكلا ب وهي بين خوزستان وفارس ودخل
 الملك سلجق مدينة شيراز وجلس على سرير الملك بها مسرورا . ونظم من
 المصالح ما كان ماثورا . وغفل عن القدر فأنس بملكه منوروا . واراد
 قراستقر ان يحل عنده عسكرا يحمي حماه . ويمد يد على عداه . فحمل الامير
غزناغلي السلاح وهو مقدم عسكر سلجق حب الفرد والتوحد على اظهار
 الغنى عن نيجه . وانه لا حاجة به الى من يسمده . فقال لقراستقر « انا ما
 احتاج الى احد . ولا افتقر الى مدد » فاستحسن قراستقر منه هذا العزم
 وترك الحزم . فصار غزناغلي مستقلا . وسار قراستقر مستقلا . ومضى صوب
 خوزستان . ليعبر منها الى عمدان . وسرح الملك داود جماعة من العسكرية
 على طريق سواها . للنية التي نواها . فلما وصل الى عسكر مكرم لم يوافقه
 الهواء الخوزي فوق في القوم وفي دوابهم الموتان . وعجزت القدرة وتمذر
 الامكان . فاقام على تلك الصورة . بحسب الضرورة

واما الملك سلجق فانه ظن انه ملك . وان خصه هلاك . وان بوزايه
 على كل حال مملوك لا يقدم على المالك . وانه انما فر لانسداد المسالك .
 ورجا أيضا من غزناغلي آتابكه انه لا يحل بالتيقظ . ولا يحل ما يجب عليه
 من التحفظ . وكان الامر بالعكس . وسقم حاله على النكس . فان آتابكه
 اشتغل بالاكل والشرب . واللهو واللعب . فيناه كذلك اذ هجم عليه بوزايه
 وعلى الملك سلجق فقتل وفنك . وأسر وأوثق . ولم ينج من العسكر الا

القليل . ولم يرج على الخليل الخليل . وقبض سلبق وحمله الى قلعة اسفيدوز
وكان ذلك آخر المهد به . ولم يشك احد في عطيه . فتمكن بوزابه من ملكه
وجري على المراد مدار فلكه . واستشعرت الملوك مهابته . وتجنبت الأسود
غابته . فلم يركض الى فارس بعدها فارس . ولم ينل القريسة بها غيره فارس . واما
قراسنقر فانه لما انتهى اليه الخبر . وعلم انه لا قدرة له على دفع مائوه القدر . مضى
على وجهه موتيا . موليا ان لا يكون بعدها متوليا . فلما وصل الى بروجرود صادفه
الخبر بان مدينة جنزة وأعمالها قد خسف بها . وان الزلزلة قد هدمتها . وانها
خربت حتى كأن الارض عدمتها . وان الكفار الابخازية والكرجية
هجمتها . وقد باد من أهلها مقدار ثلاثمائة ألف نفس فأمرؤا الباقين الامن
احتسب بقلعتها . وآوى الى ثلعتها . وذلك مع تشعث سورها . وتهدم دورها .
وان الاموال نبشت . وان الحبايا فقتشت . فأغذ قراسنقر السير اليها وكان
إبراهيم بن أبي الليث لعنه الله مقدم عسكر الابخاز قد قرن بالزلزلة الزلازل .
وبالنازلة التوازل . وكان قد حمل باب مدينة جنزة وبني مدينة سماها جنزة
وعلق عليها ذلك الباب . واغتم غيبة قراسنقر عن البلاد فسامها اللذاب .
وذلك في سنة ٥٣٣

فلما وصل قراسنقر عادت دولة الدين . وعادة النصر والتمكين .
وظهر أهل التوحيد على أهل التثليل . ونعش الطيب بشار الحيث . وواقهم
قراسنقر فنهزمهم وثلهم . وقتل منهم مقتلة عظيمة وخرب البلدة المستحدثة
وأعاد باب جنزة اليها وأعادها في المارة الى أحسن حالاتها . وأجل حياتها .
وكان من جملة من هلك بها زوجته بنت الأمير أرغان وأولاده فاستولى عليه
الهم وعلق به السل . وبقي مدة يتداوى ولا يبل . وتوفي سنة ٥٣٥ بأردبيل

فأكثر المسلمون عليه العويل . وعدموا عنه البديل . قال : وكان لما اتصل به أجله . وانقطع عن الحياة أمه . أحضر جاول الجندار ونصبه مكانه . وسلم اليه ابنه وجنوده وسلطانه . ووصى اليه بقطع دابر الكفار . ومواصلة برّ الأبرار . فتولى ولايته . ووصل بنهايته بدايته . وأنفذ اليه السلطان مسود الخلعة والمهد . وأجزل له العطاء والرفد . وقرر عليه جميع أعمال قراستقر بأرانية وآذربيجان . وولاه تلك الماقل والمدن والبلدان . ونهض الأمير جاول في السنة الثانية الى خدمة السلطان قبل البساط وبسط له القبول . وعرض هداياه وتحفه وطرفه والحول . فضايق القضاء الواسع بمضارب جنوده . وخفقت القلوب لمهية خوافق بنوده . واتصل بالامير عباس صاحب الري . ونشر من المودة بينهما ما كان في الطي . وتوافقا وتواشعا ونظمتها طاعة السلطان في سلك المصافاة

وكان الأمير عباس من مماليك جوهر خادم السلطان سنجر والري في أقطاعه وقد نفذ اليها والياً . وكان أمره بها عالياً . فلما قتل صاحبه بفتك الباطنية به نار عباس للثار وجد في طلبه واستولى على الري وأعمالها . وتفرّد بحيازة أموالها . وقوى على السلطانين سنجر ومسمود . واستظهر بمن معه من جموع وجنود . وبمن اتصل به من مماليك الأمير الاجل صاحبه وكانوا زهاء أربعة آلاف في عدد كثير . وجمع كبير . وقصر عزمه على قصد الباطنية وكبسهم في واطنهم . ويبتهم في أماكنهم . وقتل منهم مدة ولايته أكثر من مائة الف حتى بنى من رؤسهم بالري منارا أذن عليه المؤذنون . وأخاف القوم فما كانوا في عصرهم يأمنون المنون . وكان ذا همه كافلة للرعية بالمعونة فرضى السلطان بآيائه . وأقره على ولايته

ولما اتصل جاولي الجاندار بخدمة السلطان وجده حاضراً . والنبي روض
الرضى به ناضراً . وكان الامير الحاجب الكبير نحر الدين عبد الرحمن بن
طغايك الحاكم على الدولة . المريب الصولة . وكان وسيما جسيما . للسلطين
قسما . لا يرى الا برأيه . ولا اجابة الا لدعائه . وكان الامير بك ارسلان
خاصبك بن بلنكري اخص الناس بالسلطان وأعلمهم بقلبه . قد اختاره منذ
شعبه على صحبه . ولما كبر كان أكبر الامراء . وأعظم الكبراء . واجتمع
هؤلاء الاكابر تلك السنة بالحضرة . والدينا بالنميم لهم بادية النضرة .
وحمل نحر الدين عبد الرحمن بن طغايك الامير عباسا على مباينة عز الملك
الوزير . ومعارضته في التدبير . وأطمعه في تولية تلكه الجلال المجامري في
الوزارة وكان شابا مقبول الحركة . مأمول البركة . يرجع الى توسع في
المروءة . وترفع في القوة . فاستحكم طبعه في المنصب وقوى قلبه بمساعدة
الاميرين عباس وابن طغايك فتحمل وتجمل . وجد وجداد . واستجد
واستجاد . وقرب أن يتم مراده وكاد . فتعصب الامير جاولي للوزير عز
الملك . وأعاد نظم جاهه الى السلك . وساعده خاصبك على مساعدته
فاستقام أمر الوزير وأجمع الجميع على إبقائه . واتفقت الكلمة على أنه
لا مضاهي له في مضائه

ورحل السلطان الى بندگان رحلة الشتاء . واستصحب جماعة الامراء . وعاد
عباس الى الري . قال : وأنا اذكر وصولهم الى بندگان في هية عظيمة وهيئة
وسيمة في سنة ٥٣٦

قال : وخطب جاولي بنت عبد الرحمن بن طغايك وتمت بينهما
المصاهرة . وتأكدت ما بينهما المظاهرة . وعاد جاولي الى بلاد أراكية وآذربيجان

• شته الامر • قوى الظهر • مستبشرا بما نأكد بينه وبين الامير الحاجب الكبير عبد الرحمن من عتدى الوصلة والاخوة • وأقام السلطان ببغداد تلك الشتوة • متوفرا على نيل الطرب وقضاء الشهوة • مستهما بأدناء الدنان • واقتناء القيان • وتقريب المسافر • وإبعاد ذوى المفاخر • متكللا على السعادة فى دفع الاعداء فانه لم يزل كاسمه مسعودا • ولم يتصد لعداوته الا من كفى الله شره فاصبح عنه مسدودا .

قال : وكان الامير سعد الدولة يرتقى الزكوي من أكابر الدولة وقدمائها . وأكبرها وعظمتها • ومتولى وزارته عيين الدين المسكين أبو على العارض • وله الفضل المستفيض والافضل القائن • وكان سعد الدولة يرتقى متولى أصفهان والامير عليك نائبه وسعد الدولة للمفسكر غير مفارق • ولما لا يوافق رضاء السلطان غير راض ولا موافق • فكانت أئمة الملك بمقام أئمة قائمة • ونصرة الاقبال بدوام نظر اقباله دائمة • وكانت الخدام الجبوش • لهم الجبوش • والاسرة والعروش • منهم نجم الدين رشيد من مشايخهم وأكبرهم وجمال الدين اقبال الجاندار وشرف الدين كردبازو وميسعود البلاى ودونهم فى الرتبة محمد الدين صواب وشمس الدين كافور وأمين الدين فرج الدووي وأمثالهم وهم عصبه فيهم عصبية على الشافعية • ويتقربون الى الله بما يوصلون اليهم من الاذية • ونكبوا أصحاب الشافعى بأنواع البلاء فى جميع البلاد • وخصوم بالطراد والابعاد • وحاولوا إخفاء مذهبه فتعالى ظهوراً • وأرادوا إطفاء نوره فما زاده الله الانورا

قال : ونكبوا رؤساء المذهب فى كل بلد • ولم يبقوا منهم على أحد • فمنهم أبو الفضائل بن المشاط بالرى ومنهم أبو القموح الاسفرائنى ببغداد

ومنهم بنو الحجندی باصفهان ودخل في مذهب ابي حنيفة جماعة طلبا لاجاءه .
 وخوفانهم لا من الله . ومن جملتهم القاضي عمدة لدين الساوي . قال : وكان
 وزير الخليفة المتقي لما تولى شرف الدين علي بن طراد الزينبي وكتب الانشاء
 سيدد الدولة بن الانباري وصاحب المخزن جمال الدين بن طلحة وتزوج الامام
 المتقي بأخت السلطان مسعود فاطمة خاتون . وعزل شرف الدين الزينبي عن
 وزارة الخليفة في سنة ٥٣٤هـ وسببه انه استشرم فقي الى دار السلطان بها معتصما
 ثم لزم بعد ذلك داره محترما وتولى الوزارة نظام الدين ابو نصر بن جبير
 وكان الاستيلاء بالمراق لاصحاب السلطان . وليس لاحد بكفهم يدان .

قال : وفي سنة ٥٣٥هـ خرج الكافر الخطائي واستولى على ماوراء النهر . وكر
 السلطان سنجر اشد الكسرة ووقع عظيمة مملكة في الاسر . وفي سنة ٥٣٨هـ
 قتل السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه بأیدی الملاحدة بتبريز غيلة .
 وتماش أيامه من شريد الدهر شريدا ولم يسترح ليلة . وكان قد زوجه
 السلطان مسعود بنته وأقامه بتبريز ملازما لبيته . قاعدا فوق تختة تحت بخته
 ولما خاتته في المبدأ السعادة . وفات له في الداقية الشهادة . وقيل ان الامير
 زنكي بن آق سنقر وضع عليه من حشيشة الشام من فتك به . فأمن على بلاده
 بسببه . وذلك ان السلطان مسعود كان قد عول علي ان يسير داود الى
 الشام . ويحفظ به ثور الاسلام . قهرع زنكي وجزع . وسقط في يده من
 حديث الحادث الذي وقع . وخذه الايد . ولكن نصره الكيد . ووصل
 خبره الى بغداد فمقد له في دار الخلافة مجلس الغزاء ثلثة أيام بحضور أرباب
 المناصب . وعدت المصيبة بقتله من أجمع المصائب

وفي سنة ٥٣٩هـ رحل السلطان مسعود الى اصفهان . وكانت دار السلطنة

قد تشمت فشد منها الاركان . وتغير رأيه في الوزير عز الملك البروجردى
فنزله . ولم يستبق العزلة واستصفى باله . وشغل بوباله سره وباله . واستوزر
مؤيد الدين المرزبان بن عبيد الله الاصفهانى ونقله الى الوزارة من الطغراء
وكانت له زوجة من جواري مسعود تركية سليطة متسلطة . حاكمة عليه . بتسلطة
قتل عز الملك وسله اليها تخففته . بعد ما عذبه وعلقته . قتل . مثل القتل
التي قتل بها الكمال ثاباً . وكل من كان حاسداً له على منصبه عاد شامتاً .
وصكان عز الملك البروجردى شيخاً بهيجاً بهياً قد جاوز الثمانين سنة ومع
شيخوخته يقطر ماء النظارة من عيانه . وكان في السعادة سميحاً في عيانه
وكان في أيام وزارته مرهوب التراب . مشبوب النار . وكان نائبه في الوزارة
نجيب الدين عبد الجليل السهم المصيب . والشهم المهيب . والسيف الذي
يفري . ويقصل ويبري . ويفصل بيت الاصول ويستأصل البيوت .
ويستزل من الجوار المقاب ويستخرج من قعر البحر الحوت . وقد ضربوا
على بغداد الضرائب . ومكسوا المكاسب

قال : وكان رضي الدين أبو سعد مستوفى السلطان . البعيد من الشين البديع
الشأن . ممن يغشاه والذى بسبب خدمته لاخته العزيز في أيامه . وكان ربيب
انعامه . وكان من أوسع صدور ذلك العصر صدراً . وأقلهم شراً . وكان
نائبه كمال الدين أبو الريان الاصفهانى من تلاميذ عمى العزيز وعلمانه . ولم
يكن أعرف منه بقانون الاستفتاء في زمانه . لكنه كان خالياً من الادب .
عاليامع تقصه في أكل الرتب . وهو صورة بلا معنى . وحسن بلا حسنى .
وبرق بلا وابل . وطول بلا طائل . وكان عز الملك الوزير مع جهله
وشدة بخله . ربما نسبت له ربح اربحية . وسنت بئسه روح

تحية . ومن جملة ذلك انه كان بالعراق عميداً رازي تولى سنة . واكتفى ثروة . واستغنى واستغنى . وجبا وجنى وخبي . فلما جاء السلطان قيل له « اعمل حسابك » فأحضر المشرف وكان يعرف بابن الحكيم من أهل بغداد وقال « أريد ان تدع المكر منك . وتدعو مكرمتك . وتهتم بأمرى وتستأمر همتك . وتحسن الحسبة . وتحسب الحسنة . وتكف بكفايتك عنى الايدى والبالسة » فقال المشرف « انا لا اجسر ان استر . ولكل ما اذكر لا بد ان اذكر . وعلى ان اخفى كثيرا مما خفى من الجنايات والجلبايات . والاجتذابات والجمالات . ولا بد ان اجمع ما أخذته من المرافق الوافرة . والقوائد الظاهرة » واتفقا على اسقاط مبالغ حتى تقرر ذكر خمسين الف دينار فبذل له الف دينار على انه يذكرها فى الحشو ولا يبرزها لعل الوزير يغفل عنها . ولا يؤاخذ به بسببها . فأبى الا ايرادها . وتخصيصها بالذكر وافرادها .

قال : عماد الدين حدثنى المشرف بن حكيم قال : دخلنا بالحساب الى الوزير عن الملك فأول ما وقعت عينه فى المجموع . على المبلغ المرفوع . فقال ما هذا فقلل الرسوم التى اخذها . والمرافق التى اجتنبها . فضرب عليه بقله وقال « كيف تجيزون ان تجموا عليه ما ارتفق به من رسومه وخدمه . هذا بقى على الباب ستين يتدين ويتمون . فلما شفى ألم أمه . ورفع علم عمله . صار له معلوم . وحصلت له رسوم . فليس من المروءة ان نستعيدها وما فوض اليه الشغل الا ليستفيدها » قال : فخرجنا نسحب اذيانا انا للخجل . والعميد للجدل . وقد رُذِّ الى العمل . فأخذ يبدى وناولنى صرة فيها ستمائة دينار وقال « هذا ما جعلته باسمك . وما ضرتنى أمانتك . فاجر فيها على رسلك »

قال : ولما جلس . ثويد الدين الرزياني في الوزارة بدأت الامور في الاختلال . والعقود في الانحلال . وكان قد قنع من الوزارة باسمها . ومن المرتبة برسمها . وكان يروق الناس بشرب الحيا . و بروقه الانس بشرب الحيا لا ينافر الا النسوانى ولا ينافث الا الاغاني . وكان وزراء الامراء قد غلبوا على امره . وبلغوا الى قدره . فحاله قول مسوع . ولا طول متبوع . ولا هو مشكور ولا مشكور . ولا مخشي ولا مرجو . وخاصبك بن بنكرى هو الامر الناهى . وهو داهية من الدواهي . وكان وزيره رئيس الدين ابو قليب بن حماد السهروردي المبيق برياً لرياسة . المبيق برأى السياسة . قد استولى على الامر واحتوى . وتمكن من ورد الملك وارثوي . وكل امر لا يشده لا يثد . وكل حق لا يؤخذ لا يؤخذ . وكان كصاحبه مسعودا مصحوباً بالسادة . ممدوداً من المال والجاه بالزيادة .

قال : وكانت قد تأكدت بين الامير عباس صاحب الري وبين الامير بوزابه صاحب فارس صداقة صادقة . ومودة احوالها الخوالى متناسقة . فطعما في المملكة وزعما ان البركة في الحركة وقاله ان الرصة خالية . والفرصة بادية . وهذا وقت الارتقاء الى العزة . والامتراء للدرّة . فكتب بوزابه الى السلطان اتنى واصل الى خدمة السرير وخرج من شيراز بالملكين محمد و ملكشاه اخي السلطان محمود بن ملكشاه وخرج عباس من الري بالملك سليمان اخي السلطان مسعود وكتب ايضا « اتنى واصل الى جنابك . للالزمة ركابك » فحمل السلطان قولهما على الظاهر . وخاف ما خفي في الباطن من الباطل . وعرف ان امره معها غير مستقيم . وانه ان رحلا اليه فهو مقيم . فكتب الى جاولي الخاندار يستدعيه فوجده متجنباً متجنباً بالقبض

على الوزير عز الملك من غير مشاورته . وقلة اكثرهم به وترك مراقبته في مصاحرته .

فلما شعر السلطان بتأخره استنصر حذره وورى عن الهزيمة برحلة الشتاء الى بغداد . وحث السير بالاعذاف . ومعه من الاكابر عبدالرحمن بن طغايك و خاصبك بن بنكري و وصل بوزايه وعباس الى همدان على ظن انهما يجتمعان بالسلطان . وهما مبديان للطاعة تخيان للعصيان . فاقاما بها شائين واتصل بهما الامير ناصر الدين خطبة البازدارى وكان ايثا خادرا . وقسورا قاسرا . وكتبوا الى الامير جاولى الجاندار بأذريجان وقالوا له « انت الكبير لك التدبير . ونحن اتباعك واشيا عك فان قدمت الينا . قدمت علينا . وكنت صاحب جيوش من ينتصب على سرير الملك . وانخرطنا معك طائفتين في السلك » فرد جوابهم بحيل واعاد رسولهم بتأميل . واشتغل بحشد الجوع وجمع الحشود . وحشر الجنود ونشر البنود . واتصل به آتاك اياز وكان آتاك داود في حياته وهو مشكور الفناء في مقاماته . وعضده الامير شيرين آق سنقر فآظهر حيثذ الهداة الى همدان . والنهضة الى التناهضين المتسلطين على السلطان . فوجد الطريق مسدودة بالثلوج . فأقام بمسكره نجما . ولانفوض عند انحساء الثلوج مزما . وتطارت كتبه الى بغداد لاستدعاء السلطان اليه . واستدماه عليه . والسلطان في بغداد ساه بسره . لاه بلهوه . زام بزوه . فلما قلبه من وسنه . ندم على خلع رسنه . ورجع من الحزم الى سنه . ولجى نداء جاولى واجاب دعوته . وعزم على الرحيل اليه وسار على الدربند القراالى الى المراغة فى أوعر طريق . وأعسر مضيق . حتى اتصل بالامير جاولى فكشف من المدد الجمع . وكثر من المدد الاعم .

واعجب السلطان الحال وحل به المجب . وانقلب الى القوة وقوى منه القلب .
فسدت الجماعة جاوولي وغبطوه . وتحيلوا في أن يقبضوا عليه ويربطوه . فان
ابن طنابيرك مع مصاهرته له كان بامكانه متبرما . وكذلك خاصبك كان
من استيلائه متوها . فاجمع الامراء واحتالوا لاغتياله في سرادق السلطان
فاطلع على السر ووقع على مكر المكر . فاحترز منهم وقبض عنهم واراد
أن يبطش بهم كما ارادوا البطش به . ثم جرى في الحلم والكرم على حسب
مذهبه وقال للسلطان « أنا على مناصحتك . وفي منى صحتك . ولا يجمنى وياك
بمد هذا ناد . ولا يسمع تليتي فيه مناد » فما اجتمع السلطان و جاوولي بعد
ذلك الا راكين . منفردين عن المسكر متجائين . وقال للسلطان « ان اردت
تداني امني . فتباعد عني ودعني انهض بمساكري الي اعدائك واذا كرم
بحقوق نعمائك فان اوافقكهم . وان ابواقكهم . وان اتبعوا سررتهم . وان ساروا
تبعهم » فاعتذر اليه السلطان واستماله . واستغناه من ذكر ماجرى واستقاله .
وحكمه في الحل والعقد والاقطاع . وامر الجند والامراء بالايثار لامره
وسر بسرور سره . وشرع جاوولي في مكاتبة الملك سليمان وخدعه . وورده عن
المقام مع القوم وردعه . وتوثق له من السلطان يحيى . وسير نسخة امان له
مع أمين . فقارقه . وانفصل وانقسم عنهم . ووصل أيضا خوارزمشاه يوسف
واخوه . فاتبعهما للتوجه الايمان والوجوه . ولما عرف بوزاه وعباس تندر
ماحاولاه . وتسر مازاولاه . وتفرق الجزء الذي جماه . تقارقا على مواعدة في
معاودة الجمع . وودعا على موادة مودعة للطاعة والسمع . وعزم كلاهما على
الرجوع الي بلده بنية الرجوع . والفروب في افقه على استئناف الطلوع
وكان السلطان عند اتصال اخيه سليمان بجانبه . واستظهاره بكنائبه .

علم ان بوزابه وعباسا يفترقان . ولهما يمدان باتهما يمودان . فرحل بالمسكر الى مدينة سجناس مع جاوولي على عزيمة الاسراع والاتباع . والسلطان وخواصه على حالة من الارتياب والارتياح . فقال لجاوولي « نهض انت وراء بوزابه فالمسكر والشوكة معه . والرأى مسيرى الى الرى لالتى عباسا واقمه » فضى جاوولي الى همدان وعمد مسعود نحو الرى . فحصل من وردها بالرى وغنى بالسعادة عن استعمال المشرقى والسهرى . وقبض سليمان شاه اخاه وحبه في قلعة سرجهان . وتلقى ماصعب بالاحتمال والاحتماء . فبان ولما علم بوزابه ان جاوولي جاء . ولى وخلى همدان وترك اقاله وخزائنه بها وسار فصار جاوولي وراءه جريده . وقطع حتى وصل الى القرب مراحل بعيدة . فلما دنا منه ابدى البقية عليه . واسدى الحسى اليه . وقال « اتخذ اليوم عنده يدا . لينجذنى عند الحاجة غدا . فهذا السلطان غير . وثوق بمواثيقه ولا موفق فى تسديده وتقويقه » وذكر غدره باخيه سليمان شاه فكتب الى بوزابه وهو على حد الهزيمة كتابا مضونه « اتى مصدقك . ومصدقك . وموافقك لا مفارقك . وخاطب جك . وطالب ودك . وقد صرت من حزيك . وما سرت لحريك »

وفاغنى بوزابه على قوله واعتد بطوله . وملا ايدى الرسل بالايادى ارسالا . وقال حسنا وحسن مقالا . وأعاد ما كتب بما كتبت الاعادى . وذكر « انى اجبت الداعى وليت المنادى . ولم يبق الآن الا التماهد على الجدد . والتساعد على المهد . وعلامة صدقك فى صداقتك اتى خفت خزاتى ثلاثين . وقرا من المال الصامت بهمدان فى دار الاثير ابنى عيسى فان رأيت أن تأخذها فخذها . وان سمحت بانفاذها فانفذها . اتعلم انى مستوثق منك بشفيق

مستغرق لشقيق « فساد جاولى الى همدان وتسلم من الاثير ابى عيسى المال .
وسير على جماله تلك الاحمال . وندب معها مائة فارس من عسكره الى اصفهان
وكتب الى الامير غليك واليهما أن يضم لحفظها الي فرسانه الفرسات . فلما
وصلت خزنة بوزايه اليه عقد على الود المختصر . وزكى في الوفاء والوفاء
منه المنصر . وتماقدا على المعاهدة . وتماهدا على المعاودة . وابن بوزايه يأتى
بالملاك محمد بن محمود متى أراد . وان يجملاهمهما الجمع والاحتشاد . وعاد كل
واحد منهما الى مركزه . واحتفى على السلطان بتعززه . وتأكدت بين
جاولى وبين السلطان الوحشة . ودبت الى أعضاء الملكة بسبب فتور
اعضادها الرعشة . واعتلت العقائد . وانحلت المعاهد . ولما تمادي الامر .
تبدي السر ووقع الشر . فانفذ جاولى الامير تار الي بوزايه بفارس يستنجزه
الوعد . ويستجيب منه القصد . وأقام بميانج ومعه جميعاً كابر الامراء
والرسل نترى منهم الى الامير تار لاستحثاث بوزايه بالاستدعاء
وأقام جاولى مدة ينتظر . وفي تدبير الملك يفكر . فكان من قضاء الله
ما لم يكن في حسابه . ودنا الاجل الذي في كتابه . وكان نجر الدين بن
طغايك لما عرف توجه الامير تار الي فارس لاستنهاض بوزايه شخص
اليه بنفسه من جانب السلطان ليصده عن الورد . ويرده عن الصدود .
وتمادى على جاولى المقام له بظاهر ميانج واجتمعت عليه الساكر العظام .
وازدحف اللقيف . والتف الزحام . وكان في اثني عشر ألف دارع وكانت معه
عساكر ارانية وأرمينية نخيم على زنجان . وحتم على عزم همدان . وكان يدايده
زمام الزمان . وهو أصم عن حديث الحدان . وكان قد اقتصد . لغير مرض
عرض . ثم تصرف على عادته بيده فبسط وقبض . ونزع في قس فتألم عمره

فتألم عرقه وتورم . ودجا أفعه وأظلم . وكان سرّيان الورم من شربانه .
وصعد فيه الدم بعد جريانه . وتجاوز من عرقه الى حلقه وصدره .
وانتقل الى بطن الثرى من ظهره . وكانت وفاته بزنجان في جمادى
الاولى سنة ٥٤١ هـ وفي ذلك يقول زين الدين المظفر بن سيدي الزنجاني
من قصيدة

عشرون الف مهند قد أصلت فلت مضاربها نكابة مبضع
وقيل ان في الليلة التي توفى فيها جاولي جندار قتل زكي بن آق سنقر
بالشام . وكان كلاهما قطباً يدور عليه فلاك الاسلام

قال : والصحيح ان زكي بن آق سنقر قتل في شهر ربيع الآخر من
السنة على قلعة جمبر قبل موت جاولي بايام . ولكن تدانى موتهما . وتنادى
فوتهما . ومن قبلهما كانت وفاة سعد الدولة يرتقش ووفاته قزل أمير آخر
وكان قد قتل من قبل ناصر الدين قتلغ ابه البازداري فتقاربت منايام .
وتبدلت تقوديم بنسايام . وصاروا أسمارا . وعادوا اخبارا . ولما اخترم جاولي
انحلت تلك المعاهد . واختلت تلك القواعد . وتفرق ذلك الجمع . وتشوش
ذلك الوضع . وعاد كل طائر الى وكره . وكل صاح الى سككه . وآمن
السلطان من أمله . وأقبل اليه من قبله . وعاد الامير تبار الى السلطان ابوزابه
متوسطاً . ولتمكينه مشروطاً . وكان ذلك برأي الامير الحاجب الكبير نغرا الدين
عبد الرحمن بن طنابرك وعملت سعادة السلطان عمله . وقدر الله له ما لم يحمر
بخطره أمله

قال : وحيث أجريتنا ذكر زكي بن آق سنقر وقتله بالشام في التاريخ
(٢٤ - السلاجوق)

الذى توفى فيه جاولى جاندار بزنجان فانما نذكر جملة من أموره الى ان قضى الله عليه بمقدوره

ذكر زنكي بن آق سنقر في آخر عهده

قال : كان جياراً عسوقاً . بنكباء النكبات عسوقاً . نمرى الخلق .
أسدى الخلق . لا ينكر العنف . ولا يعرف العرف . قد استولى على الشام
من سنة ٥٢٢ الى ان قتل في سنة ٥٤١ وهو مرهوب لسطوه . مجفوف لجفوه .
عادات . حنف عداة ورعاة . لكنما ختم الله له في آخر عمره بالسعادة
وبالشهادة . ووفقه للجهاد الذى هو أفضل أركان البادة . وهو الذى فتح الرها
عنوة . واحتل بها من السعادة ذروة . وذلك يوم السبت السادس والعشرين
من جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ فتسني بفتح الرها للمسلمين . جوس بلاد
جوسلين . وعاد جميعها الى الاسلام في عهد ولد زنكي نور الدين وصارت
عقود القرنج من ذلك الحين تنفسخ . وأمورها تنفسخ . ومقاتلها تفرع .
وعقائلها تفرع . ثم ان زنكي بعد فتح الرها نزل على حصن البيرة وهى على
القرات . وهو مشحون بالقرنج المتاة . فجاء الخبر بان نائبه بالموصل وهو نصير
الدين جفر قتل . فترك الحصار وارتحل .

ذكر مقتل جعفر نائب زنكي بالموصل

قال : كان مع زنكي ملكان من أولاد السلطان محمود بن محمد بن الملكشاه أحدهما يسمى الب أرسلان وهو في مقتل من معاقل سنجار . والآخر يسمى فرخشاه ويعرف بالملك الخفاجي وهو بالموصل . وكان هذا الملك مسلماً إلى الأمير ديبس بن صدقة فأنزعه منه زنكي في حرب . وأنزل من أكرامه في منزل رجب . وكانت الخاتون السكمانية زوجة زنكي تربيته وتربيته . وتجرى به في حلبة تجريبه وتجريبه . حتى بلغ وأدرك . وسأكن فطنته تحرك . وفهده المرأة غير مرة وأهدته . وعاهدته على الوفاق وعلى الوفاء عهده . وتأسد الشبل وضاق به عرينه . وشبع عرينه . وكان نصير الدين جعفر نائب زنكي بالموصل للدماء سفاكا . وبالنفوس فتاكا . يأخذ البريء بالسقيم . ويلحق الولود بالقيم . وقيل أنه لما أحكم سور الموصل . واحتجز بالحفظة منه على المخرج والمدخل . وأعجبه كمال أحكامه . وملاك أحكامه . ناداه منجنون نداء عاقل وقال (هل تقدر أن تنبي على الموصل سوراً يسد طريق القضاء النازل) فدار المنجنون بتصديق ما قال المنجنون فانه لما أحس من الملك نحس الملك صار يقبض عنانه . ويبسط فيه لسانه . ويقول (إن عقل والا عقلته وان تقل طبعه والا عقلته) فسمع الملك ما راعه . وأسره في نفسه وما أذاعه . فقدرد دبر . وفكر ومكر . وجمع إليه من حوله . وقال لهم فكتموا قوله . واتفقوا على أنه إذا جاء إلى سلام خاتون أو سلامه . أحيط به من خلقه ومن قدامه . فإذا أصابوا منه المقتل . ملكوا الموصل .

فركب نصير الدين بكرة على عادته . وهو يزعم ان ادارة القلاك بارادته .
واخترق المدينة ووصل الى الدار التي فيها الملك للتسليم فلكت حشاشته
حاشية الملك . وقطعت سلك حياته في طريق الدهليز المنسلك . ومرضوه
بسيوفهم ومرضوه . وضربوه بسكاكينهم وبضموه . ونادوا بشعار الملك
واركبه . وذلك في أواخر سنة ٥٣٩ هـ وتشوش البلد وخاف أهله المعاقبة .
وحذروا من زنيكي سطواته المعاقبة . فخرج القاضي تاج الدين يحيى بن عبد
الله الشهرزوري وجاء الى الملك وهناه . وسهل له الصعب مما جناه . وقال
له « نحن قدامك . وقد صرنا ممالكك وخدامك . فسر في المدينة واسلكها .
وادخل القلعة واملكها » فركن الى قوله . وسكن بحوله . واحدق به الجند
كانهم في خدمته . وصوبوا له سداد عزيمته . حتى صعد الى القلعة فأجلسوه
في المركز . وأحاطوا به احاطة الدائرة بالمركز . والتقطوا ممالكه من حواليه
وأفردوه واحتاطوا عليه . ولم ير له بعد ذلك أثر . ولم يسمع له خبر . ولا شك
انه بعد ما احتيل عليه اغتيل . وبعد ما استنزل أزيل

وولى زنيكي الموصل بعد جعفر زين الدين علي بن بكتكين المعروف ببلي
كوجك فنظم السلك ونهج المسلك . وتلافى واستدرك . ووصل زنيكي بعد
ذلك الى الموصل فاستنقى أموال جعفر واستخرج ذخائره . واستنظف أوله
وآخره . وصادر أهله واقاربه . وأحل بنوابه نوابه . وسلمهم القوة والقوت .
ونوع عليهم جوره الممقوت . ثم عطف زنيكي على الملك الآخر الب ارسلان
فاستخرجه من معقله . وعنى بتفاصيل امره وجمله . وضرب له توبته ونوبا .
ورتب له في حاله جلوسه وركوبه رتبا . واغرى بتولى اكرامه وتوحيه .
وغرضه خفاء ماجرى من هلاك اخيه . وقصد حصار قلعة جعفر وصاحبها

عز الدين على بن مالك بن سالم بن مالك ونازلها . وقابلها وقاتلها . وأحاط بسورها
المصوم أحاطة السوار بالمصم . وربض على ربضها في مجثم الخيم . ولج في
الحصار وهو مستظهر بالانصار . مستنصر بالاستظهار . ومتكثر بالاستعداد
معتد بالاستكثار . مغرور بالدهر . مسرور بالقهر . يظن ان القضاء بحكمه .
وان القدر خصم خصمه . وأهل الحصن قد اشفوا منه على الدامغ الدامر .
وقد بلوا من ويل وباله بالهامل الهامر . فأتاهم القرح من حيث لم يحتسبوا .
ووافاهم القرح من حيث لم يكتسبوا

وذلك ان زنكيا كان اذا نام ينام حول سريره عدة من خدامه .
يشفقون عليه في حالتي يقظته ومنامه . يذودون عنه ذود الآساد في ملاحه
ويزورونه زور الخيال في احلامه . وهم من الصباح الروق . في حسن الصباح
لدى الشروق . وهو يحبهم ويحبونهم . ولكنه مع الوفاء منهم يحفونهم . وهم أبناء
الفحول القروم . من الترك والارمن والروم . وكان من دأبه انه اذا تم على
كبير ارداد واقصاه . واستبقى ولده عنده وخصاه . واذا استحسن غلاما
استدام مروديته بالخصى والسِّل . وفاجأه ووجأه بقطع النسل . فهم على
انهم من ذوى الاختصاص . يتهزون فيه فرصة الاقتصاص . فنام تلك الليلة
اليهم مستنما . ولأوثوق بهم مستديما . وهو صريع الراح . نزيف الاقداح
فقلبه نعامه وملكه رقاده . وحوله بماليكه مُرَّده ومرَّاده . فاقبه وهم قد
شرعوا في اللعب . وأخذوا في الشرب والطرب . فزبرهم وزجرهم . ومنسه
بالسكر من الكلام حين أبصرهم . فحرك رأسه يتوعددهم . وهيئهم بلسانه
يتهددهم . ولم يدر ان تحريكه للرأس سبب قطعه . وان نزوله على القلعة بالنازلة
خاتمة قلعه . فتولى كبيرهم الامر والباقون ساكتون . وتحرك ورفقاؤه

ساكنون . وكان اسمه يرتش ثقف اليه . وبرك عليه . وفرشه على فراشه
وغشيه في غشاشه . وذبحه في نومه . ولم يكن عنه ذب قومه . وخرج ومعه
خاتمه . وهو لا يرتاب به لانه خاص زنيكي وخادمه . وركب فرص النوبة
موها انه في مهم . وقد ندب لكشف . لم . وأهل القلعة في أضيق شدة
وأشد ضيق . وكلهم لباس الطيف بهم غير مطيق . حتى أنهم الخادم فتحدث
بما احدث . فاشاعوا قتل زنيكي من القلعة . وارتاع الناس لما هالمهم من
الروعة . وركبوا ولبسوا السلاح . وركبوا تلك الليلة لاسرهم الى الصباح .
وزحف بعضهم الى خيمة جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور فرمى بالنشاب
وحصل من امره في الاضطراب . فقصده من حماه من الاسراء .
وشاركة في تصويب الاراء . واتفقوا على ان يبادر نور الدين محمود بن
زنيكي الى الشام . للحوطة على ثغور الاسلام . فسار معه أولياؤه . وكبراء
الشام وأمرأؤه . وكبيرهم صلاح الدين محمد الغبائي وسار معه أسد الدين
شيركوه . وانحازت اليه الاعيان والوجوه . فلك حلب . وبلغ المراد وغلب .
وافتنض الفتوحات الابكار . واستخلص من الكفار الديار

وأما الوزير جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور فانه لما بعد عنه
من كان يحذره . وعرف الامر ممن كان ينكره . ضم العسكر واستمال
الملك الب أرسلان وأطمعه في المملكة . وحنه على الحركة . وكاتب زين الدين
على كوجك بالموصل على ان يستدعي سيف الدين غازيا اكبر أولاد زنيكي
وكان لا يفارق خدمة السلطان مسعود بأمر والده . أمانا به من غوائل القصد
ومكايده . فكتبوا اليه بالواقعة . وأشاروا عليه بالمسارعة . فاتفق وصول
الخبر اليه بشهر زور . وقد انفصل عن السلطان بدستور . فأغذ السير

واستعجل الخبر وسبق الى الموصل قبل وصول الجماعة . ولما عرف جمال الدين بوصوله سبق أيضا الى الموصل وبقى الملك منفردا فاستوحش . وتشور في رأيه وتشوش . وركب صوب الجزيرة مفارقا . والى حلبة التجارة مسابقا فسيروا وراءه من وثق بتوفير أمانته أمانه . وخيلوا له ان قد عاد انقوم غلامه . وان غازيا اذا كنت معه اخذ البلاد باسمك . وجعل المالك برسك . وما زالوا يحدثونه بالخطر والحئل . الى قلت القتل ؟ فانه عاد معهم ودخل الموصل في استقبال ونشار . واعظام واكبار . حتى دخل الدار . وخال الاستقرار . فما أجلسوه . حتى اختلسوه . وما رسموه . حتى رسموه . وكنتموا أمره . وختموا عمره . وجري بين جمال الدين الوزير وبين زين الدين على كوجك وسيف الدين غازي التماقد . على التماضد . والتماهد . على التساعد . وتولى جمال الدين وزارة الموصل واستولى . وكان باسترعاء ما أولاه الله من نعمة أولى . وانه عاش ببناء الجود . وعشا الى ناديه الوفود . وعادت به الموصل قبلة الاقبال . وكعبة الآمال . فانارت مطالع سموده . وسارت في الآفاق صنائع جوده . وعمر الحرمين الشريفين وشمل بالبراهمها . وجمع بالامن شملها .



— يذكر حال جمال الدين الجواد أبي جعفر محمد بن علي —

﴿ ابن أبي منصور ﴾

قال رحمه الله : كان والده من أصفهان الكامل علي وهو حاجب الوزير شمس الملك بن نظام الملك وكان أبوه أبو منصور فهادا في عهد السلطان ملكشاه بن الب ارسلان وابنه الكامل نجيب . أديب لبيب . وزادت أيامه في السموة . وأيامه في النوة . حتى تنافس في استخدامه الملوك والوزراء واستضاءت برأيه في الحوادث الاراء . وكان قد زوج بنتا له ببعض أولاد أخوال الم العزيز فاشتغل لذلك العزيز رحمه الله على ولده جمال الدين أبي جعفر محمد وخرجه في الادب . ودرجه في الرتب . فأول مارتبه في ديوان المرض السلطاني المحمودي محليا . فبرز في تلك الحلة سابقا ومجليا . وغلب في تحليته ذكر الابلج . فتمته الاتراك بالابلج . واستقام في نجاته على المنهج . واتفق انه لما تولى زنكي بن آق سنقر الشام تزوج بامرأة الامير الاسفهلار كسند غنى وولدها خاصبك بن كند غنى من أمراء الدولة وأبناء المملكة . وهو يسير . بها فرتبه العزيز جمال الدين لخاصبك وزيرا فسار في الصجة وكان مقبل الوجاهة . مقبول الفكاهة . شهى المشاشة . بهي البشاشة . فتوفرت منى زنكي على منادمته . وقصر صباحه ومساءه على مساهمته . وعول عليه في آخر عمره في اشراف ديوانه . وزاد المال وزان الحال بتمكينه ومكانه . فلم يظهر من جمال الدين في زمان زنكي جوده . ولا عرف له موجود

فانه كان يتمتع بأوقاته . وترجية أوقاته . ويرفع جميع ما يحصل له الى خزانه
 زنكي استبقاء لجاهه . واستلاء به على اشيائه . فكأنه زنكي من أصحاب
 ديوانه . ففهم من استغفر باسائه ومنهم من انتفع باحسنه . ولما قتل زنكي
 صار للدولة الآتية ملاذا . ولليت الا تستغريه اذا . واستوزره الا . ير
 غازي بن زنكي وآزره على كوجك على وزارته . وحلف له على مظاهرته
 ومضافته . فأجرى بحر السباح . ونادى حتى على القلاح . فصاحت بافضاله
 أنفاظ الفصاح . وأتوا اليه من كل فج عميق . وقصد من كل بلد سحيق .
 وقصد المظاء . ومدحه الشعراء . ومن وفد اليه ومدحه أبو التوارس
 سعد بن محمد بن الصفي المعروف بجيحص . قال : وأنشدني لنفسه من
 قصيدة أولها

يال الصوارم والرياح الذئبل نصرأ ومن أنجدتالم يخلد
 لو شئتما ومشية بمشية جاد الزمان وبالعلي لم يخل
 أنا فارس اليومين يوم مقالة ووغى أصول بصاري وبقولي
 ومنها يصف بناء لسور المدينة وعمارة قبر

وتقر عين محمد بمحمد محي دريسى عليه والمنزل
 مमार مرقد وحافظ دينه ومعين أمته بجود مسبل
 خرق يئاط قبضه ورداءه بيباب زخار وهضبة يذبل

قال : وكنت أنا في ذلك العهد ببنداد متفقها واتفق حضوري بالموصل
 في ذي القعدة سنة ٥٤٢ هـ فحضرت عند جمال الدين بالجامع في جمعتين .
 وتكلمت عنده مع الفقهاء في مسئلتين . ومما مدحته به من قصيدة أولها
 وذلك من أول نظمي

أظنهم وقد عزو وإرتجالا تنوُّعنا جَمالاً لا جَمالاً
 سروا والصبح مبيض الحواشي فلما حال عهد الوصل حالا
 أخلائي وهل في الناس خل به أُخلى من الاشجان بالا
 لكن لم أشف صدري من حسودي ولم أذق العدى داء عضالا
 فلا أدركت من أدبي مرأى ولا صادفت من حسبي منالا
 ولا وَخَّدت اليكم بنى جبال ولا واليت مولانا الجمالا
 وقائلة أنى الدنيا كُريم سواه فقلت لا وأبى المللا

قال : ولم يقنع بما جاد به الوفود . حتى زم الى البلاد ركائب الجود .
 فجعل لكل بلدة من بلاد الاسلام من مواهبه راتباً . وأصبح جوده فى الآفاق
 الى القيسين سائراً وللطالين طالباً .

✽ عاد الحديث الى ذكر ما جرى للسلطان مسعود ✽

✽ ابن محمد بن ملكشاه بعد موت جاولى فى سنة ٤٤١ هـ ✽

قال رحمه الله : ولما توفى جاولى جاندار طمع الامير الحاجب الكبير
 نغر الدين عبد الرحمن بن طغايك فى تولى بلاد ارانية وأرمينية وعرف انه
 لا يتشى له ذلك مع تسلط خاصبك بن بلنكرى فتوسل فى استمالة الامير
 بوزابه صاحب فارس الى السلطان ليقم له مراده بتوسطه وأرسل الى الامير
 الحاجب تبار وهو عند الامير بوزابه ان هذا أوان قدومه . وزمان هجومه .

فقدم للعسكر السلطانى فى عسكر ضخم . ومقدم فخم . واتصل به الامير عباس صاحب الرى فى عدة وعديد . وبأس شديد . واتفق هؤلاء الثلاثة ابن طنابيرك وبوزابه وعباس على تدير الدولة وتقرير قوانينها . وترتيب دواوينها . وكف عادية المتسلطين عنها . وتوفير حظوظهم بالاستقلال بها منها . فأحوجت السلطان الضرورة الى النزول على حكمهم . ورأى السلامة فى سلمهم . وأقسم على رضام ورضى بقسمهم . فاول ما فعلوا انهم عزلوا وزيره . ونقلوا الى الوزير الذى ولوه تديره .

— ذكر وزارة تاج الدين ابن دارست المارسى —

قال : كان ابن دارست وزير بوزابه صاحب فارس فرتبه فى وزارة السلطان ليصدر الامور على مراده . ويورد على وفق ايراده . وكان هذا الوزير رفيع القدر . وسبع الصدر . محبا للخير مبغضاً للشر فافعل امرأيتهم عليه . ولا احوال حاليتوجه لاجلها اللاتمة عليه . وثلبه أمين الدين أبو الحسن الكازروني ذو الدين المتين . والحلم الرزين . والاستهتار باعمال الشر . والاشتهار بافعال الخير . وتولى ديوان العرض والد الوزير عضد الدين وهو جميل بجمل لمذهبه . مهذب مذهب لمنصبه . وأقروا ولاية آذربيجان وارانية جميعها على بن طنابيرك عبد الرحمن . وقرروا ابعاد خاصيك بن بلنكرى عن السلطان . فسار فى خدمة ابن طنابيرك أميراً . وصحبه فى ضمائر الخلاء ولم يخلص فى صحبته ضميراً .

وتقرر ان يكون احد الثلاثة بالنوبة ملازما لخدمة السلطان حتى يسلم لهم جانبه .
وتؤمن نوابه . وانفصل الامير بوزابه الى بلاد فارس ورحل السلطان الى
بغداد ومعه الامير عباس صاحب الري في شركة مائة . وهيئة رائدة

قال : ولما قدموا بغداد في خريف هذه السنة خرجت مع الفقهاء لتلقيهم
والناس مشتغلون على تخوفهم منهم وتوقيهم . فلما حلوا ببغداد نزلوا دورها
وسكنوا لا تخريب من دورها . وألهبوا الكروب . وأرهبوا القلوب . وكانت
هذه عادتهم اذا وصلوا . وعاديتهم اذا نزلوا . فتمكن الاتراك لا يتركون
ممكنا من الجمل . وعذروا ان الظلم من العدل . ولكن الوزير نزل في دار
الوزارة بالاجمة . متوخيأبث المكرمة . وأمر بتجديد عمارة المدرسة التاجية
التي بناها خاله الوزير تاج الملك أبو الفنائم بن دارست ببغداد وأوطنها شيخنا
شرف الدين يوسف الدمشقي فاحيي دريسها بدروسه . واشرق اققها بنجوم
العلم وشموسه . ورتب الوزير في داره مجالس للختات . وحضور أئمة الفرق
وفقهاء المناظرات . ولم يمارض السلطان في شيء من أوامره وأموره .
وابتسمت الدولة بأسفاره وسفوره . لكنه مع تقاصر مدته ما أمر ولا أحل .
ولا شغل ولا اخل . ولا عزل ولا ولي . كل ذلك طلباً للسلامة . واستقاء
لماء الاستقامة . وعلماً بوخم العقبة . وألم المعاقبة . فلا جرم توفرت الدواعي
على حبه . وفرت الموادي من حربه وحزبه

قال : وفي هذه السنة قدم الامير المالم قطب الدين أبو منصور المظفر
ابن اردشير البادي الواعظ فاعجز بالقصاحة وأعجب . وشرق بأنوار البلاغة
وغرب . وأنا اذكر وقد حضرت مجله وقد وضع له . نبر على شاطئ
دجلة والسلطان مطبل عليه من أعلى مكان والامير عباس صاحب الري جالس

في شفّارته بدجلة بحيث يسمعه . والعباد يفتن الناس بما يديه من سحره
ويبدعه . وحضرت مدة مقامى ببنداد جميع مجالسه أكتبها من لفظه .
وأقبل عليه الامام المقتنى وقبله . ورفعوه وبجله . وأمره بالجلوس في جامع
القصر في موضع يقرب من منظرة . ليجلس حيث لا يراه وهو بحضرته .
وانبت بدائنه وبدائمه . واشرقت بنجح مطالبه مطالمه .

— ❦ —
❦ ذكر ما جرى من الحوادث التي انحلت بها تلك العقود ❦

❦ واختلت تلك اليهود ❦

— ❦ —

قال رحمه الله : وصل الخبر بقتل الامير عبد الرحمن بن طغيارك بأراية
وكان من قدر الله سبحانه انه استصحب معه خاصبك بلنكرى ليده عن
الخدمة السلطانية غير مكترث به وكان مع خاصبك امر من السلطان سرّافي
الفتك به ان خلت عرصة . أو أمكنت فرصة . فركب ابن طغيارك يوماً
لتجهز المساكر الى غزاة الكرج ووقف منفرداً في ذلك المريج . وهو
يسير أميراً أميراً . ولا يمكن من المقام كبيراً ولا صغيراً . وابن بلنكرى
واقف لا يرمي . وهو لبرق مايشيه من عارض النمد يشيم . ومعه الامير
زنكي الجاندار فتقدم وأقدم وضرب رأس ابن طغيارك بسوط حديد شدخه
وفشخه . واستصرخ بأعوانه فعدم مصرخه . وضرب بعد ذلك بالسيف .
وتفرقت عنه جموع تلك الصفوف . وتقلب ابن بلنكرى على اراية فأحسن

الى الذين ساعدوه . وعقد حي الحب لهم حين عاقدوه . وامتد الى أردبيل
محاصرا وبها الامير آق ارسلان وأخرجه منها بالامان . ثم اشتغل بمحاصر مراغة
لينال منها ما راغ . وحصرها طويلا ولم يجد فيها المساع
ولما نجي الى السلطان ببغداد خبر قتل ابن طغيارك أحضر الامير عباسا
في داره ليخلو به ويستشير به فلما خلا به أمر بضرب رقبة . ورمى جثته .
وذلك بكرة خميس من ذى القعدة سنة ٥٤١ هـ فركب عسكر عباس يقدهم
الامير آق سنقر القيروز كوهي وشقوا مدينة بغداد وساروا . ونهض الاوباش
لنهب دار الوزير وثاروا . فأركب السلطان جماعة منهم من الوصول الي
داره . وبقى موقرا موفرا على حرمة وقراره ثم أذن له في الانصراف الى فارس
مصحوبا بالصيانة مصونا بالعجبة . مرتب الاحوال حالي الرتبة . فجاء اليه وودع
ودعا . ورعى له السلطان حق ماري وتلا (وأن ليس للانسان الا ما سمى)

هو ذكر وزارة شمس الدين بن النجيب الاصم الدركزني

قال : وحفظ السلطان حرمة الوزير تاج الدين فلم يتهم شمس الدين
الوزير بوزارته . حتى انصرف الوزير بجاهه وماله وحرمته . وحشمته
ونعمته . ولم ير وزير للسجقة صرف ولم ينكب في نفسه أو في ماله سواء
ولانه كان يرجو منه استمالة الامير بوزابه وتحصيل رضاه . فانه لم يشك في
حركته . والابتلاء بمركته . فضمن له تاج الدين بن دارست ان يكفيه أمره

ويكف شره . وكان هذا من دهائه لينجو من الداهية . ويستفيد الاحكام لقواعده الواهية . فرحل فرحاً للسلامة . ظاعناً من وطنه الى دار المقامة . فاستقل بالوزارة حيث شمس الدين أبو النجيب وكان من قبل يخدم ابن بلنكرى فلما سار أقام يخدم الامير الحاجب تار . مستديماً لود مخدومه الانتظار . فرغب السلطان فيه لاجل اختصاصه بخاصبك ولم يكن فيه من أدوات الوزارة الا كونه لا تقوم الدركزنى نسيا . فحاز من منصبه نصيباً . وكان بزمانه شديداً . وفي مكانه نيباً . لاثقا بالقوم . ووافقا للسوم . يطلب مرافقهم في مرافقهم . والتخلق بخلافهم . والسلطان لاه بالملاهى . متناه في المناهى . لايسأل عما يفعل ولا يفعل مايسأل . ولا يقبل مايقال ولا يقول مايقبل . وعن السلطان ان يحرك ساكن الموصل بابداء عزمه اليها . واظهار عوجه عليها فبادر متولوها بمحول . وتحف وهدايا وخيول . قبلها منهم . ورضى عنهم . وأقام ببغداد باقى تلك الشتوة فلما رحل ضيف الشتاء حل السلطان جبوة مقامه . وأمر خبر خروج بوزابه صاحب فارس ما أحلاه من أحلامه . تخففت القلوب والبؤود . وقلقت الجنوب والجنود . ثم اغذ السلطان مسمود الى همدان سيره ليسبقه اليها . قبل اطلاله عليها . فانها مقام ملكه . ونظام سلكه . وطير الكتب الى خاصبك ابن بلنكرى وهو على حصار مراغة ليقدم تلك الماسكر . ويقدم اقدام الليث الحادر

وأما بوزابه فانه لما نبى اليه عباس وعبد الرحمن قامت قيامته . وغامت غماته . وكدر عيشه . وكثر طيشه . وجاش جاشه وحيشه . ونهد بالمكئين محمد وملكشاه ابني محمود وأقبل بهما كاليرين . من جترها في فلكين . فلما

قرب من اصفهان تلقاه صدر الدين ابن الخجندی وفتح له أبوابها . وحمل على الاصحاب له أصحابها . فدخل دار مملكتها . ومقر سلطنتها . وأجلس الملكين على السرير الاب ارسلاني . والتفت الحسرواني . ثم خرج بهما على سمت همدان وهو لا يشك انه اذا بلغ غلب . واذا بسل سلب . فوصل الى مرج قراتكين وهي من همدان على مرحلة واتصل به ابن عباس صاحب الري فلما عرف السلطان مسعود قربه . حزب حربه . وقوى قلبه . وطير الى ابن بلنكري كتبه . وضيق في التأخير عنده ووسع عتبه . فوصل وقد حم اللقاء . وحق البلاء . فقوى السلطان وتسلمت قوته . واحتب بالشدة واشتدت حبوته . ولما تقارب الفريقان . باتا ليلتهما يمينان . وبحرهما يارب . وجرحهما يشب . وريحهما تهب . فلما بدا الصباح خلف من العجاج الليل ليل . وانجر على الهجرة من مجرى المجرى ذيل . وطما بما سل من الجفون سليل وطلع في كل أفق من لمع اليماني سهيل . والتقى الصفان . وتلاطم البحران . وصال العديد على العديد . وصل الحديد في الحديد . وكادت الكسرة تصح على مسعود . وبقي قلبه ثابتاً بين طارد ومطرود . وبوزابه قد تهور وتهجم وحمل على القلب ليقبله بحملته . ويميز تفصيله بحملته . فكبا به القرس قرس . واختلسه القدر فقدر عليه واختلس . وحمل الى السلطان أسيراً . فخطابه وعاتبه كثيراً . فلم ينس بنت شقة وأراد السلطان الابقاء عليه لشهامته . فأبى ابن بلنكري الافس هامته . فأمر السلطان بالاضراب عن رقبة . وضرب رقبة . وأمر بحمل رأسه الي المراق . وأن يطاف به في جميع الآفاق . وانجلي النبار عن ابن عباس قتيلا . وانهزم عسكر فارس والملك موليان لايوليان . وموليان لاييان . وجلس مسعود للنساء وخص خاصبك بالاصطناع

والاصطفاء . وعظه على الامراء . وأمره على البطحاء . وذلك في سنة ٥٤٢ هـ

ذكر ماجرى باصفهان من القشة بعد مصرع بوزابه

قال رحمه الله : كان نجم الدين رشيد النياي الى اصفهان من قبل السلطان وهو متعصب على الشافعية فلما تم من صدر الدين محمد بن عبد اللطيف الحجندی الى بوزابه المبل . بادر بالارسال الى اصفهان للايقاع بمن خرج على السلطان وعلم ابن الحجندی نفرج منها وزحف الدوام الى المدرسة فهبوها وأحرقوا دار كتبها وتشقت بنو الحجندی فقصده صدر الدين محمد وأخوه جمال الدين محمود الموصل . وأورد بها جمال الدين الوزير من انعامه واكرامه المنهل المنهل . ومضى جمال الدين الى الحج . وأقام صدر الدين وبحر جود الوزير له . تلاطم الحج . ثم انصرف عنه مملو الحقايب . محبوبا بالمواهب . وعمل في جمال الدين اياتا من جعلها .

نجت الى بابك فردا وقد خرجت من نيمالك في قافلة ووصل الى اصفهان فتوفراهلها على خدمته . واقرضوا اقامة حرمة وأما جمال الدين اخوه فاني لما عدت الى بغداد لقيته وقد عاد من الحج في صفر سنة ٥٤٣ هـ . وكان قد عزم والدي على النود الى اصفهان فصحبناه وجمعنا الطريق ووجدناه نعم الرفيق . ثم تفارقنا وسار هو مع قافلة همدان . وسرنا مع قافلة اصفهان . ثم وصل الحزبان السلطان رضى عنه وعن أخيه وخلع عليهما . وأعاد الرئاسة اليهما . ثم وصلا . وعلى اضياف ما كان لهما من الحشمة حملا .

ذكر بعض الحوادث

قال : في سنة ٥٤١ حج ابن جبير وزير الخليفة المقتنى فرتب صاحب
 المخزن قوام الدين بن صدقة وزيراً . وكان يته أتيلاً أثيراً . ورتب في المخزن
 عوضه زعيم الدين يحيى بن جعفر ورتب بمعد ذلك يحيى بن محمد بن هبيرة
 صاحب الديوان . وفي سنة ٥٤٣ مات قاضي القضاة بندگان يوم النحر وهو غفر
 الدين علي بن الحسين الزينبي . ورتب بمعد ذلك عوضه عماد الدين بن الدامغانى
 قال : واما السلطان مسعود فإنه أرسل الى ابن أخيه الملك محمد بن محمود
 بمعد قتل بوزائه فاستدعاه . ومنَّ عليه ومنا . وزوجه بنته . وعهد اليه في
 الولاية وولاه عمده . ثم ملكه خوزستان ولما أمن ابن بلنكري من الجوانب
 عمد الى الامير الحاجب تار وقبضه وأوثقه . وأنفذه الى قلعة سرجهان واعتقله
 بها ثم خنقه . وصفاله الجوف فياض وصفر . وضفا عليه الضوء فاجتلى الظفر
 قال : وفي شهر ربيع الاول سنة ٥٤٣ وصلت شعبة من أكابر الامراء
 ومعهم الملك محمد الى بندگان محاصرين . وعلى خذلان السلطان مسعود
 لشقوتهم متناصرين . منهم شمس الدين ايلدكز والامير قيصر وملك العرب
 علي بن ديبس وغيرهم . فحضروها وحصروها . فخرج أهل بندگان لردم
 فأفروا عنهم . حتى اصحروا فكروا عليهم كرة اردتهم . وما ابقوا عليهم بل
 أفنتهم . وكانت بالقرب منهم حفر النساكين . وتناير الأجرئين . وأتاتين
 الجصاصين . فأنجما الامن آوى اليها . وقتلوا زهاء خمسمائة نفس وجلَّ رزء
 بندگان بأهاها . وأمضها مآدها ما من شغلها . ثم طلبوا من الديوان الوزير

ثلاثين ألف دينار ليزحلوها . وفصلوا الامر على المبلغ لينفصلوا . فاستشار الخليفة الوزير وأرباب المناصب في انه هل يبذل لهم الذهب . وهل يحتمل لراحة منهم الثوب . فما فيهم الا من عجل بالبذل . للتأني في البذل . فاخرجت المين . فأشار ابن هيرة وهو يومئذ صاحب الديوان بضد . وأشاروا . وصار من الراي الى غير ما صاروا . وقال للامام « هؤلاء خرجوا عليك وعلى السلطان . وجاهر وكما بالعصيان . فاجعل بالله الاستجارة . وقدم منه الاستخارة . وأنفق ما عزمت على بذله لهم . في عسكرة يقاومهم ويدفع شرهم . فانك إن دفعتهم بالمعطاء لم تسلم من عتب السلطان مسعود . وإن هزمتهم باللقاء قلت له اني قلت جنود عصيانك من اهل طاعتك بجنود . وانت لا تحمد على ما تحمل . ولا تشكر على ما تعمل »

فقبل الخليفة رايه ولم ير خلافة . وجمع حينئذ وجند . وحشرو وحشد . واستخدم من البطالين ابطالاً من المعانلة المقابلة المبطلين . وفرق المال ومال اليه الفريق . وأنفق فنفق في سوق تفوقه التوفيق . وصار من ذلك اليوم للخليفة جند مهيب . ونار لها في أفئدة المدى لهيب . فرد هؤلاء الاردياء بالجد الحديد . والجد الجديد . وقاله اني أري المشورة الهييزة أرياً مشوراً . وصوب صوابه لري الرأي مشكوراً . فجاء به وزر عليه جيب الوزارة . ولم يزل عنده مودود الشارة . مقبول الاشارة . وذلك يوم الاربعاء الرابع أو رابع عشر شهر ربيع الاول سنة ٥٤٤ . فشرع في نصر أمر الشرع . رحيب الصدر والباع والذرع . وأكرم الفضلاء . وفضل الكرماء . وعاش في وزارتي البقنى والمستجد ست عشرة سنة وشهرين . قرير المين . أيد اليدين

وكان به عمش . وبوزير السلطان طرش . وأمر الدين والدولة بهما منتظم .
وشعب الخلافة والسلطنة بكفائتهما ملتئم .

﴿ ذكر وصول السلطان سنجر بن ملكشاه الى الري ﴾

﴿ في أواخر شعبان سنة ٥٤٤ ﴾

قال رحمه الله : لما عرف سنجر ما تم بالدراق من اغتيال النفوس .
واقتطاف الرؤس . واستيلاء خاصبك على خواص الاولياء . واغضاء السلطان
في مهد الاغتيال . وخدعه بالالطاف خدع الاطفال . قال « لا بد من
الادراك والاستدراك . والامساك والاستمساك . وتهديب المستعلي .
وتعذيب المستولى . واخفاء الشر الاثخ . واطفاء الشر اللامخ » فهض على
كبير سنة ووصل الى الري في صميم الشتاء وقرها في قره فأجفل مسعود من
همذان راحلا على سمت بغداد فتى عنانه شرف الدين الموفق كردبازو وقال
له « أنت لسنجر مقام الولد . والاولاد يرا الآباء فازوا . وما أسعدهم اذا
حصلوا رضاهم وحازوا » فسار الى الري معه . وأبى ابن بلنكري أن يبقه .
وأقام هو والوزير الاصم بهمدان فلما بصر سنجر بمسعود قدسه وأكرمه .
وقر عيناه به وقربه . وتحدث معه بما نجيحه . ورضى عنه وما عتبه . ونسى كل
ما ذكره . وادبر عن كل ما دفعه . وشفع السلطان في خاصبك فأجابته . وذكر
له فعله فاستصابه . فما أمر بمعروف ولا نهى عن نكر . ولا أبدل شكوى
بشكر . ولا كشف ظلامة . ولا كف قلامة . لكنه ودع ابن أخيه وعاد .

واغذ الى خراسان التأويب والاساد . ورجع السلطان واستصحب خاصه
والوزير الاصم معه الى بغداد . وأقام تلك الشتوة بها في رفاة وفراغ . وصباح
صباح ومساء مساء . وكان مع سنجر كبراء أمرائه مثل المؤيد يرتقش
هريره والملك على البحري وسنقر المزري وغيرهم من عظماء عسكره
وخواص معشره

ذكر حوادث في تلك السنين

قال رحمه الله : توفي السادس من شهر ربيع الاول سنة ٤٤٣هـ نزل ملك
الامان بجميع عظيم من الفرنج على دمشق وحاصرها وأشرف المسلمون فيها
على اليأس ثم منها لله تعالى ورحلوا عنها بعد أربعة أيام خائبين هائبين .
خاشعين خاسرين . وفي أوائل جمادي الاول من سنة ٤٤٤هـ توفي الامير
غازي بن زنكي صاحب الموصل وتولي أخوه قطب الدين مودود . وجمال
الدين الجواد وزير على حاله وزين الدين على كوجك متولى المسكر
ورجاله . وتوفي الحافظ متولي مصر في خامس جمادي الاول من هذه
السنة . وتولى بعده ولده الظافر . وفي موسم سنة ٤٤٤هـ وقت زعب ومن
تابها من العرب على قافلة الحج عند قفولها من مكة الى المدينة فاهلكت
الناس . وأحلت بهم البؤس والبأس . وعظم مصاب المسلمين في الآفاق .
ونجا من الآلاف آحاد بآخر الارماق . وفي الحادى والعشرين من صفر
سنة ٤٤٤هـ كسر نور الدين محمود بن زنكي على اتب من الشام ابرنس انطاكية

وقتل وحز راسه . وشد بتلك النصره للاسلام قواعده وآساسه . وفي سنة ٤٥٥هـ أسر التركان جوسلين وسدوه الى نور الدين ونزل الملك مسعود ابن قلعج ارسلان على تل باشر وهي مع جوسلين ونزل نور الدين بعد أسر جوسلين على قلعة عزاز وقتلها بالامان . وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٤٥٦هـ تسلم الامير حسان المنبجي تل باشر بالامان . وفي سنة ٤٥٦هـ أغار عز الدين علي بن مالك صاحب قلعة جمبر على أطراف الرقة فمزعوا اليه وأدركوه وقتلوه . وجلس مكانه في القلعة شهاب الدين مالك ولد عز الدين .

ذكر مات محمد من الملك . ملكشاه بن محمود

وفاته السلطان مسعود

قال : اغار في ربيع الاول سنة ٤٥٥هـ . ملكشاه بن محمود على أصفهان وساق بعض مواشيها . وصار يناديها بالاخافة ويدأشها . وكان فيها نجم الدين رشيد واليا . فأنقض السلطان اليها شرف الدين كردبازو وضم اليه جماعة من الامراء . فلما وصلوا الى أصفهان راسلوا الملك . ملكشاه وقيجوا له ما استحسنه . وتحركوا اليه بما يمكنه . وتحمل له رشيد بماله وحمله وسيره اليه ورحله . ونزلت السكينة وسكنت النازلة . وأسبل الامن وأمنت السابلة . وشتى السلطان مسعود سنة ٤٥٥هـ ببنداد غائضا مع لذاته في لذاته قانصاً من الميش فرصاته . ثم رحل عنها رجيل مودع فلم يعد بعدها الى

المراق ورافق السلطان وخاصبك ولم يتفارقا . وتوافدا على الترافد وتوافقا
وكان خاصبك فرحا باختصاصه . ومنذ كان مالخلى صاحبه من حبه
واخلاصه . فوصلا الى همدان واتقضت سنة ٥٤٦ صافية عن القذى . كافية
للأذى . ماضية مع الفنى . مضية السناء . ولم يلما ان ستسبع بسنها كالسبع
عضوض . وان كل ما أبرمه اليوم الزمان غداً منقوض . وان الحياة محتومة
وان الوفاة محتومة . وان عمران العمر مهلوم . وان سر القضاء مكتوم .
فلم يزل . مسعود مسعوداً حتى عاجله القدر . وما أجله الاجل . وأصابته علة
النشيان والقيء فما سلمت حتى أسلمت نشره الى الطلى . وشمسبه الى النى . .
وجمد فى آخر جمادى الآخرة ذوبه . ونجد ضرايه وأقلع صوبه . وكان
مسعود ضخيم اللسبية . جم الصنمية . لكنه يصطنع الاراذل . ويرفع
الاسافل . وكان كثير الاتكال . على استمرار الاقبال . قليل الاحتفال .
بمكايد الرجال . دائم الاغضاء عن ذميم الفعل . لا يضر له دوسخية . ولا
يقبل فى ولى نيمة . واتفق قبل وفاته ان اخاه سليمان شاه كان بقلمة قزوین
معتقلا . وكان عليه بالحوط . مثلاً . فواطأه . مستحفظها . وفق الخادم على
الخروج بعد موت أخيه لطلب السلطنة . واتصاله بذوى الايدى المتسكنة .
وكان الملك ملكشاه بن محمود . قد اتصل بعمه مسعود اليه لاجيا . ولآلائه
راجيا . وقد أجمل اليه . واشتمل عليه . وهو حاضر حين حضره الحين .
وغارت وغاصت العين والعين . ولا بد ان يقطع بين المتواصلين الين .
ودفن بهمدان فى مدرسة بناها جمال الدين اتبال الخادم الجاندار

ذكر جلوس السلطان ملكشاه بن محمود



قال : لما توفي عمه اجتمع المسكر على نصبه . وعند حيي الاعتقاد
 لحبه . واجلسوه على السرير وأطاعه الامراء واثمروا بطاعته . وتمنوا بيومه
 وسعدوا بظلالته . وتفرد ابن بلنكري على عادته ومساعدة سمادته . بالامر
 والنهي والحل والمقد . والقصر والمد . والقبول والرد . والميل الى جمع المال .
 وجباية الاعمال . والحاق ذوي الاثراء بذوي الاقتال . واشتغل ملكشاه
 بالانهماك في القصف . والانهك بالذرف . وفرض الاور كلها الى ابن
 بلنكري . وكان من فلك ملكها في أوج المشتري . واعتاق بنجحه . ووثق
 بنصحه . وما درى انه يخسر من ربحه . ويظلم يومه بطلوع صبحه . فان
 ابن بلنكري طرب فبطر . وخطر بضيره ان يضر الخار . وجمع الامراء
 وكبيرهم الحسن الجاندار وقال لهم « هذا سلطان لا يفلح . والملك لا يصلح .
 فانه غر ذو غرور . وغمر جاعل بالامور . قد شغلته الحمرة عن الامر .
 وأغناه الحشف عن الثمر . وأنا أرى من الصواب ان نخليه . ونستدي أخاه
 محمداً ونوليه » فلم الامراء ان خاصبك كالباحث عن حقه بظلمته . والجالب
 النكر الى عرفه . وكانوا قد كرهوا استيلاءه . وشتموا استملاءه . فوافقوه
 على الرأي الرائب . وعدوه من المواهب . وقالوا للمل الملك اذا تولاه حازم
 جازم . وعاقل بمصالحه عالم . انتهى له من هذا المادى . وشفى بصدها غليل
 الملك الصادى . فقالوا لخاصبك « عجل هذا الامر قبل ان يفتن به فتايس

من نجح . طلبه « قتبض ابن بلنكرى ملكشاه في دار الحسن الجاندار وهو
 في ضيافته . فقراه بآفته . واعتقله بمرج همدان وكان قد أُنْفَذَ الى الملك محمد بن
 محمود جمال الدين اليقشت بن قايمار الحراني ونفذ ابن بلنكرى لاستحلافه
 الأمير مشيد الدين بن شاهملك ومعه وزيره الكمال ابو شجاع الزنجاني
 المعروف بالتعجيلي فخافوه في الرسالة . وحسنوا لاسلطان محمد ضد ما أراد
 ابن بلنكرى من الحالة . وقرروا معه قتله يوم الوصول . وقالوا له لا تقبل
 غير هذا الرأي لتحظى بالقبول . وعادوا وقالوا لابن بلنكرى « انا قد حلفناه
 واستوثقنا منه بالايمان . وأكدنا أقسام القسم بحيث يكون حثه ارتداداً
 عن الايمان » فوثق بامانتهم وأمن للوثوق بهم وأرسل واسترسل . وعجل
 واستعجل . وأمام ملكشاه فانه تخلص من اعتقاله . وخرج نجمة من بيت وباله .
 وكانهم توانوا في حفظه . ووكلوه الى حظه . وكما أغفلوا الاحسان اليه . أحسنوا
 بالنفلة عنه . ولم يكن لهم عنده ثار فيحلبهم على الانتقام منه . وصرحوا
 بهربه . ولم يرضوا بطلبه . ولم يلبث في سلطته الا شهرين أو ثلاثة ثم
 تقلبت به الاحوال الى ان استقر بخوزستان ماسكا . وفي سلك سلوك نهج
 السلامة متسلكا



ذكر جلوس السلطان غياث الدين والدين

أبي شجاع محمد بن محمود بن محمد بن الملكشاه

(في أواخر سنة ٥٤٧)

قال : وقدم السلطان محمد همدان في عدة يسيرة . وعدة غير
كثيرة . فتلقاها خاضبك بلقائه مستبشراً . وبوفائه مستظهِراً . وبصفاء
وده . وقتاً . وبصفات نجمده . ومنا . والى دينه راكناً . والى يمينه
ساكناً . وحمل اليه ما تجمل به من آلات الملك وأدواته . ونجيات المال
ومدخراته . وخيمه وسرادقائه . والحيل العراب . والروض والياب . فعلقت
بالنفس نفائس أعلائه . وسكن المسكين الى وفاء السلطان ووفائه . وخرج
له من قشره . وأرج منه بنشره . ولقيه السلطان بوجه له باشر . ولسان
لحمده ناشر . لكن ضييره لشر . مضر . وفكره للفتك به مفكر . ثم انه في
اليوم الثالث من قدومه جلس في أعلى القصر واستدعى ابن بلنكري لمسارته
في التفويض ومفاوضته في السر . فجاء ومعه الامير زنكي الجاندار والامير
كشطنان المعروف بشلة . فلما حصلوا على سلم القصر عرف شلة العملة .
ورأى أمارات لا توافق المراد . فماد وجذب ذيل ابن بلنكري ليعود فماعد .
ونزل وقد رهب . فركب وهرب . وأما ابن بلنكري وزنكي فلهما صمدا
فأمر فخر رأس ابن بلنكري ورعى بجمته الى الميدان . وضربت أيضاً رقبة زنكي
الجاندار وكان كبير الشأن . وارتفعت القلوب وارتابت النوس . وذرفت
الميون وأطرقت الرؤوس .

ومما يمتد به المستبصر ويستبصر به المعتبر ان خاصبك خلف أموالا
لأنك كلها النيران . ولا تحويها الحسبان . ومن جملة ما وجد له الف ثوب وسبع
مائة ثوب أطلس عتاني فكيف غيره من الألوان . وطلب له كفن في ذلك
اليوم فلم يوجد . وبقي على حاله ولم يلحد . وما ألقى عليه رداء . ولم يبذل له
فداء . حتى جبي له من سوق المسكر الكفن والقطن . وتهايل من تولى أمره
حسبة لله النسل والدفن . فبا بمدا للدنيا ما كدر صفاءها . وأغدر وفاءها .
تخيف من آمنها . وترعج من سكنها . وتقتل من أحيائها . ولا ترضى من رعاها .
وأما السلطان محمد فإنه ظن بعد قتله أن الموانع قد ارتفعت . والمنافع
قد اتسعت . وأن الأمراء النافرين منه بسية يجتمعون . وعلى نصره يجتمعون
والى جنبه يفزعون . وكان وزيره في خوزستان الوزير جلال الدين بن
القوام أبى القسم الدركزى وقد أبقاه على وزارته . وجرى ما جرى بمشورته
وأشارته . فأشار عليه بأن يسير رأس خاصبك الى الأميرين الكبيرين شمس
الدين آتابك ايلدكز ونصرة الدين خاصبك بن أقر سنقر صاحب مراغة .
وظن انه يجبهما اتلافه . ولا يسهما عصيان السلطان وخلانه . فلما وصل
اليهما الرأس هالتهما حالته . وأعيتهما في هذه المشرة أقالته . وقالا « لقد أقدم
على فتك عظيم بعظيم . ولقد الام الكريم بظفر لثيم . أما كان استوثق منه
بالمين . أما استمسك من وعده بالجليل المتين . وإذا كان هذا الملك الاكرم
ابن الملوك الاكرمين مجترأ على مثل هذه الجرائم . ومستصفاً لآلهة هذه
العظام . فقد عزى الزاء . وخاب الرجاء . وجل المصائب وعظم البلاء » فلما
عنه . ونال باللوم منه . وأرسل اليه « انك أخطأت . وزعمت انك أدبت .
وما شق قلب اليك . وان وثقتنا فانك بالمين التى حلفت بها له تحلف . ولنشل

الوعد الذي أخلفته معه تُخْلَفُ « فليس لنا بك المام . ولالك معنا كلام

ذكر ماجرى للسلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه وجاوسه

على سرير السلطنة

قال رحمه الله : كان لما خرج من مجلسه بقزوين . ووجد التمكن
والتمكن . خرج به مظفر الدين الب ارغو بن يرتقش البازدار الى زنجان .
وكانت فيه الاميرين شمس الدين ايلدكز ونصرة الدين صاحب مراغة وها
في أمره مترويان فلما نفرا من محمد وتذمرا وتذمرا سارا بمساكرهما الى
زنجان طالبين لخدمة السلطان سليمان وحملاه الى همدان . وأجل السلطان
محمد في شردمة يسيرة الى أصفهان . فاستقر سليمان على سرير الملك وكان
معه بالتكين خوارزمشاه وأخوه يوسف وأختها زوجة السلطان سليمان وهي
لامره . متولية . وعليه مستولية . وكان سليمان وزيرا شريفا خيرا . اذا سكر
وقع صريحا . ونام أسبوعا . كلما رفع رأسه لاذ بالقار . ثم لاث خمارا الخمار .
وكان يقلى لانه لا ياتي . ويشق عليهم انهم لا يسمعون به وهو يشقي .
وكذلك وزيره نحر الدين أبو طاهر ابن الوزير المعين أبي نصر أحمد بن
الفضل بن محمود القاشاني لا يصحو ساعة . ولا يحو عنه شناعة . وهو أشبه
بسلطانه . وكلاهما اليق بزمانه . فضجر الامرء الاكابر من المقام . وشرعوا في
الانفصال والانقسام . وعاد شمس الدين ايلدكز الى آذربيجان لتقصدا أراية
واتزاعها من يد روادى ابن عم ابن بلنكرى . وعزم نصرة الدين

آف ستر على العود الى ولايته ثم ان الامراء الباقين بعد رواح
شمس الدين ايلدكز قرروا مع نعمة الدين . وانتقلوا الى مرج قواكين
وخلوا السلطان مع خواصه بقصر همدان واجتمعت اراؤهم على قبض الوزير
وأرادوا اتباع ذلك بقبض خوارزمشاهيالتكين . والسلطان سليمان كان
حيث قد نكح زوجة أخيه بنت ملك الكرج ودخل بها وهو في عرس
وانس فجاءت اليه أخت خوارزمشاه زوجته وقالت له « ان لم تأخذ لنفسك
أخذت نفسك . وطال حبسك . ومضى غداً يومك . ورجع في التطبيق
عليك أمسك » فهرب ليلاً . معها ومع أخويها وترك خاتون الابخازية وقد بنى
عليها وأصبح الامراء وقد فقدوه . ونشدوه وما وجدوه . فتوات الساكر
الى ولاياتها . وغابت تلك الاسود الى غاباتها

﴿ ذكر رجوع السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه ﴾

﴿ الى مقر ملكه بهمدان بعد غيبة سليمان ﴾

قال : لما وصل السلطان محمد الى أصفهان . منجازا عن عمه سليمان .
كاتب الجواب . وراقب الاجانب . واتصل به الامير ايتاج صاحب الرى
فقويت يده وعرف انه الساكر القريبة لاقيم مع عمه . وانهم اذا انفصلوا
عنه كان عزمه مليا بهزمه . فوصلته البشرى بان عمه عام في بحر النيل ساجاً
وساح لمرض الفلاة بالافلات ماسحاً . فسر بما وعى . وسار وسمى .

وتلقاه أمراء الدولة مهشين . وبجدة جده . تهشين . وعاد الى قصره . وعادة نصره . وذلك في سنة ٥٤٨ هـ

﴿ ذكر ما اعتمده الامام المقتدى لامر الله بمد موت السلطان ﴾

﴿ مسعود محمد بن ملكشاه ﴾

قال رحمه الله: كانت السدة الشريفة الامامية قد منيت بجمور الاعاجم . ولم يزل عودها من عداوتهم تحت سن العاجم . وكان أهون ما عندهم خلاف الخليفة وعناده . وتمردم عليه بأن يحصل مرادهم لامراده ولم يزل بغداد مظلمة . مشحونة منهم بالشحن الظلمة . ولهم من الديوان العزيز مطالب لا يفي بها خواصه . ومغارم تلحقه منهم يتسر منها خلاصه . والحرم من جنائياتهم خائف . والشرف لمهابتهم عائف . وشريعة الشريعة مكدرة . والدماء والفروج مستباحة مهدرة . والخليفة ينضى ويفض . ولعيب ولا يُعْتَب . ويُقَدَّر عليه ولا يُقَدَّر . ويُغْدَر به وهو على المهدي لا يندر . فلما توفى السلطان مسعود قال ولا صبر على الضيم . بمد اليوم . ولا قوام مع هول هؤلاء القوم ، وآزره وزيره عون الدين بن هبيرة وأعاناه . وثبت جناته . وكان مسعود البلاى الخادم والى بغداد فقامت عليه قيامة . وتمذرت عايه الاقامة . فرحل الى الحلة . ومضى متحلاً في تدبير الامور المضحكة . وأقام يحشد ويحشر . ويطوي وينشر . وكان بالحلة السلار الكردي من اكابر امراء السلطان فلم يكثر بالخادم واسترسل اليه . وقصده

يسلم عليه . فاخذ الحادم وقتله وغرقه في القرات . وجمع الساكر وأقطع تلك الولايات . وفرق على فريقه الاقطاعات . فسار اليه ابن هيرة وهزمه وكسره ولحق البلالي بهمدان مستصرخا . وغدا عقد جمعه منسفا . وملك الخليفة المراق من أقصى الكوفة الى حلوان . ومن حد تكريت الى عبادان . واقطع واسط واعمالها . والبصرة وانهارها . وماقها وولاياتها . والحلة والكوفة ونهر الملك ونهر عيسى ودجيل والرافدان . وطريق خراسان الى نواحي حلوان . واقطع الوزير عون الدين ابن هيرة جميع ما كان لووزير السلطان وأرباب مناصبه في جميع هذه البلاد . وأعان على الاستعداد واصناف الاعداء بتضييف الاعداد . ونتمه بتاج الملوك فلما الجيوش

وكان الامام لما استخلف استخلف على انه لا يشترى ملوكا تركيا . وكان يقتنى مدة خلافته إما ارمينيا أو روميا . ولم يكن له من الاتراك الا ترك ملكه قبل الامامة فولاه الامارة على الامراء . واختص من ممالكة الروم والارمن عدة من النجباء . ساهم الخليفة . وولاهم الرتب العلية . وأحكم اسوار بغداد وحفر خندقها ورتب الولاة في الولايات وبث الميوز وأصحاب الاخبار . وبث الجواسيس الى جميع الامصار . واشتغل السلاطين بعضهم ببعض في تلك السنين . وأعطى الله الخليفة التأييد والتمكين . وكانت الخليفة قد سير قطب الدين المبادي في سنة ٤٤٦ هـ أو ٤٤٧ هـ رسولا الى محمد بن محمود بنخوزستان فتوفي هناك . وختمت به التصاحح الوعظية واظلمت مطالع العلم المضئية ولما عاد السلطان بعد هزبه عمه سليمان الى همدان راسل الخليفة وخطبه في الخطبة له فلما اجابه . وتجنبي عليه بقتل ابن بلنكري وعابه . وآباه

من ملك بغداد وخيب رجاءه . فحكّد اجتمع عند السلطان الامراء الذين
 حلت اقطاعاتهم ببغداد وقالوا « ارزاقنا قد أقطعت . واعراقنا قد قُلت .
 ودورنا قد أثرت وولاتنا عزلت . ولا بدم من مداواة هذا الداء قبل اعضاله .
 وتداركه قبل استفحاله » وكان السلطان محمد يرجع الى عقل ودين . وحلم
 ركين . ورأى رزين . فقال « لاتعجلوا فان مخالفة الخليفة شؤمٌ . وموالية
 محمود ومعاديه مذموم . وأنا استفتيح ان استفتح سلطنتي بمبادئه . ونية
 مناورته » فقالوا له « نحن نمضى ونقضى هذا الشغل . ونخفف عنك هذا
 الثقل . ونلقى بجمعنا الجوع . ونحصد بسيفنا الزرع » فقال لهم « كان رأيي
 ما ذكرته . وعرفتكم ما أنكرته . والآن فافعلوا ما رأيتموه . واعملوا ما نويتوه »
 فودعوه وركبوا . وجاء اليهم من وافقهم وذهبوا . وتجمعوا في جحافل حافلة .
 وعسكر في ذلال السوانج رافلة . وساقوا بين ايديهم التركان بيوتهم
 ومواشيهم . وأهاليهم وحواشيهم . وكان حصن تكريت قد بقى في يد مسعود
 البلاى وبه نائبه أسبه وحصره الخليفة مرارا فتنع ولم يفتح . فالتفت اليه
 وفي هذه القلعة ملكان من السلجقية معتقلان وهما ملكشاه بن سلجق بن
 محمد بن ملكشاه وارسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه فقالوا لمسعود
 البلاى « أحضر لنا الملك ارسلان بن طغرل ابن عم السلطان . ليشق بحضوره
 جموع الاجناد وحشود التركان » فاقطع عليهم بدره . ورفع جتره . ثم
 وصلوا الى نواحي المراق

ولما عرف الامام ذلك أمر فاصحرت أسده الحوادر من عريستها .
 وتبدلت خيش الوشيع من خيسها . وبرز في مظلتها . كأنه البدر في حالته .
 ونور النبوة يشرق من جبينه . والقضيب النبوى يورق بالنصر في يمينه .

والبردة الموروثة فوق رداءه . والقدر بالقدرة على اعدائه . لمجي نداءه .
فسار في موكبه الشريف وعلى مقدمته وزيره عون الدين بن هبيرة في أسود
استلأمت من الدروع بأهب أسود . وفي سحائب قسطل من المناصب
والصواهل بوارق ورواعد . وفي الميمنة والميسرة امراء ومقدمون من
عظماء العسكر كناصر الدين منكوبرس وأمير واسط مظفر الدين قتلغ برس
وكلاهما من المسترشدية . وحامياً الخوذة المقتضية . وغر الدين قويدان ومنكابه
العباسي وبهاء الدين صندل والامراء المصطفون المصطنعون . والحماة الكماة
المدرعون المقتنون . وخيم الخليفة على مرحلتين من بغداد في موضع يعرف
ببيجمرًا وأقام دون شهر ينتظر منهم البداية . ويستبعد من غوايتهم الهداية
ولما تراحم المجران . وتراحم الجران . تجرأ العدى بينهم وغيرهم على
الاقترحام . وحسروا عن أقدام الاقدام . وقالوا ان القوم بناطقة . ماتحموا
من توسيع بمدة الاقامة اضاعة . فقد عززت الافوات وعدم العلف . ووجد
التلف . وجهلوا ان الامام متبع حكم الشرع . في قتال أهل البغي عند صياهم
بالدفع . فركبوا وما رقبوا . وبرزوا وجلبوا . فركب امير المؤمنين في
مهاجريه وأنصاره . ووقف في القلب منهم بين اسماعه وأنصاره . وقدم وزيره
ابن هبيرة امامه . وسير معه اعلامه . وأمر الامراء ان يكونوا معه قدامه .
فاقرت ليالي الرايات السود بوجوه رافسيا البيض . واشرقت ايامن الايام
الامامية بنوره المستفيض . وشرع برق الحديد اللامع على حواشي بوارق
البوارق في الوميض . واولئك قد ساقوا دواب التركان وماشيتها وأغنامها .
وقدموها بين يدي صفوفها قدامها . وكانت آلافا كثيرة الاعداد . كثيفة
السواد . ومن ورائها الوفاة الكماة . ذوو الحمية الحماة . وقد اخذت هذه

المواثي طول الارض وعرضها . ومنعت بتراصها تقويض صفوفها ونقضها
 فنزل الامير نحر الدين قويدان قائد الجنود وقبل الارض للخليفة وطلب
 بلاد الحلة . واقتدى به ناصر الدين منكوبرس في طلب البصرة . فانهم بهما
 عليهما . فتأهبا للقاء . وتلهبا على الهيجاء . وحمل الوزير ومن معه فلم يجدوا
 في تلك النقاد للآساد طريقاً . وصادفوا في ذلك القضاء الواسع للانعام
 المحشورة اليه مضيقاً . وكان ترشك مملوك الخليفة للمخالقين مخالفاً . وفي
 المينة واقفاً . فحملت ميمتهم على ميسرة الخليفة وفيها مهمل ابن أبي
 عسكر والاكرد فلهلت نسجها . وحلحت برجها . وعادت صفوة
 صفوف الاكراد اكداراً . وأجفلوا كالظلمان هزيمة وفراراً . ودخل ترشك
 بين اطناب السراقد الشريفة فطن برمح ظهير الدين بن القيق المرتب
 في المخزن فقتله وركضت ميمتهم خلف المهزمين فلم يرحجوا . ومروا
 وراءهم ومرجوا . وأما المينة الميمونة الامامية فاتها حملت وفيها ناصر الدين
 منكوبرس ونحر الدين قويدان ونفذت الى القوم وقوضت ماقبله من البنيان
 المرصوص . وحكمت بنصر الحق المنصوص عليه على الباطل المنقوص . فلم
 ير غير رأس سائر ورأس طائر . وريح يتشظى . وصارم يتلظى . وتبدد شل
 آمال الاعادي وتفرقوا عابدين . وأخلفهم الشيطان ما كان منام من مواعيد
 وطاروا على خيولهم كأنما استمارت من قوائمها قوادم . وتركوا بتلك المغاني
 من أغنام التركان مغانم . وخبت البشري الى بغداد بالنصر . بعقب ارجاف
 الاجلاف المهزمين بالكسر

ووقف بعد الهزيمة مسعود البلالي في قلبه ناهتاً قلبه . راجياً ان يثوب
 اليه حظه . فهب اليه ابن هيرة فبره . وبرى أجزاء صنه وجز وبره . وانتهز

الفرصة الأمير سنقر الحمداني فاهرد بالملك ارسلان بن طغرل وسار به
وأخفى مسيره في مضائق كل وادى ومساربه . حتى وصل به الى شمس
الدين ايلدكز زوج أمه وكانما أنزل به الفنى بسد عذمه . وأما الخليفة فانه
سجد لله شكراً . وانشرح بالنصر صدراً . ودخل الى بغداد منصور الاواء .
مصحوباً باملاك السماء . ولما تمت على أولئك القوم في أملهم الحية . تملكهم من
جانب أمير المؤمنين الهيبه . ونكصوا على أعقابهم عاثرين بذيل الحجل . عابرين
على سبيل الوجل . فلما رجوا الى السلطان محمد بن محمود ندمهم . وعاتبهم على
الملك الذي نذ منهم . وقال « كسرتما ناه وسكمتما نفوسكم . وأهلكتم التركان
وعرضتم للسبي الذرارى منهم والنسوان . ثم أخرجتم الملك ارسلان وغلقتم
عن حفظه . وهو الآن عند ايلدكز وستبصرون ما يفضى اليه الامر . ولا
بد ان يتوجه الي من جانبه الشر . وقد صار الخليفة خصماً فلا يخلص بمد هذا
ورد دولتنا معه من الشوب . ولا يقبل على قبول التوبة ولا يرتضى صواباً
ارضاء هذا الصوب » وكان كما حسب فان الخليفة لم يفر للسلجقية بعدها
ذنبا . ولا فرغ لهم من جهته قلباً . وكانت الوقعة يجمراً في أواخر سنة ٥٤٩ هـ



فذكر وصول السلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه الى بغداد ﴿

﴿ وقبول الخليفة له وتجهيز الجيش معه وذلك في سنة ٥٥٠ هـ ﴿



قال رحمه الله: كان سليمان قد تخلى عن الملك وأخلى سريرته . ووافق
ادباره تدبيره . يدور في البلاد ويسلي بالدوائر . ويجمع مع المنجد وينور مع
النائر . لا يستقر به قرار . ولا تؤويه دار . ولا يجيره جار . فلم ير لامره وأمنه
حاميا غير حمي أمير المؤمنين . فقصد ان يلق من عصمته الجبل المتين . قال
و كنت حيثئذ ببغداد فوصل الخبر بان سليمان قد دنا ودان فقابلوا به فور
القبول وفوده . وأكرموا وروده . ولو وفوه حق السلطنة لتلقاه الوزير ومعه
قاضى القضاة والنقيان . وأجلاء الخدم كما جرت عادة السلطان . لكنهم
اقتصروا في تلقيه على موكب شريف يقدمه عز الدين محمد
ابن الوزير ومعه مخلص الدين ابن الكيا الهراسي وخادمان ووقف
الموقف خارج البلد حتى قرب ثم لقيه ابن الوزير وخاطبه بكل
ما طربه وأعجبه . وقال « أمير المؤمنين صلوات الله عليه يسلم عليك
ويهدي تحية اليك » وترجم ابن الكيا الهراسي له هذا السلام بالفارسية .
فنزل سليمان عن فرسه وقبل الارض ثم ركب ودخل البلد وخرق الاسواق
من باب سور الحلبة . الى أن جاوز فريضة لرجة . وحين وصل الى باب النوبية
أنزلوه وألزموه بتبديل المتبة وقد أكرموه . وهناك حجز اذا وصل الرسل
ومقدمو الحاج نزلوا عنده ولثموه وعظموه . ورافق تلك المتبة قبل سليمان

سلطان سلجق . ولا ملك ديلمى . وكان منهم شقى وسعيد
ثم أركبوه وخرقوا به السوق حتى عبروا به باب سور السلطان وأزروه
بدار السلطنة ووظفوا له الرواتب ورتبوا له الوظائف وشرفوه وسودروه
وطوقوه وخطبوا له على المنابر فى الجمع والجوامع . وخصوصه بالمعروف والصنائع
النصائح . لكنهم لم ينفثوه الا بالمعظم ولم يسموه بالسلطنة ولم يسموه . وكانوا
يقتصرون به على المعظم وذلك غاية أن يعظموه . لكنه كان فى قد عقله من
غفلته . وعى لهجة من غى جهلته . وفى كسرة من سكرته . وفى ذلة من لذته .
فما زال مدة مقامه مستحلاً لمحامره شهواته . مستحلياً مذاق اللغو فى لهواته .
مترنماً بنبأته . متبهاً بخرافاته . والخليفة مع ذلك فى ولائه معتقد ولوائه عاقد .
متيقظ لتدبير مصالحه وهو عنها راقد . وقد اوعز الى عساكره بالتأهب
للمسير فى خدمته . واعادته الى عادته فى سلطنته . واستوزر له شرف الدين
الخراساني وكان رجلاً كبيراً يرجع الى سودد وكرم محبته . وكان قد وصل الى
بنداد فى عهد السلطان سنجر رسولا وأعاد البردة والقضيبة النبوين معه الى
دار الخلافة وكانا قد أخذوا فى التوبة للسترشدية

وأقام شرف الدين هذا فى الظل الامامى وهو مخصوص بالاحترام فرأى
المقننى ان يجعله وزير سليمان . وشيره الى آذربيجان . وجهرت معه عساكر وافية
العدد . وافرة المدد . ففضوا به الى أراية ثقة بآتابك اليدكر فافزع بهم رأساً .
ولا قراهم ايناساً . ووصل السلطان محمد بن محمود وجرى المصاف . ووقع بين
الفرقتين الانتصاف . ثم انهزم سليمان مولياً . وعن عسكر الخليفة متخلياً . فغادت
المساكر الى بنداد عادمة للظفر . نادمة على السفر . ورجع سليمان عائداً الى
بنداد فى طريق الدربند القرايلى فصبحه زين الدين على كوجك من الموصل .

وقبضه في المضيق وحمله الى قلعة الموصل . واعتقله وأراحه من التعب . وابعاه
ما كان يؤثره من اللعب . وكان ذلك في شعبان سنة ٥٥١

ذكر اتصال الملك جفري شاه بن محمود باخيه السلطان محمد

قال رحمه الله : كان الملك جفري شاه مع آتابك اياز في آذربيجان .
فشغل خواطر الاميرين ايلدكز وارسلان آبه صاحبي آذربيجان عند اتصالهما
بالسلطان سليمان . بعد انهزام محمد الى اسفهان . فلما عاد محمد الى السلطنة سير
شرف الدين كردبازو لاصلاحهم والصلح بينهم . فوصل والحرب قائمة على
ساقها . آخذة من الارواح باطواقها . فأصلح ذات اليمين . وعاد قرير العين
وقد تسلم جفري شاه . وملاً بمحمد ومدحه القلوب والافواه . وجمع شمل
السلطان باخيه وعاد آتابك اياز الى ولايته . وكانت رعيته آمنين في كف عنايته .
واقسم شمس الدين ايلدكز ونصرة الدين ارسلان آبه بلاد آذربيجان وأفرجا
عن أردبيل للامير آغوش . وأعادوا من رسوم العدل النقوش . واجتمع
السلطان محمد باخيه جفري . والاخوة تحمله على الشفقة والملك به يذرى .
قال : وكنت في ذلك العهد سنة ٥٤٩ بهمدان وقد عدت من الحج
صحبة جمال الدين محمود بن عبد اللطيف الخجندی فشاهدت السلطان قد أنس
بأخيه وسر به . وامتزج به في مطعمه ومشربه . ولاطفه بمطقه . وعطف عليه
بلطفه . ثم امر باعتقاله ووكّل به الامير عز الدين ستماز بن قاعاز الحرامى

يرصده ليلا ونهارا . ويرعاه سرا وجهارا . وما زال الامر على ذلك حتى
فارقنا المسكر . فما أدري اين أقبل به القضاء بعد ما أدبر . ومن حين نقل
، اسمع له خبر . ولا رثي له اثر . فكأنما سل طين السلاطين من جفن الجفاء
وجبات جبلتهم على الاغتيال والاغواء . فالرحم عندهم . مقطوعة . والرحمة
ممنوعة . والدزة في خدمتهم بالذل . شفوعة . والاغترار بهم غرر . وصفوهم
كدر . يقسمون ويحشون . ويرمون وينكثون

ذكر حوادث جرت في تلك السنين

قال : في سنة ٥٤٨هـ استولى الفز على السلطان سنجر وكانت حادثة هائلة
وسندكر أيام سنجر عند وفاته . وفي هذه السنة استولى القرنج على عسقلان
وفي هذه السنة قتل المادل ابن السلار سلطان مصر قتله ابن امرأته .
وفي هذه السنة توفي ابن منير الشاعر بحلب في جمادى الآخرة . وتوفي
ابن القيسراني الشاعر بدمشق في الحادى والعشرين من شعبان . وتوفي ابو
الفتح بن الصلاح الفيلسوف البغدادى بدمشق في الخامس والعشرين منه
وفي سنة ٥٤٩هـ توفي تمر تاش صاحب ماردين في أول المحرم . وفتح نور الدين
محمود بن زنكي دمشق يوم الاحد ثالث صفر سنة ٥٤٩هـ . وقتل الظافر متولي
مصر ليلة الخميس لانسلاخ صفر

قال : وفي هذه السنة توفيت حليمة السلطان محمد بن محمود بنت السلطان

مسعود فجلس للعزاء . واهتري در البكاء . وكنت حاضراً في زمرة العلماء .
ووصل الى خدمته آتاهك اليذكر في عاكر آذربيجان والامير شير بن آق
سنقر بعسكر أخيه وأقاما عنده على همدان ثم استأذنوا في السوء وعادوا .
وزادهم السلطان حرمة وقوة فزادوا . ووصل رسول ملك كرمان فاكرم .
وأحضر حملاً فقدم . وسير جمال الدين ابن الجندى مع الرسول رسولاً الى
كرمان . ليخطب بنت الملك للسلطان .

قال : فعدت معه الى اصفهان فسامني السفر معه في تلك السفارة .
فرايت الريح فيه عين الحسارة . فتأخرت وتقدم . واجمعت فأقدم .
وأقت فظعن . وأسهمت فاحزن . فالتى عند مسيره الى كرمان سرت
على طريق خوزستان الى بندگان وجئت الى عسكر . مكثت في شوال
سنة ٥٤٩هـ . والمالك ملكشاه بن محمود مالكا . وقد امنت به بمالكا
ومسالكا . ولقيت رئيس الدين محمد بن القاضي أبي بكر الارجاني وهو في
نيابة القضاء . موفور الحرمة في العلماء . فذكر لي ان والده توفي سنة ٥٤٤هـ
وأعطاني مسودات من أشعار والده . فتزهدت في رياض فوائده . ثم
ارتحلت الى بندگان بعد وصول الخبر بنصرة الخليفة في حرب بجزا وظفروه .
وكنت مع والدي فحرضته البشرى على سفره .

قال : وشقي السلطان محمد بن محمود في هذه السنة بساوه واستعجز
جلال الدين بن القوام وزيره . واستقصر تديره . واستقصى من فارس تاج
الدين الدارستي ليستوزره فوصل تاج الدين الى اصفهان وأقام مدة فبرد أمره
وخمد جرحه . واستبأ السلطان سيره . واستوزر غيره .



ذكر وزارة شمس الدين أبي النجيب الدرگزني

قال : قيل للسلطان انه وزير عمك . وظهير عزمك . وقد سبقت له خدم
وثبت له في القدم قدم . فنصبه في المنصب . ورتبه في أعلى الرتب . واستند
وتصدر . وأورد وأصدر . وخطب الامراء الذين استأثروا بالبلاد ان ينزل
كل منهم عن شيء مما في يده ليكثر الخواص السلطانية . واستضاف بلاداً
عامرة الى النواحي الديوانية . فتوفر الاستظهار وظهر التوفير . وأثمر الرجاء
ورجي التشير . وقال للسلطان قد اتسقت الاحوال . واتسعت الاموال .
وقد فرغ البال لشغل بنداذا فاسترجع حقلك المنصوب . ولا تترك نجحك
المطلوب . فاتها دار ملكك . ومقر أبيك وجدك . وأنت اذا مضيت
بنفسك فما يقف قدامك أحد ولا يكون معك لاحد يد فلما خضر الربيع
مائثته . ووفر فائده . وأحسن عائده . عاد السلطان الي همدان وذلك في
سنة ٥٥٠ ورحل على سمت بنداذا ورحل عدة مراحل . ونزل في قصدها
منازل . ثم بدا له فماد لان الامراء الذين سبقت منهم المواعدة على المعاودة
اخذوا المدة . ولم يطاوعه المسكر على مفارقة البيوت والاقطاعات . عند
ادراك الثلاث . فانصرف راجعاً وتوجه الى آذربيجان . وتم المصاف الذي
نصر فيه على عمه سليمان . ثم عاد الى مقر ملكه وفي قلبه من أمر بنداذا هم شاغل .
في صميم روحه واغل . وعلم ان الجند لا يفارق بلاده في الصيف . فانه لا يجمع بين
حر بنداذا وحر السيف . فواعدهم الى الخريف . وأمنهم من الفرار الخيف .
واشتغل بالاستعداد والاستعداد . والاجتهاد في الاحتشاد . وتجهيز الكتب

الى مجزى الكتاب . وتبريز المضارب وتميز الطلائع والمقارب . فارتحل لما
انقضى الصيف . وأقبل الحريف .

ذكر وصول السلطان محمد الى محاصرة بنداذ وما اعتمده

﴿ أمير المؤمنين المتقي لامر الله من حسن الصبر المعقب ﴾

﴿ حميد الظفر والنصر ﴾

قال رحمه الله وصل الخبر الى بنداذ في ذى القعدة سنة ٥٥١هـ بأن
السلطان محمد قد قرب في عسكر هائل . وعمرهم صائل . وهو
بمنزل « قصر قضاة » فصدق اهتمام الخليفة بالاحتراز والاحتراس .
واجد لباس الجند لباس . وبالف في تحصيل المدد . وتحصين البلد .
وأدار بالمنجنقات سورا على السور . وملاً أبراجه بالحجارة المساعير .
وخرج الوزير ابن هبيرة وخيم تحت التاج الشريف عند المشنة على شاطئ
دجلة بحيث يطل الخليفة من المشنة على خيمة وزيره . ويقرب الاستئثار في
دقيق الامر وجليه وقليله وكثيره . وفتح باب الكرم المرتجى المرتج . وثبت
قلب الاسلام الخائف المرتج . وأعد المدد الخاصة والحرجية . واستخدم
المنجنقية والحرجية . وكان من حزم الخليفة انه مذ توفى السلطان مسعود
ونفى مسعود الخادم البلالي من بنداذ أو عز باعداد الذخائر وإدخال المدد
والاستظهار بشغل صناع السلاح وكانت حجارة المنجنق معوزة . فأحضر
منها في السفن ألوقا صارت محرزة . وأمر ببناء المراكب المقاتلة والسفن

فرعن في دجلة راسيات كالرعن . وعبر محمد شاه دجلة الى الجانب الغربي من
أعلى بغداد على بعد منها بمجموعه . وراع كل قلب بصدوعه . وكان قد واعد زين
الدين على كوجك فوصل بمسكر الموصل يوم الميعاد في وفور من العدد
والاعداد . وأطلوا من الجانب الغربي على بغداد وكدروا المشارب . ووفروا
المصائب . ثم بكروا وأشرفوا . وبالقوا في التو وأسرفوا . ووقفوا بأزاء
التاج الشريف وشروعوا في السبع . جارين على سوء الطبع . ونبتت من
معا جس قسيهم غروب النبع . وجرحوا من النظارة جماعة أحسنوا بهم
الظنون . وأمنوا منهم المنون . وقابلوا القرض بالرفض . وقاتلوا الله تعالى
بقتال خليفته في الارض . ونزلوا على بعد من بغداد حتى تألفت الوهم .
والتف لقيهم . وسيروا الى الحلة والكوفة وواسط والبصرة ولالة ومقطعين .
وشحناً ومتصرفين . وفي كل يوم يسير الخليفة في دجلة مراكب . مملوءة
بمقارب . فيها المجانيق الخفاف . والرادات اللطاف . والرماة الكماء . والجرخية
الكفاة . فيحاذون المسكر المحمدي في دجلة ويرمونهم . ويشوونهم ويصمونهم
حتى رأى السلطان محمد التنقل الى حوالى سور بغداد فجاء ونزل على الصراة بدار
يرتقى الزكوى وعبر أمراء الكبار الى الجانب الشرقى مثل آتابك نياز وعز الدين
ستاز . ومن يجرى مجراها من ذوى الاعتزاز وبقي على كوجك بالمسكر الموصل
في الجانب الغربي والسلطان معه وهو يدير في دجلة الى دار السلطنة في جانب
بغداد كل وقت ويعود . والبيض قد هجرتها النمود . والمقول قد انحلت منها
المقود . وتبرز خيل بغداد في كل يوم منها من يأتي سور السلطان والظفرية
ويقفون خلف الباشورة المبنية . للحملة على من يكون منهم في الجاليشية فهم
يخزجون . ويخرجون ويخرجون . فيأمر لهم الخليفة بالمعطاء . على قدر البلاء .

وكان لكل جراحة على مقدارها عطاء . ولكل عمل مبرور جزاء . فتوفرت
دواعي العوام على التهافت في نار الحرب تهافت القراش في النار . للفوز عند
الدود بالدين والدينار . فقامت الحرب على بغداد بالساء والصباح . والغدو
والرواح . وطالت مدة الحصار . ولم يؤثر في الاسعار . وما عجز غير اللحم . ولا عجز
الملح . والامل مقترب النجج . وخسران الخضم دليل الربح . وكانوا قد نصبوا
من الجانب الذي من دجلة على مسناة دار العميد وبقرب القمرية منجنيقين
عظييين وهموا بنصب منجنيق آخر على الخان الذي بناه سرخك مقابل التاج .
ولو تم ذلك لأعضل داء الازعاج . فعين الخليفة ليلا رجالا أتوا بانيانه من
القواعد . وكان لوقوعه سحرا رجفات كأصوات الرواعد . وكانت السفن
المتردة في دجلة برماة الجروح والنشاب والقوارير المحرقة . والنفطات
المزقة . قد آذنتهم وآذنتهم بعجزهم . وعزت بازهاقمهم . فأزهقت روح
عزمهم . وما كانت لهم مراكب الا عدة يسيرة يسخرون ملاحيا . ويخبرون
مالكها . ثم لا يشقون بالركوب معهم فيها فخاروا وخاروا . وتشاوروا
واستشاروا . فقال لهم بدر بن المظفر بن حماد صاحب الغراف . وكان قد
جاهر الخليفة بالخلاف . أنا أكيفكم بسفن مقاتلة . وأغنيكم بمراكب حاملة
وجواري منشآت . وزوارق وشفارات . من بلد واسط والبطائح . من
الداني والنازح . فخذوه وشكروه ومضى وأقاموا ينتظرونه حتى وصل
بالسفن الخفاف والتمثال . والملاحين والرجال . فامتنع عليهم عبورها في
البلد اليهم ورتب الخليفة الرجال في المراكب للقائهم . واحرقها بالنار وارداها .
ولما شق عليهم ذلك ردوها الى نهر عيسى بعد ان مدوها الى القررات .
وأخرجوها فوق بغداد في الصراة . وتكاملت مدة شهرين في ذلك . ثم

بدأوا بعقد جسر على دجلة فوق دار السلطان من تلك الرواريق . واتّسمت طريقهم في العبور بالتعريب والتشريق . وضائقوا في الحصر من الجانبين . وشدّدوا في منع الميرة وقطع الاقوات بمجدع الانوف وقطع اليدين . ووصل اليهم من الخلة اسراء بنى أسد ورجالها . وقتلوا بها وابطالها . وقالوا هذه بغداد من جانب دجلة ما عليها سور . وتوايكم في هجمها قصور وقتور . فسلموا اليها المراكب لهجمها . وما اسهل علينا ان نفتحها . واذن لهم السلطان في الزحف فركبوا المراكب مستلّمين معلّمين . وعبروا الى المدينة على الموت مقدمين . ولما وصلوا الى قرب السور خرجوا من السفن شاكين . فخرج اليهم من الباب من ممالك الخليفة من طاردهم وجالدهم . وهم مع ذلك يمدّون من الشاطئ . ويوسعون الى الموت خطوة المصيب غير الخاطئ . ثم كثر عليهم رجال بغداد كثرة حصلوا منها تحت العسر . وفي قبض الاسر . وتظافروا الى السفن ففرقوا كثرا . وانخسف بهم موقرها . وقبض الامير حسن المضطرب وأخوه ماضى وعدة وافرة من معروفي بنى اسد . وعدم كثير ممن غرق أو قتل أو فقد . وأمر الخليفة تلك الليلة بصلب حسن وأخيه على دقل زورق . واصبح الباقيون على السور مابين مصلوب مشنق . ومقتول معلق . ففتح الله لخليفته من المهابة لاوليائه . والمهابة لاعدائه . كل باب مغلق . وسقط في أيديهم . بعد ما بسط من تقديم . ولما طال الحصار . وتمادى الانتصار . خاف الخليفة الفناء . ففتح الاهراء . واقتصر للاجناد في الاعطيات . على تفريق الغور فيهم والنلات . وأخذوها واحتاجوا الى اثمنائها في النفقات . فرموها في الاسواق وباعوها بالدينار . فحمد بذلك استعمار نارا الاسعار . ومازاد سعر في الاقوات

ولا غلام مطوم في وقت من الاوقات

وفي صفر سنة ٥٥٧ وصلت قافلة الحج فوجدوا دار الخليفة محصورة .
والهم من الخارجين على خلاف تعذيبها مقصورة . ونزلوا في المعسكر
السلطاني ثم تفرقوا الى بلادهم . ورحلوا طالي أغوارهم وأنجادهم . ومن كان
من بغداد تحيل في الدخول الى منزله . والوصول الى منزله . وبغداد
حيث خلق من التجار يريدون بل يؤثرون مرافقة الحاج . ويقولون متى
أخذوا البلد نهبوا بضائعنا . واستخرجوا ودائعنا . فخصروا التاج وأكثروا
الضجاج . وحاولوا من ضيقهم الافراج . فقال لهم الوزير أمير المؤمنين
يقول لكم أنتم في حرم احساني . وفي ضمان أمانى . ولكم بى اسوة وهذه
النوبة . مالكم انبوة . وأموالكم في البلد مصونة . وبأسباب الرعاية منامضونة .
واذا خرجتم وضعتوها على طرق الطوارق . وتعرضت لكم دون السفر عوائد
الحدثان في البوائق . فاصبروا فان الصبر محمود المواقب . والله لنا كفيل بفل
ناب النوائب . فضجوا حتى أضجروا . وزجروا فما انزعجوا . فوكلوا الى أرلهم
القائلة وآراهم الحائلة . فاستبقوا الباب . وما استبقوا الالباب . فخرجوا وأحرزوا
تلك البضائع فى الدار السلطانية . ولم يقدموا مع تلك القتن على السفارة
الهمذانية . فما مضت عليهم الا أيام قلائل . حتى غالتهم غوائل . فهبوا وسلبوا
وأصبحوا فقراء . وهذه سنة الله فى الاغنياء . اذ كانوا أغنياء . وسندكر سبب
ذلك ان شاء الله . قال وأما المعسكر النازل فان السلطان رأى مرسله الخليفة
بالاستطاف والاستعطاء . والاستغفار والاستغناء . وكان فى صحبته من العلماء
صدر الدين محمد بن عبد اللطيف الحنبدى وشمس الدين أحمد شاذى النزوى
فأرسل كلا منهما على حدة فلم يمكننا من الوصول . وقيل لامطعم فى نيج

السؤال بالرسول . فانكم لو اردتم الاجمال . تقدمتم الارسال . والآن ان
استرجعتم . ورجعتم ورأى الورى منكم الندم على ما فعلتم . فهناك نسمع
الرسائل . وتقبل الوسائل . فقطت القوم من قبول الرسالة وشرعوا في
الشروع عادوا الى العدوان ولجوا في المصيان والطغيان . وتخريب العمران .
وانخرقت مهايتهم عند أهل بغداد . فطلبوا بكل نوع عليهم الاستحواذ . فصاروا
يكسبونهم في الضياع . وينافسونهم^(١) بالقراع . ويقطعون الطرق على علاقاتهم .
ويوجدون السبل الى تكثير مخافتهم . وكانت الاكلاك واصلة من الموصل
اليهم بالميرة . والاقوات الكثيرة . فتلقوها في دجلة فأخذوها . وعبروها
عليهم وعجزوا ان يتخذوها . وامتنع أهل الموصل بعد ذلك عن تسير
الاكلاك فما أخذوها . وكان وزير الخليفة منذ وصل محمد للمحاصرة
واصل مكاتبة آتابك شمس الدين ايلدكز وحشه على الحركة مع أحد
الملكين ملكشاه أو ارسلان شاه الى همدان فوصلهم الخبر بأن ملكشاه
هجم على البلاد . واستولى على الطراف والتلاد . واقطع الاقطاعات
وحوي الغلات . ورفع الارتفاعات . ققت ذلك في عضد المسكر وتضعف
ثباتهم بهذا الخبر . وحمي أيضاً عليهم الحر . واشتمل البر والبحر . فاجتمع
عند السلطان الحواجكية والامراء . والامائل والكبراء . وكان الوزير شمس
الدين ابو النجيب الاجم الدر كزبنى والمستوفى رضى الدين أبو سعد الحوافي
ونائب الاستيفاء جمال الدين ابو الريان ومن الامراء آتابك أياز وعز الدين
ستماز وشرف الدين كريد بازو ومسعود البلال وظاهرهم على الرأي زين الدين
علي كوجك الموصلى وقالوا نريد باجمننا الى الجانب بالشرقي ونصدقهم القتال .

(١) غاصه أي قالجأه وأخذ على غرة اه محيط للغير وذابادي

ونديم عليهم النزال . فان تيسر الفتح . فقد سفر النجح . وان تعذر . وتسر تفرقنا على . واعدة المعاودة من قابل . وحصلنا من ادراك الطوائل على طائل . ثم عمدوا الى الجسر الذى لهم فاحكموه . وتجاسروا على الحكم الذى اعتمدوه . وأصبح المسكر فى يوم الاربعاء من شهر ربيع الاول وقد أخذ عدته . ولبس شكته . وركب خيله . وسحب من السوانج على السوابق ذيله . وشرعوا فى العبور على الجسر مزدحمين . وعلى المنور بالمنية مفتحين . واتفق فى ذلك اليوم هبوب ريح عاصف . وتوَجَّح بحر من الهواء قاصف . وتلاطت الامواج . وتراحت الافواج . وثقل الجسر وانقطع . وهم المسكر ان يرجع . فلم يجد طريقاً للرجوع . وخاف من على الجسر من الوقوع . فعدوا ايديهم الى الدبابيس . فاضطربوا واضطربوا الى التكنيس والتكنيس . ولم يشعر من ورائهم بالامر . ولم يطلدوا على انكسار الجسر وانخرعوا لما هالهم . وحسبوا ان خطبا غالم . فهايموا وما فهموا . وهموا بما وهموا . وركب السلطان عند اشتباه الخطب . واتجاه الجبط . وشط نازلا ونزل الى الشط . فقبل لزين الدين على كوجك ان السلطان قد ركب . وان المسكر قد اضطرب . وانه قد عبر الى الدار . وحصل على الاستشمار . فركب أيضاً فى العسكر الموصل على سبيل الاستظهار . ولما شاهد أهل بغداد اختلافهم واختلاطهم . واختلاطهم واختلاطهم . فتحوا أبواب البلد . وهتفوا بآرباب الجلد . ونادوا بشعار أمير المؤمنين ونصره . وزحف العالم فى بره وبحره . وجذفت السفن الخفاف بمن خف من الرجال . وهجم الحق على الباطل بالابطال . والقوم مشغولون بانفسهم . حاثرون لما عراهم من تمكسهم . ومن حصل منهم فى الجانب الشرقى . لا طريق له الى الجانب الغربى . فتعجم البغداديون على الدار

السلطانية وأجلوهم عنها . وأبدوهم منها . ودخلوها ونهبوا ما فيها من الاوال
المودعة . والاثقال الجمجمة . وعاثوا في بضائع التجار وودائع السفر . ولما لم يبق في
الدار شيء . قلمت أبوابها . وقطعت اسبابها . وانصرف القوم هائنين . خائنين
سادمين . نادمين . وشغلوا عن أعمالهم . وشغلوا باشغالهم . ووقفوا على
صهوات الخيل . الى دخول الليل . ثم سرروا وأدجلوا . وعرجوا الى تلك المساكن
ولم يُعرجوا . وسار من بالجانب الذري . من عساكر همدان وأذربيجان مع عسكر
الموصل للضرورة . ودفعوا الى ما لم يقدروه ولم يخطر لهم من الاخطار المقدورة .
وأصبحت بغداد وقد أتاها الله بالفرج . وقرن بهاءه بالبهج . وأحكم حكم نصرها
من الطائفة بالبحج . وأنجي أهلها في سفينة الكينة من طوفان الفتن المتلاطمة
اللاجج . وغيض الماء وقضى الامر . ونصر الحق وحق النصر . وكف المقتني
عن اقتفاء المتكفين . وستر على المستترين منهم في الحال والمخفين . وانتشرت
عساكر أمير المؤمنين في البلاد . واستبشرت بالنصر المعتاد . وعرفت الاعاجم
انه لا مطمع بعدها في بغداد . قال : وكنت حينئذ ببغداد . وجبرت قصائد في
هناء الامام واستخدمني الوزير عون الدين تلك السنة في النيابة عنه بواسط
ففتلني من المدرسة الى العمل . وعطاني عن الاشتغال بالعلم وظن انه
حلائي بشغله من المظل .



ذكر وفاة السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن

داود بن ميكائيل بن سلجق وشرح نبذ من

(أحواله من ابتداء عمره الى خاتمة أمره)

قال رحمه الله : توفي سنجر يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الاول سنة ٥٥٧ بعد خلاصه من أيدي النز وكان ولده بظاهر سنجار يوم الجمعة الخامس بقين من رجب سنة ٤٧١ وولاه أخوه بركيارق بلاد خراسان سنة ٤٩٠

ذكر السبب في ذلك

قال : كانت بلاد خراسان في أيام ملكشاه ساكنة بالممالك . آمنة المسالك . مشحونة الاطراف بالشحن . مسكونة الاكناف بالسكن . ووطنه الديار بالابرار . داره المواطن بالمبار ونظام الملك بنظام الملك . مستتب مستدق . ونائله لذوى الفضل مستكف ولذوى الجمل مستكف . وما بخراسان رأسان . وما تسلط بها سلطانان . فلما استشهد النظام . وأباح ^{شاه}حي ملك ملكشاه الحمام . انفسخت تلك المقود . وانتسخت تلك اليهود . واستشرى الشر . واستشرى الضر . واستولى كل صغير على كبير . وكل مأمور على أمير . وكان

للسلطان . لمكشاه أخ يقال له ارسلان ارغون وكان مقطعا بمبلغ سبعة آلاف
 دينار في نواحي همدان وساوّه فقيل له الي كم تلزم مرارة العطلة والقناعة .
 وتهجر حلية الملك والحلاوة . وحركوا ساكنه . وبعثوه على شغل أخلى عنه
 مساكنه . فنزل عن قراء القرار . وركب مطا المطار . واشتد بطل الطالب .
 وشد لبب الخلب . وجاء الي نيسابور فما تمكن منها . ودفعه أهلها عنها .
 فصعد مروءة مرو . وقال أملكها ولا غرو . فانقاد لامره الامير قودن
 شحنتها . وجمعت تحت مكنته أمكنتها . فقوى ارسلان ارغون بقودن . فانه
 وجد الجواد وعدم الكودن . واستولي على بلخ وترمد وصفت له خراسان .
 وحيزت بلدانه البلدان . وكتب الي ابن أخيه السلطان بركيارق « اني قد ملكت
 موضع جنري بك داود جدي . بجدي وجدى . وقد رضيت به رضا
 قانع . وأنا فيما سواه غير طامع ولا منازع . وأنا باذل لما تطالبون . وحامل
 لما فيه ترغبون » فرأى بركيارق انه بالعراق في شغل شاغل . وهم زائد غير
 زائل . فأمسك عنه . وأظهر انه قبل منه . ثم بداله وأثر قتاله وكان عنده
 عمه الآخر بوري برس بن الب ارسلان فأنهضه لقتال أخيه وضم اليه مسعود
 ابن ماجر وأمير آخر التوتناش . واجتمعت عليه عساكر خراسان فطار من
 النشاط وطاش . وحث المزم البطاش . فأما مسعود فان التوتناش توهم منه
 بما قيل له . فقتل به وبولده . وصار الامر كله في يده . ووزر للملك بوري
 برس عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك فوضع ورفع . وفرق وجمع .
 وخرق ورقع . وضيق وأوسع . وصاف بوري برس أخاه ارسلان ارغون
 وصدمه . وحط عليه وحطه . وهز طوده وهزمه . فناد ارسلان ارغون
 الي بلخ مكسورا آنحسورا . وأقام بوري برس بمكانه منصورا مسرورا . ثم

أرسل ارغون إلى الاطراف والايواسط وحشد وحشر ونهض إلى
 مرو وفرض مروتها . وحط ذروتها . وقحها عنوة وهدم سورها . وقتل
 جمهورها . وبرز بوري برس من هراة لقصد لقائه . وحفظ البلاد من
 بلائه . فزحف السكر إلى السكر . وطن الذباب في المغفر . وضيع الثعالب
 في لبة الغضنفر . وجنى ثمر النصر من ورق الحديد الاخضر . وطارت فراخ
 الجعاب إلى أوكار المقل . وأدنت لواخط السهام من الخدود . وواضع القبل
 وبرز البوار لبوري برس وكسر . وأدرك وأسر . وحمل إلى اخيه ارسلان
 ارغون فمارق له ولا رفيق . فاعتقله في ترمذ ثم خنقه . وأخذ وزيره عماد الملك
 ابن نظام الملك وصادره على ثلثمائة الف دينار ثم قتله . ولم يترك سوء الاعمله
 لا جرم أخذه الله وأقدر عليه قدره . وساط على صفوه كدره . فانه عاد إلى
 مرو وظن انه ملك . وان خصه هلاك . فقال له منجبه « أرى عليك قطعاً .
 وأنت لا تملك لما قدر دفءاً . والحزم تحرزك وتحرسك إلى أن تؤمن الخافة .
 ولا تخشى الآفة » فاحتجب عن اصحابه . واغلق رتاج ابوابه . ولم يدع إلا
 مملوكاً صغيراً كان به يأنس فانتظره . وانكر تأخره . فلما حضر عابه كيف
 ابطلا . وعاقبه حيث اخطأ . فضربه الفلام بسكين معه وصرعه . فقضى
 موضعه . فلما قيل للملوك لم فعلت ما فعلته . وعلام قتته . قال « اردت ان
 اريح الخلق من ظله . وكان هذا بقضاء الله وسابقاً في علمه » وقتل ارسلان
 ارغون في سنة ٤٩٠ وسنة ٢٦ سنة

وكان السلطان بركيارق لما عرف استيلاء عمه على خراسان قلدها اخاه
 ابا الحارث سنجر . ورتب معه السكر . فوصل الخبر بمقتل عمه فكفى قتاله .
 واستصوب انفاذ اخيه وارساله . وسار معه سنجر فلما وصل إلى دامنجان

وصله الخبر ان اصحاب عمه قد اجلسوا مكانه ولدا صغيرا له . فلما علموا بمقدم
سنجر نهضوا بالصبي وهو ابن سبع سنين وطلبوا من السلطان بركيارق لما
عرفوا قربته منهم له الامان . واظهروا له الاذنان . واخضروه عنده فاكروا .
واحترمه وقدمه . وكان وصول الصبي في خمسة عشر الف فارس وقد
استنصروه . ونهبوا خزائنه واقفروه . واقطعه السلطان بركيارق في نواحي
الري وهمدان . ودخل بركيارق الى خراسان . وبلغ الى ترمذ واستولى على
جميع بلاد خراسان ونفذ في سرقة دأمره . وولاه اخا سليمان تكين ثم لمحمد
تكين بعده . ثم اقرها على هارون تكين وحده . وأطاعه ابراهيم صاحب
غزنة . وأعطاه الله في البسيطة المكنة . وبقى سنجر معه لا متوليا متخليا .
ولا موليا متخليا . بل عليه اسم الولاية . وعقد الرأي والرأية . حتى سمع
السلطان بركيارق عن العراق بما تم من التتوق . وما وهى به من
عقد الوثوق .

ومضى . وهدى الملك بن نظام الملك الى جنزة . لبعث السلطان محمد بن ملكشاه
على طلب المملكة . وحشه على الحركة . فبار محمد الى الري وبركيارق بها . فلما
وصل محمد اليها فارقها . وأخذت امه زبيدة خاتون خبثها السلطان محمد وخنقها .
ومضى بركيارق الى بغداد على طريق خوزستان وواسط واتصل به سيف
الدولة صدقة بن منصور . وعاد الى بلده بوفر ووفور . وحباء وجبور . وعاد
اليه كوهرايين وكربوفا فخرج على طريق شهر زور واجتمع عليه من التركان
خلق كثير وحارب أخاه محمدا بموضع يقال له كور شنه فانهزم . وانقل حده
وانظم . وسار في خمسين فارسا الى أسفرائين ثم تم الى نيسابور . واستنجد
الامراء واستجده الامور . وقبض على وجوه البلد وأمثاله . وأخفى على أعياه

وأفاضله . ومات غر الاسلام أبو القاسم بن الامام أبي المعالي الجويني في اعتقاله .
 وكان السلطان سنجر حينئذ يبلغ مع رجاله . ومعه الامير كندكز وأرغش
 وكان قد استولى على معظم بلاد خراسان رجل يقل له حبشي بن التوتاق .
 وقد شق العصا بالمصيان والشقاق . وهو مقيم بالدمغان . وتحت استيلائه
 أكثر بلاد خراسان وطبرستان . وجران . ومعه قلعة كردكوه . وقد تعارق
 منه المكروه . فنهض سنجر في أرغش وكندكز الى قتاله . وهو في عشرين
 ألفاً من رجاله . ومعه خمسة آلاف فارس من الباطنية أصحاب اسمعيل الكلبي
 صاحب طبرستان . وقويت قلوب السنجرية بوصول السلطان بركيارق فاقدموا
 اقدام الليوث . واستهلوا استهلال الثبوت . وصدوا الاطواد بالاطواد .
 وأنكحوا الهام بنات الاغمد . وكانت الكرة عليهم ثم صارت لهم . واستحلوا
 قتالهم وقتلهم . ووقع حبشي في الهزيمة الى بعض القرى فاخذوا ثمن .
 وحمل الى الاميرين أرغش وكندكز فاعتقلاه . وبذل عن نفسه مائة ألف دينار
 فلم يقبلوا . وقتلاه .

وعاد السلطان بركيارق الى العراق واتصل به جاويز سقاووا واستكين
 النظاي واصبهد صباوه ثم جاء الامير اياز في خمسة آلاف فارس مدرع
 مقنع . وقصد همدان وهو في خمسة عشر ألفاً وأخوه السلطان محمد بها في
 سبعة آلاف فاصطدما والتفيا . واحتدما واصطليا . وتجلت الرقعة عن هزيمة
 السلطان محمد . وأفلت منها بجمع مشرد . وأسر بؤيد الملك وقتله بركيارق
 بيده تشغيا منه بقتله . لما سبق اليه من سيئات فعله . وانزعج السلطان محمد
 الى جرجان واتصل الخبز باخيه سنجر فانغم له واهتم . وساء مآتم . وانفذ اليه
 مالا كثيراً من نيسابور . ثم سار للقياء ولقيه بجرجان وصحبه الى بغداد .

وجملا دار الخلافة المأذ والمأذ . وجلس الامام المستظهر لهما . وأقيمت الخلع عليهما . وعقد الخليفة لهما اللواء بيده . واستقام كلاهما من الملك على جده . ورحل سنجر على سمت خراسان عائداً . وتأهب محمد لقتال بركيارق عامداً . وتضافا بقرب رود راوَر ثم اقترقا من غير قتال . واتفقا بمسك ذلك على صلح وإصلاح حال . ثم انفسخ بينهما عقد السلم . وجرى كلاهما من قصد أخيه على الرسم . ووقعت بينهما بالرى وقعة أخرى . واتصلت بين السكركين رسل المنايا ترى . وحوصر السلطان محمد باصفهان فراسله الملك . ودود بن اسمعيل ابن ياقوتى بن ميكائيل يمدده بالاتصال به . واسمافه في تصرفه بمطالبه . فخرج السلطان محمد من الحصار ومضى صوب أرتانية واخترم مودود قبل اجتماعه به . وقوى محمد لمسكره . فسار بركيارق لحر به والتقى على باب خوى في جمادى الآخرة سنة ٤٩٦ . وانهزم محمد الى بلدانى . ثم توسط بين الاخوين الاقامى والاداني . وقسم الملك بينهما قسدين واستقر ان يكون للسلطان محمد ماوزاء النهر الابيض المعروف باسفندروذ مع الموصل والشام . وعاد الملك بهذه القسمة الى النظام . وخطب لبركيارق بندگان واصفهان وجميع العراق . وسأر الاقطار والآفاق . فلما سكن الى قدرته حركة القدر . ودنا من ورد عمره الصدر . وتوفى ببروجرذ في شهر ربيع الآخر سنة ٤٩٨



— عود الى حديث سنجر —

قال واستمر أمره بخراسان وقويت سلطته . وتسلمت قوته . فقدر
 قدر خان صاحب ماوراء النهر . انه ان عب الى بلاد خراسان لمكها بيد
 القهر . وطمع في سنجر لصغر سنه . ودار تسويل هذا السؤال في ظنه .
 وكان الامير كند كز يكاية . وعلى التأخر يعاتبه . فمهر النهر في مائة الف
 يضيئون القضاء الواسع . ويحققون القضاء الواقع . وهو لقصد سنجر مصمم
 وللقائه مقدر . فاتفق ان قدر خان خرج عن عسكره متجرداً . وبخواصه
 متفرداً . وبعد عن غيمه في ثلثائه فارس متصيداً . فعرف سنجر الفرصة فيه
 فأدركها واتهمها . واعتد انفراد غنيمه فملكها واحرزها . وأتمض اليه
 برغش اسفيلار عسكره في عدة منتخبة فنصيده من منصيده . ووقع
 في يده وقد سقط في يده . وسهل على سنجر من أمره ماعده عسيراً .
 وحمل قدر خان وأحضر بين يديه أسيراً . ثم أمر به فضرب عنقه وتفرق
 جمعه . وانطقاً شمه . وعاد السلطان سنجر الى مقره . وطلع فيله
 بقله . وذلك في حياة أخيه بركيارق قزيل أيام وفاته . وساعده السعد
 من جميع جهاته

ثم استمرت سعادته وسعدت أوره . وأثارت مطاله وطلع نوره .
 وقصده برامشاه من أولاد السلطان محمود بن سبكتكين اليه لاجيا .
 ولانجاده راجيا . ولشقيقه المستقر على سرير ملك غزنة مشاققا مداحيا .
 فرعى وفادته . ورأى افادته . وآثر ايثاره في اجارته واجابته . واختار اختياره

في انفاثه واعاته . فجعل غزنة منزاه وبلغ الخبر الي السلطان محمد فلم يحمله
وكتب اليه ان « هذا بيت كبير فلا تقصده » فرد نصحه الاخ . واستعد
لاصراخ المستصرخ . وذلك في سنة ٥١٠ وخرج صاحب غزنة وجر ذبوله .
وأجري سيوله . وصف خيوله . وزف فيوله . وجاء سنجر والجنتر على
رأسه خافق . والنصر ليمينه مصافق . وكان لصاحب غزنة خمسون فيلا قد
صفها بين يدي صفوفه . وألقا قدام الوفه . وعليها الكمامة الحماة . وذووالحمية
الرماة . وكادت تصح على سنجر الكسرة فان الجيول نفرت من التبول .
حين أقبلت كالسيول . فترجل الأمير أبو الفضل صاحب سجستان . وهو زنى
الاقدام . ودخل بين قوائم التميل الأعظم فشق بمنجبره بطنه فصاح التميل
وولى ظهره . واتيمت القيلة اثره . فانهزم المسكر الزنوى . وانتصر الحارب
السنجرى . واحتوي على أموال غزنة وخزائنها . وحصل على ظواهرها
وبواطنها . وكان ملك آل محمود من اول عمده بكر الميفتض . وختم الميفض
حتى اتى سنجر وكسر سكره . وهتك ستره

فلما استصفى أموال غزنة وفرغ خزائنها المملوءة . ونفض كنوزها
المحشوة . نصب بهرام شاه على سريرها وأمره . وقد خربها بتعميرها واشغل
ذمته بما يؤديه اليه كل سنة من قرار . وهو مائتان وخمسون الف دينار .
وكتب الى أخيه السلطان محمد بيشرى القنح . ويسرى النجج . فوجم لتلك
وكان في مرضه الذى شله . وسقته الذى نهكه وانحله . وتوفى بعد ذلك
بسنة وقوى سنجر . واجتمع عليه المسكر . وقصد بعد ذلك بسنتين سموقند .
واجنى جناها الجند . وذلك بعد تطويل حصر . وتضييق عصر . وكان صاحبها
احمد خان . الكبير الشأن . الاثير السلطان . وهو الذى كان له اتى عشر الف

مملوك تركي وكان لا يترك غزى والترك يتوغل في بلادهم مسيرة شهرين . ويقتني ظافر اليد قدير العين . ثم أصابته علة الفالج . وأعيى طبه على المعالج . وبقي سنجر ستة اشهر يحاصره . ويضايقه ويصايره . الى أن اخرج اليه احمد خان . في محفة يحملها النلمان . فاجلس بين يديه ساعة . وهو لا يجحد للكلام استطاعة . ولما به سائل . وشدقه مائل . ثم حمل الى دار الحرم للقراية التي بينه وبين تركان خاتون زوجة سنجر . وولى نصر خان مكانه . وأحيى به سلطانه

ثم غدر صاحب غزنة الملك بهرامشاه بعهد سنجر ونكل عن ضمانه . فغزم على التوجه الى غزنة ثانيا . ولاعنة جيوشه وجنوده اليها ثانيا . ونهض اليها ولما بلغ الى بستان عسر عليه الوصول . وحالت الوحول . وتعدرت العلوقات . وكان الثبن اعز من التبر . والشدة جاوزت حد الصبر . فما اكثرت بذلك وتهور وأقدم فبهز بهرامشاه رعبة . وابعده الى لهاور قريبة . ووصل سنجر الى غزنة مغيرا . ولكأس الدوائر عليها مديرا . وسلبت أموال وأرماق ونهبته محال واسواق . ولما انحسر الشتاء ورتب امور غزنة عاد الى خراسان ولما توفى اخوه السلطان محمد بالعراق في سنة ١١٠١هـ وتولى ابنه محمود السلطنة وحدثت تلك الحوادث احتاج سنجر الى الامام بالعراق فجرت الوقعة التي قدمنا ذكرها . وواضعنا عرفها ونكرها . وما عاد سنجر الا وقد خطب له بالمرافين وبالشام والموصل وديار بكر وديار ربيعة والحرمين . وضربت الدناير باسمه في الخافقين . ويلقب بالسلطان الاعظم معز الدنيا والدين . وولى ابن اخيه محمود بن محمد عهده بالعراق ونسبه بمغيث الدنيا والدين . وقد ذكر وصول سنجر الى العراق في أيام محمود نوبتين . وفي عهد طغرل وفي عهد مسعود دفعتين . لكنه في زمان مسعود لم يتجاوز الري

ذكر وزراء السلطان سنجر بخراسان

قال رحمه الله : كان من كتابه المخصوصين به في صدره العبد أبو القمح ابن أبي الليث وصل معه الى بغداد في ثامن شوال سنة ٤٨٩ ومع سنجر أتابكة كج كلاء وذلك في عهد أخيه بركيارق وابتداء خلافة الامام المستظهر واستوزر عند مضيه الى خراسان نحر الملك المظفر بن نظام الملك وكان مبر المبرة . سري الاسرة . منصور الصحة . مصحوب النصره . ورزق التأيد والتمكين . ومشى الامور عشر سنين . وقتل يوم عاشوراء من سنة ٥٠٠ واستوزر بعده ولده صدر الدين محمد بن نحر الملك فكفى المهم . وشفى الملم . ونظم المنشور . وضم المنشور . وقتل ببلغ غداة الاربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة ٥١١

ذكر السبب في ذلك

قال : كان لاسلطان سنجر مملوك يقال له قاماز قد استحسنه واستخدمه واشتهر بحبه واستخلصه . وقد أصبح به صبياً . وشغفه حباً . وتسحب على السلطان بدلاله وادلاله . وما صار يالي لعله باشتغال باله به بشغل باله . وكان هذا المملوك يعرف بكج كلاء . اى مائل القلنسوة . وكان الوزير ابدأ ينهائ . ويرده الى نهائ . وقال له يوما : ان عقلت والا دبرت في تسويتك وقومت ميل قلنسياتك ، فقال له غير . مكثرت بوعيده . وقابل تهديده

بتهديده « اما ان تسوى قلنسوتي وإما ان أسوى عمامتك » فاتفق ان السلطان
كان في ضيافة الوزير واصطحب واغتبق عنده ثلث ليال . فلما كان في اليوم
الثالث والستات في سورة راحه . وسكر اصطباحه . وقد ذهب ذهنه .
وضعت قوة تميزه . وعينه في عين المملوك ويده في يده وقد ملكه بغمزه
وتميزه . فغافله ونزع خاتمه . وسأته امره وكأتمه . وقام ومضى وهو حاقده
والوزير في حجرته راقده . وقال « استأذنوا لي عليه فقد جئت من عند
السلطان بهم اليه » ولج حتى ولج . وكل من كان حاضرا بدخوله خرج . فلما استخلى
المجلس . واصفى الوزير له واستأنس . حز رأسه وعلقه من يده ودخل على
السلطان ووضع بين يديه فصحا سنجر وها له ماجرى من اجرائه واجترأه .
وأخاذه ماتم من اقتحامه واتقاه . واستدعى الامير قاجا . وهو أوضح
اصحابه في الرأس منهاجا . وقال له سرا « انظر الي ما صنعه هذا المؤاجر
بوزيرى . وقد نفّس على سرورى وسريرى . فاخرجه من عندى على وجه
سجبا . وقطعه اربا اربا » فقال له « هذا أمر فظيع . وصنع شنيع . وحفظ
الناموس يوجب ان لا يعرف احد من رعية بلدانك . ان مثل هذا
الامر يتم في سلطانك . بنير استئذائك . فاظهر انه جرى باذنك . وصن
جاهك واحذر من وهنك . واركب الآن الي دارك . وارجع الي قرارك »
فقبل النصيحة وكتم التضيعة . ثم أمر بعد مدة بقتل ذلك المملوك اسوأ
قتلة . ومثل به أقبح مثله

واستوزر بعده ابن أخى نظام الملك وهو شهاب الاسلام . عبد الدوام .
ابن الفقيه عبد الله بن على بن اسحاق وكان ذا فضل وافضال . وقبول واقبال .
وبأس ونوال . متبحراً في علم الشرع . متكلماً في الاصل والفرع . وصارت

للفقهاء في زمانه سوق . وظهرت بهم حقائق وحقوق . ولم يزل مقصدا
للفضلاء ومنضلا على التعاد . سيدد الامر أمرا بالساد . وتولى الملك
بحلاه . وتولى بسناه . الى ان توفى بـرخس يوم الخميس السابع عشر من
الحرم سنة ٥١٥

وتولى الوزارة بعده أبو طاهر سعد بن علي ابن عيسى القمي وكان
وجيه القدر . نبيه الذكر . وكانت وفاته يوم الاربعاء الخامس والعشرين من
الحرم سنة ٥١٦

وتقلد الوزارة بعده الكاشغري وصرف عنها في صفر سنة ٥١٨ وتقلد
الوزارة بعده معين الدين مختص الملك أبو نصر أحمد بن الفضل بن محمود
وقد تقدم ذكر فضله . وشكر نبله . ولقد كان أعجود الاجواد . وأجود
الامجاد . وهو الذي حسب أيام عمره . ورد كل مظلة جرت علي ذكره .
واستدعاه السلطان سنجر لافتقار ملكه اليه وعول في وزارته عليه . وفكت
به الباطنية يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من صفر سنة ٥٢١

وتقلد الوزارة بعده نصير الدين أبو القاسم محمود بن أبي توبة المروزي
وكان أوزر الفضلاء . وأفضل الوزراء . ولم يزل للافاضل جامعا . وللاراذل
قامعا . وقصده أهل الفضل . وأوام بالاحسان الوافر الى وارث الظل .
وخدمه العلماء بمصنفاتهم . وخصوه بمضافاتهم . وصنف له عمر بن سهلان
كتاب البصائر النصرية . وهو الكتاب الذي لم يصنف مثله في فنه . ولم
يسبق الى احسانه فيه وحسنه . قال : وأنشدني باصفهان شيخنا جمال الدين
عبد الرحيم بن الاخوة الشيباني البندادي من مدائحه فيه عند سفره الى
خراسان . واجتدائه منه الاحسان . قوله من قصيدة مدحه بها بنيسابور

ليلة عيد الفطر سنة ٥٢٥

خَلَّ الظَّلَامُ لَا يَدِي الضُّمَرِ القُودِ يَهْتَكُنْ مَا نَبَتْ مِنْ أَثْوَابِهِ السُّودِ
الَّيْلُ وَالنَّجِيَّاتُ الضُّرُّ أَخْلَقُ بِي إِذَا نَصَارِيْفُ أَزْمَانِي حَنَّتْ عُودِي
ومنها .

وَلِلْقَوَاضِي مَنِي هَبَّةٌ وَسَمَتْ يَهِنٌ مَا أَزَوَّرَ مِنْ هَامِ الصَّنَادِيدِ
فَرَعُ الظُّبَى بِالظُّبَى أَشْهَى لِسَامَعِي مِنْ مُسَمِّعِ خَنَثِ الْأَعْطَافِ غَرِيدِ
وَالْأَعْجَبَانِ وَأَحْوَالُ الْوَرَى عَجَبٌ غُمُرٌ مَعْنَى وَحُرٌّ غَيْرُ مَكْدُودِ
وَمَنْتَشِينَ عَلَى الْأَكْوَارِ رَنَحَهُمْ سَكْرُ الْكَرَى لَا عِجَابَاتُ الْمَنَاقِيدِ
إِذَا أَعْلَانَتْ بِهِمْ أَرْضٌ نَبَتْ بِهِمْ حَاجٌ تَلَاْعَبُ بِالسُّمَرِيَّةِ الْقُودِ
شَامُوا بِرُوقِ النَّيِّ وَأَشْفَتْ أَنْسَهُمْ تَطْلُعُ نَحْوُ لَا بَأْسٍ وَلَا جُودِ
حَتَّى أَطْلَبَهُمْ وَقَدْ كَلَّتْ عَزَائِمُهُمْ نَدَى الْوَزِيرِ نَصِيرِ الدِّينِ مَحْمُودِ
لَيْنِ السَّجَايَا وَفِي أَنْثَلِهَا شَرَسُ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ يَكْتَتَانِ فِي عُودِ
وَالْمَرْءِ وَالسِّيفِ الْمَلَمِ بِيْدِيَا أُرَا حَى كَيْتٍ وَمَسْأُولِ كَمْعُودِ
فَذَاكَ وَالْأَفْقُ مِنْبَرُ هِيَادِهِ أَرَوْيْ لِمَافِيكَ مِنْ وَطْفِ الْمَرَاعِيدِ
كَمَا يَرَاكَ وَالْهِجَاءُ كَالْحَلَةِ يَنْفَى عَنِ السُّمَرِيَّاتِ الْأَمَالِيدِ
إِذَا عَالَى صَهْوَةُ الْقِرَاطِ ضَاكِكَةً آتَارِكَ الْبَيْضِ فِي آثَارِهِ السُّودِ
فَدَمٌ بِمَا يَكْمُدُ الْأَعْدَاءُ مُقْتَبِطًا يَفْضَى بِكَ السَّعْدُ مِنْ عِيدِ الْإِيدِ

قال : وصرف عن الوزارة في سنة ٥٢٦ عند وصول سنجر الى العراق
بعد وفاة ابن اخيه السلطان محمود بن محمد وترتيب السلطنة لاختيه طغرل بن
محمد مكانه . وكان القوام ابو القاسم الدرگزى مستوليا على الدولة وسأل

السلطان سنجر أن تكون وزارته باسمه . وتجري رسوئها برسمه . ويكون هو بالراق لشغل طنزل مديراً . وعلى توفر ماله وجامعه متوفراً . ويستنيب في الحضرة السنجرية من يكفل بأمورها ويكفي . ويكلف بمصالحها ويشفي . فاجيب سؤله وأصيب سؤله . وعزل العالم وولي جهوله . وصرف ذلك الفاضل بهذا الناقص . وراج المنشوش بكساد الخالص . وتقلد نيابة الوزارة عن الدرگزني ظهير الدين عبد العزيز الحامدي . وكان عبد العزيز هذا يسكن اليه سنجر لاماته وديانته . وهو الممول عليه في خزائنه . وهو يناظر الوزراء في قرب مكانه ومكانته . وانما فوض اليه الدرگزني نيابته لانه علم ان الامر بغيره لا يتمشى . وان ثوب الملك بدون طرازه لا يتوشى . ولما صلب الدرگزني وضربت رقبة بالعراق . تقلد الوزارة ناصر الدين طاهر بن نخر الملك بن نظام الملك في جمادى الاولى سنة ٥٢٨ . واستمرت وزارته الى آخر العهد . وكان في تقويم ماثود واصلاح ما فسد باذلا للجهد . وتوفي بعد مجيء النور في ذي الحجة سنة ٥٤٨



ذكر جماعة من خواص سنجر وممالكه اجهم ثم سلام

﴿ ووضعهم بعد ان اعلام ﴾

—♦♦♦—

قال رحمه الله : كان من عادة سنجر ان يشتري غلاما اختاره ثم يتعشقه
ويشتهر بحبه . ويشتهر بقربه . ويبدل له ماله وروحه . ويجعل معه غبوقه
وصبوخه . ويملكه حكمه . ويوليه سلطانه . فاذا نسخ اليل نهاره . وسيج
البنفسج جلناره . سلاه وقلاه . ويخلى عنه وخلاه . وانتهي في مقته الى ان
لا يرضى بهجره بعد وصله . ورأى الراحة منه في قتله . ومن جملة
أولئك مملوك كان لصير في اسمه سنقر . فشق سنجر قبل رؤيته فاشتراه
بالف ومائتي دينار ركنية . بعد تشريف المالكه وعطية سنية . وحكي عن
ظاهر الدين عبد العزيز خازنه انه قال استدعاني سنجر يوما وقال اني امرك
بما هو اوفق خدمتك . وأوفق لحرماتك . فانهض فيه بنباتك . وأت فيه
الممكن يوائك . فأجيبته بالسمع والطاعة . وبذل الوسع والاستطاعة . فقال
« هذا مملوكي سنقر الخاص قرّة عيني وثمره فؤادي . وريحانة روحي ونتيجة
مرادي . وهذه خزائني تحت ختمك . ومالي بحكمك . وجول غزنة
وخوارزم قد وصات فاقبضها . وبذل الممالك قد عرضت فاسترضها .
وهذه خدمتي التي امرك بها في حق لا ترفضها واقترضها . ولا تستأذني في
شيء ولا تستأمر . وقدم هذا المهر واستخر الله فيه ولا تستأخر . اريد ان تضرب
له سراق كسراق . وتجري له سوابق كسوابق . وتشتري له ألف مملوك

يمشون في ركابه . ويمشون الى جنبه . وتحمل اقطاع من رأيت حل اقطاعه
وتقدمه عليه . وتأخذ بلد من شئت وتقوضه اليه . وتجعل له خزانه كخزاتي
بالمال مملوءة . وباجناس الصياغات الذهبية والفضية مجلوة . وتجعل له ديوانا
مجملا بامثال الكتاب . وأفاضل النواب . بحيث يكون بعد اسبوعين
صاحب عشرة آلاف فارس . قال فاستمته ثلاثة أشهر فما أهل . وأمر
بترك الريث واستعجل . فما زالت به حتى فسح لي في مهلة شهر ونصف
وشرعت في الامر وأنفقت على ما قدره في عشرين يوما سبعمائة ألف دينار
ركنية . وذلك سوى ما قبلته اليه . من الخزانة من الآلات الحسروية . والسياب
المعدية . وذلك سوى الاقطاعات . والولايات . والتقريرات . ثم أخبرته ولم
يمض الشهر بأنه قد استمر الامر فركب السلطان سنقر فرأى المساكين صفوفا .
والخيل صفوفا . حول سرادق سنقر الخاص فرأى رواء ظاهرا . وبها باهرا .
قال : فماتني وشكرني . ونوه بي وذكرني . وفوض الي امر خزانته .
وأمرني بتحصيل مطالبه . ووصى كلا منا بصاحبه . قال : فلم يمض سنتان حتى
اشتعلت نار خده في الدخان فشنف . وأنف . وعاف وعزف . وسنقر يزيد
في التسحب عليه والتبسط . ويستديم مع عادة التسلي عنه عادية التسلط .
وزاد في غيظ الامراء . واستحقار العظماء . واستصغار الكبراء . وهو
لا يبالي بسنقر اذا توعده . ولا يلتفت اليه اذا تهدده . فاستدعى السلطان
يوما جميع امرائه الي حجرة مفردة مفردين . ومن جميع اصحابهم سوى
سلاحى واحد مجردين . وقال لهم واذا دخل سنقر الخاص اليكم ضموا فيه
بأجلكم السكاكين فبادروا الي ماأمروا به وامتلوا . ووثبوا اليه وهتلوا . وعاد
ذلك الضياء ديجورا . وذلك البهاء هباء مشورا

قال : ومنهم فائماز كج كلاه قاتل وزيره . وقد آل تعظيمه الى تصغيره .
ومن جملة . من حباه بحبه . واختصه بقربه . الامير المقرب الاجل اختيار الدين
جوهر التاجي وكان مملوك أمه ومن خواص خدمها وكانت توفيت أم سنجر
في شوال سنة ٥١٧ هـ قاتل هذا الخادم الى خدمة سيره . ثم غلب حبه على
ضميره . فغلب بذلك على تديره . ورفاه الى ذروة لم يتسنىها أحد قبله .
وأسماء الى رتبة لم تر فيها عين مثله . وبلغ عسكره ثلاثين ألفاً ثم مل السلطان
طول مدته . ودبر في أخلاق جدته . وضاق مجال احتياله . ففسد الباطنية
لاغتياله . ونمى الى جوهر تعرض جوهره لان يصير عرساً . وعلم ان غرض
السلطان ان يصير لسهم الخنف غرساً . فآخى التي علمها . وأسرها في نفسه
وكتبها . فقال السلطان له يوما (يا جوهر اني أخشى عليك هؤلاء الملاعين
فتحرز منهم وتحفظ . وتحزم لامرك وتيقظ) فقال له (لو أمنتني من
نفسك ما خفت أحداً . وما أردت في دفع غائلة القوم مدداً) فاحتمل
السلطان مقالته . ورأى احتماله . وركب جوهر ضحوة من داره . وخرج
خروج القمر من سراره . وفي ركابه الف سيف مسلول . فلما نزل في
دهليز دار السلطان وكماه جواليه . وحماه من ورائه وبين يديه . قفز
اليه نفر من الباطنية . وضربوه بالسكاكين وأزاروه قادم المنية . ولما
ارتفع الصباح قال سنجر وهو في دار حرمه (هذا جوهر قد قتل) فلم ان
ذلك بأذنه عمل

قال : وكان عاقلاً . ثانياً . أرباباً مهدياً . ومن نكته المستحسنة ان السلطان
كان أمره ببناء قبة عالية في مرو يكون فيها ضريحه . وينضد عليه بها صفيحه .
فوصل الى مرو وراها غير مفروغ منها فقال (يا جوهر متى تم هذه القبة)

فقال (لا أتمها الله) فابكى الجماعة بما ذكره . ولطف . ووقع قوله عند
السلطان وعذره

ذكر علو همة السلطان سنجر وكرمه

واسهام أصحابه وأمرائه من نعمه

قال : كان حليما حليما مليا . بالعرف وفيا . كبير النفس اريحيا . معديا
للمهوف . مسديا للمعروف . مفرقا بالاقلام ما جمعه بالسيوف . ذكر عنه
انه اصطبغ خمسة أيام متواليات ذهب بها في الجود كل مذهب . وأثنى على
معظم ما في الخزائن من عرض وذهب . فبلغ ما أعطاه من العين سبعمائة ألف
دينار آخر . وجاء ما وهبه من الحيل والخلع أكثر . وعوتب على اسرافه
فقال : اما رأيتموني افتح أقلما يشتمل على اضعاف ما وهبته من المال . واهبه
بكلمة واحدة لمن أراه قبل السؤال . فهذا بالاضافة الى ذلك الكثير قليل .
وما للسلام الى في نهج هذه السيل سليل .

ذكر عن ظهير الدين عبد العزيز صاحب خزانته انه قال أحببت أن
يشاهد السلطان سنجر ما اشتملت عليه خزانته . لتظهر كفاية متوليها وأمانته .
فقلت له أخدمك بالف ثوب أطلس حتى تبصره . وتستعرض صاهته وناطقه
فسكت وظننت انه رضى بما ذكرته . فجئت الى الخزانة وأبرزت ما فيها واطهرته .
وكان فيها ما لم يجتمع قط في خزانة سلطان قبله من طرائف يزد وجودها .
وجواهر تجل عقودها . وصرر اكياس قد ملأت القضاء تقودها . واعلاق

لا يعرف لها قيمة . وصناديق لآلئ كلها يتيمة . فلما نضدته وأبرزته . ولققت كل جنس ونوعته وميزته . جئت وقلت له « اما تبصر مالاك . وتشاهد حالاك . وتشكر الله الذى خصك به وانالك » فقال « يقبح بمثلي ان يقال عنه انه مال الى المال . او نظر اليه او اخطره بالبال قفرق ما جعلته لي من الثياب الطلس على الامراء . واعرض عليهم ما في الخزانة من تلك الاشياء . وقل لهم يقول لكم سنجر قد ادخرت هذا لكم . وجمعت لافرقه في قمع عدوكم وجمع شملكم » قال : فعملت ذلك قهرحوا واشتبشروا . وحمدوا وشكروا . وكان سنجر لا يدخل خزانته ولا يبرها نظره . ولا يوجد بخاطره منها خطر . وكان لكرمه يحسن الظن بنوابه . ويسلم حكم القلم الى كتابه . مفضلا على اصحابه . ويقول « ان الدنيا فانية فندعم يرتمون معنا . ويسعم من النعم ما وسعنا » وكانت جواهره في طبول محتومة بخطه . مخفوظة باسمه . فاذا اراد منها شيئا استحضرها . وفض خواتيم اقفالها وأخذ منها . ثم أعادها بخطها الى حالمها .

ذكر سبب اختلال ملكه واختلال سلكه

قال : لما امتدت مدة حياته وأمدت بالطول مادة عمره . تسلط الامراء على سلطان أمره . وتسحبوا على قدره . وحقر الصغير حق الكبير . وتأخر الكبير لتقدم الصغير . واستخف الوقور ووقر الخفيف . وصرف القوى وصرف الضعيف . ووقع التحاسد بينهم والتحاقد . وارتفع وانحل

التساعد والتماقد . وكان أكابر الدولة في ذلك العهد سنقر النيزي ويرنقش
هريوه وقزل وازراهيم وأقدم منهم قاج وعلى الجيتري وقد اختلقت آراؤهم
وآراهم وركب كل منهم ام رأسه . وعضل الاضرار باضراره . فأول
خطأ أصاب سنجر كسر الكافر الخطائي له ولمسكروه . ورد صفوه ملكه
الى كدره

ذكر السبب في ذلك وانكسار سنجر في حربه مع الخطائية

قال : كانت خيول قرأتق في نواحي سمرقند وقد وفرت اموالهم
وانشرت مواشيهم . وانتشت غواشيهم وحواشيهم . وخيفت مضرتهم .
وخشيت مررتهم . فأشار الامراء على السلطان سنجر بأن يتوجه
لدهمهم . ويتنبه لدهمهم . والقوم مستمرون على الصلاح لو خلوا مستقرون من
الفلاح على ما اليه دلوا . فضوا اليهم وضاقوم في مراعيهم . وقايضوم عن
محاسنهم بمساويهم . وأسرفوا في سرقة نسائهم وذرائعهم . فأنفذوا الى السلطان
سنجر وبذلوا له الخدمة بخمسة آلاف جل وخمسة آلاف فرس وخمسين ألف
راس غنم . ليتسكروا منه باقوى ذم . وأوفى عصم . وليامنوا على أهاليهم ونسائهم
وذرائعهم . فلما لم يقبل خدمتهم . ولم تحصل عصمتهم . حملتهم الحمية على الاحتيا
بالتحمل . وآل بكبارهم الترحم والحنو على صغارهم الى الترحل . ودخلوا الى بلاد
الترك قاصدين حضرة اوزخان صاحب خطأ وختن ونما . ولم يكن في الكفار
الخطائية أوسع منه ملكا . وأنظم سلكا . وأوفر عددا . وأكثر عددا . وكان أمره

ينفذ الى حدود الصين فلما وصلت القرطبة اليهم اقلعهم . وشوقهم الى الملك
 وشوقتهم . وأطمعت الكفر في الايمان . واستصرخت على أهل الدل باهل
 العدوان . وقالوا له « ان المملك بنجر اسان وما وراء النهر مشرة . وان السعادة
 من سلاطينها متترة . وان سنجر قد تخالف عسكره . وكسف معروفه منكروه »
 فوسع الخطائي خطي وسعه . ودبت عقارب كتابه للنسب الدين ولسعه .
 وأقبل في سبمائة الف مقاتل ووصل في قطع من ليل الكفر المتكر . ووقع
 من سيل البؤس المنحدر . والسلطان سنجر في سبميين الف فارس . لكن التوفيق
 عليه ساخط . والتأييد من حربه ساقط . فشهد المشركون وحملوا بكراديسهم .
 واستشهد المسلمون وحملوا الى فراديسهم . وبقي تنجر في عدد قليل . ومدد
 كليل . فقال له الامير أبو الفضل صاحب سجستان « قد أهدقت بالساكر
 ودارت علينا الدوائر . فأنج بنفسك لاقف مكانك تحت الجتر » فوقف ووقع
 في الاسر . واسرت خاتون زوجة السلطان وبقيت في الاسار . الى أن فديت
 بخمسمائة الف دينار .

واسر الامير قماج وبلى بكل عسف . ولقي كل غنف . حتى فدي بمائة
 الف دينار وأما الامير أبو الفضل فإنه علم الكافر استيلاء اولاده على بلاده .
 والاحتواء على طرافه وتلاذه فحقق اقتراحه . واطلق سراحه . وقال « مثل هذا
 البطل الهمام . والشجاع المقدم . يجب الابقاء عليه . والاحسان اليه » وهذه الواقعة
 كانت في سنة ٥٣٣

قال : واستولى هذا الخطائي على بلاد ما وراء النهر . وحصل المسلمون معه
 تحت القهر . واستشهد على يده الامام حسام الدين بن البرهان بن مازة رضي
 الله عنه ببخارا . ولقد كان في علم الشرع لا يبارى ولا يجارى . وهلاك اوزخان

وتوات اخته بعده . وتولى تحتة وبخته . واستمرت مملكة الخطائية في ما وراء
النهر . الى هذا العصر . والولاة مسلون من قبل ولاية الكفر . قال الفتح بن
علي بن محمد البنداري الاصفهاني مختصر الكتاب : وتمازت . منهم في تلك
البلاد . واستيلاءهم بها على العباد . الى أن قبض الله تعالى استصالحهم على يد
السلطان السعيد علاء الدنيا والدين محمد خوارزمشاه بن السلطان تكش بن
ايل ارسلان بن اتسز بن محمد فانه جرد عزيمته لقطع شأقتهم وقلع ارومتهم
واعتنى بشن الغارات عليهم . وتوالى الركضات اليهم . حتى اخرجهم من بلاد
ما وراء النهر . وصب عليهم سياط القصر والقهر . ثم توغل ديارهم . وجاس بلادهم
حتى قلعهم اجمعين . ولم يبق من الخطائية نافخ ضربة في الارضين . وذلك بعد
سنة ٦٠٠

ثم اخذ في قهر جنس آخر من كفار الترك وهم التارية وممالكهم تنهى
الى آخر بلاد الصين . فلم يزل عليهم ظافر الجند . منصور الجند . متوغلا مسيرة
خمس اشهر من خوارزم الى بلادهم . باسطا يد السبي والنهب في ذرايرهم
ونسائهم . وطرافهم وتلادهم . الى ان اجتمعوا واحتشدوا وخرجوا فاحجم عنهم
السلطان فأخذوا بجميع بلاد ما وراء النهر . ثم دخلوا الى بلاد خراسان فخرّبوا
ارباعها . وأخذوا قلاعها وسبوا نساءها . وقتلوا رجالها . وانتهبوا ذخائرها واماؤها .
وانحاز السلطان عنهم الى بلاد الجبل فتنبهوا اثره الى حدود اصفهان . واخذوا
الري وقزوین وهمدان . وقتلوا جميع من كان في هذه البلاد . وما تأخها من
الاغوار والانجاد . وكان ابتداء دخولهم الى بلاد خراسان في اوائل سنة ٦١٧ .
وجرى منهم على المسلمين من القتل والاسر والقهر . ما لم يهد . مثله ولم يرد ذكره
ابدالهم . وطالت منهم في بلاد الاسلام واقاموا فيها على وقيرة واحدة

لا يفتقون من سفك الدماء وشن النارات ثلث سنين الى ان خرجوا من طريق
 آذربيجان مخربين للبلاد سافكين دماء الدياد . وتوغلوا منها الى بلاد اللان .
 ومنها الى ارض قفقاق ثم عادوا من تلك الطريق الى بلادهم . والله تعالى يكتفي
 المسلمين شر معادهم . ولا يمكن استيفاء شرح معرفتهم . وذكر ما جرى
 على الاسلام من مضرتهم . الا في مجلدات طوال لكننا المتنا بذكرها
 هنا على اجمال . والحمد لله على كل حال .
 عاد الحديث

ذكر انتاش سنجر بعد ان عثر وانتاشه وانجباره

بعد ان شيك وانكسر

قال : وكان عند انجاء سنجر لجهاد الكافر وقتاله . انهز خوارزمشاه
 اتسز بن محمد بن نوشتكين فرصة اشتغاله . فر الى مرو ودخلها عنوة وقتل
 وجوه اهلها . وحرق بالجور مجاورى حزنها وسهلها . وجلس على سرير سنجر
 ومد الطغراء ووقع ونهى وأمر وتقل من الخزانة السنجرية صناديق جواهره
 ولما عاد السلطان عن وجهته عرف خوارزمشاه ان القدر غير مظاهره فرجع
 الى خوارزم . واستوبل ذلك الزم . ووصل سنجر الى دار ملكه فاستجد
 الجد وجمع الجنود ونهد الى خوارزم ووصل الى قلعة هزارسف فحصرها .
 ورمى بالحجر حجرها . وكان له خندق عريض عميق فجعله همه . وكان الماء
 قد طاب به فطمه . وقسم السور على امرائه فحسروا لثامه . وحققوا اشلاءه .

وفتحت القلعة عنوة . وأضحت لما يرام فتحه من القلاع أسوة . وذلك بعد
 ان قتل عليها وفيها ألوف . وجدعت أنوف . وتعرفت نوب ونابت صروف
 ثم وقع الصالح . واستفرد تلك الظلة الصبح . ورد خوارزم شاه على سنجر
 صناديق جواهره التي أخذها من الخزانة بمر وبحثها . وحقق سلامة نفسه
 بحق سلمها . وركب ووقف بأزاء سنجر من شرق جيحون . وقد سير
 في البر والبحر عسكره المجرور وفلكه المشحون . ونزل بحيث يرى وقبل
 الأرض . وقبيل القرض . وعاد سنجر الى خراسان وهو عنه راض
 والقدر بنصره قاض . ولم يزل أمره يمتشي . وبرد ملكه بالحسن يتوشى .
 الى أن أراد الله شت الشمل . وبت الجبل . فسلب المز . وسلط
 النزع . وتحملت عقود الدولة . وتقلت حدود الصولة . وانقضى الدهر .
 وقضى الامر

ذكر نوبة النزع وذلك في سنة ٥٤٨ هـ

قال رحمه الله : النزع من التركمان طائفة . للضميم عاقبة . وكانت في اهتمام
 الامير قاج . وهي تحمل اليه ما عليها من الحراج . وأميرها قرقود وطوطى
 بك يخدمان الحضرة . ويحضران الخدمة . وما زالت شوافهم مقبولة .
 وذرائعهم موصولة . حتى تمنى عليهم الامير قاج ذنباً تصلوا منه فلم يقبل .
 وتحيلوا في تحليل عقد سمخه فلم يتحلل . وأرضوه بكل طريق وطريق فلم
 (٣٣ - آل سلجوق)

يرض وضيق عليهم من واسع البسيطة الطول والمرض . واضطربهم الى
 . مضرتهم . ودفعهم الى الشر لدفع معرفته . فاوحشوه وناوشوه . وهاوشوه
 وهاوشوه . ولم يتركوا في جلاده جلداً . وقتلوا له في تلك الوقعة ولداً .
 فازدادت ضراوته . وثار ثاره . والهب ناره . وأبرق وأرعد . وأرغى وأزبد
 وغض غضبه من حلمه . وسد جهله سبيل علمه . وحضر صاحب القوم في
 اسلحه . وانتهوا في البذل الى غاية اقتراحه . وبذلوا له احضار قتلة ولده .
 وايقاعهم في يده . فابى الا قتلهم وقتلهم . وقلدهم واستثصلهم . وماج قجاج
 في بحره الزاخر . وصرف الى قصدهم أغنة الساكر . فركبوا اليه
 وأكربوه . والهبوا به وألهبوه . وهزموه وهشموه . نجاء الى سنجر وهو
 قلق خفق . وكأنه بالنفيظ مختق . وقال له « قد اختل الملك . وانحل
 السلك . فان قدمت عنهم أقاموك . وان لم ترمهم ولم ترمهم راموك وراموك .
 فانقض اليهم بمجنودك . ورد نحوهم بسعودك » فلم ير أحد من أولئك
 الامراء اثاره أحد لذلك الامر . وما شاروا بالشر . وقالوا السنجر « ان
 هذا قاجا قد شأخ . وبأخ . وخشى وخاب . وأخطأ الصواب . فان أتجده
 خذت . وان هويت هواه لدعت وعدلت » فأنف قجاج وشنف وعنف
 ولم يزل بسنجر حتى صنى صنوه . ونحأ نحوه . وأمرأ أمرأه بالتأهب . وأضرى
 ضرمه بالتهلب . وسارفي جمع كالحضم زاخر . وسواد كليل المحب بلا آخر .
 فلما عرف الغزاهم غزوا . والى الشر عزوا . وصلوا وتوصلوا . وقالوا نخدع
 السلطان بخمسين ألف رأس . من جمال وأفراس . وبمائتي ألف دينار ركنية .
 وبمائتي ألف رأس غنم تركية . ونحضر قتلة ولد قجاج . ونلترم كل سنة
 بخرج وخراج . وخشموا ولانوا . وخضوا واستكانوا . فأغلق سنجر باب

القبول في وجوه هؤلاء الوجوه . وأبي ان ياء لهم بغير المبكروه . فتوهلوا
وتوجلوا . وتمزلوا واستقتلوا . ولجأوا الى أرض لا يسلك اليها الا في واد
لا يسع عرضه أكثر من مائة فارس وأعدوا في الطرقات الطوقان . على رسم
قتال التريكان . ونشروا المصاحف يطلبون أمان أهل الايمان . ثم اشتدوا
وشدوا . وأعدوا واستمدوا . وجعلوا الخركاهات كالاسوار محذقة . ونيران
النصال من ورائها لحدق محرقة . وصبروا حتى لا يسهم العسكر . وفي قلبه
سنجر . وامتلا الوادي بسيل الحيل . واجتأب النهار لباس الليل . وكانت في
المقدمة أمراء خاروا وخاموا . وهموا بما وهموا . وهاهنا . واغتم النزاضا منهم .
وركبوا أكتافهم . يقتلون ويأسرون . ويصدون ويكسرون . وعز المخلص
من المضيق . وفرشت جثث القتلى على الطريق . وقتلوا الامير قاجا وولده
وأثوا على العسكر وأنشوا عدده وعدده . وخلصوا الى السلطان سنجر . وفي
خف من خواصه . وجواده قد بخل بخلاصه . فأحدقوا به احداق
الاهذاب بالحدقة . وحصل في وسط تلك الحلقة المحذقة . وبقي كالركز
في الدائرة . ووقع في الايدي الجائرة . ونزل أميرهم وقبل الارض وأمسك
بعماده عنانه . وأطلق بدعائه لسانه . وقال « ان قومك فتحوا بالاذية . ولم
يحسنوا رعاية الرعية . ونحن خولك حولك . تقول بقبولك ونسمع قولك »
وأفردوه عن أصحابه . وعوضوه عن عز جماعه بذل أصحابه . ومكث معهم
ثلاث سنين كالاسير . وقد ارضوه من طعامه وشرابه بالسير . لكنهم يجلسونه
على السرير . ويقفون مائلين بخدمته سوي قرغود وطوطى بك الامير
وانتشروا في البلاد انتشار الجراد . ودب دبابهم بالفساد . وأذهبوا الاموال
والنفوس . وأعدموا النعم وأوجدوا البؤس . وخربوا مدينة نيسابور وقتلوا

أهلها تحت المذاب . وسفكوا دماء الملاء والأئمة في المحراب . وكانوا
يستصحبون سنجر معهم . وهو لا يقدر ان يردعهم . وربما خشن عليهم في
القول ونهاهم ونهرهم . وسبهم وسبهم . ولم لا ينجيونه اذا نجاههم بالكروه وأسمعهم
ولما ليس الباقون من عسكر سنجر من خلاصه . ورأوا مضيقاً عليه
في قفص اقتناصه . فرقوا وتفرقوا . وخفقوا وأخفقوا . فهرب منهم في
آخر عمره ووقع الى ترمذ . وأرهب حد الزم وشجذ . فأصابه سهم الاجل
ونفذ . فاحضر عسكره سليمان شاه ابن أخيه محمد ليتولى مكانه . ويحمد سلطانه
فلم يفلح ولم ينجح . ولم يصلح ولم يصلح . فبعد الى الري ومنها الى بغداد . ولم
يجد امره لتنفاذ الاذ . واجمع السكر على الاتفاق في تولية محمود خان ابن
اخت سنجر واقام بنيسابور متكننا . حسنا في هيئته محسنا . وذلك في ايام
السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه . فكتب له العهد من همدان
وولاه . ثم استولى الامير المؤيد آى ابيه بنيسابور وأخذ محمود خان
واعدمه . وتولى الالاور وثق الغز بمر وبلغ وسائر البلاد ضالين عن نهج
الرشاد . غابدين للجور جائرين على السباد



ذكر الحوادث بالمرأى بعد انفصال السلطان محمد بن محمود

عن بغداد بعد حصارها في سنة ٥٥٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله : قد سبق شرح الحصار . وما قوى الله به أمير المؤمنين
المقتدى من الانتصاب والانتصار . وكان من أقوى الأسباب في دفعهم ان
الخليفة راسل آتابك شمس الدين ايلدكران ينهض بمسكروه الى همدان حتي
اذا عرف السلطان محمد ان سريره قد فرع . وان سروره قد رفع . ارتحل
عن بغداد فصار آتابك ايلدكران بالسلطان ملكشاه بن محمود الى همدان ودخلها
واستولى على ذخائر الملك بها وقتلها . وأجلس ملكشاه على السرير . وقام
بين يديه بالتدبير . فلما عرفت الساكر المنازلة لبغداد ان منازلها بهمدان
نزلت . وان ولايتها في ولايتها عزلت . تشوشت خواطرها . واستوحشت
ضمايرها . وافق عن بغداد انفلاتهم وانفلاتهم . وقدر انقضاءهم وانقضاءهم
وعادوا الى همدان ولما أحس ملكشاه بقرب أخيه محمد انصرف وانحرف .
وقناه آتابك ايلدكران وما توقف . وكان قد استوزر المظفر بن سيدي من
زنجان وكان كبير الاصل . كثير الفضل . وله نظم رائق . وشر فائق . فن
ذلك قوله في شمس الدين أبي النجيب وزير السلطان محمد

أبا النجيب وما في الحق مفضبة أنت على فاين العلم والحسب
وأنت أنت وهذا الوفرة منتقل الى سواك وهذا الامر منقلب

وقوله

إني وتيجان أسلافي وتلك لنا ألية برة لا نمتري فيها

لأَظْهُرُ الْمَلِكِ الطَّاعِي بِصَوْلَتِهِ شَرُّ رَأَوْا عَرَضُ عَنْ غَشِيَانِهِ تَبَاهَا
يُنْفِي الْوِزَارَةَ قَوْمٌ يَكْتُمُونَ بِهَا وَقَدْ تَصَاغَرَ قَدْرِي فِي تَوَلِيهَا
قَلَدَتْهَا مَكْرَهَا وَالْقَوْمُ فِي قَلْق يَرَاوَعُونَ سُمُوءًا فِي مَرَاقِبِهَا
وَعَفْنُهَا طَائِمًا وَالِدَوْلَةَ اضْطَرَبَتْ مِنْ بَعْدِ مَنْ هُوَ بَعْدَ اللَّهِ بِحَمِيهَا
وَرَدَّ نَفْسِي إِلَى التَّقْوَى تَيْمَنُهَا أَنْ التَّقَى هُوَ مِنْ أَجْدَى مَرَامِيهَا
وَأَسْأَلُ الْحَقَّ بِالْحَسَنِ إِذَا انْقَلَبَتْ نَفْسِي إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهَا وَمَوْلِيهَا

قال : وثق السلطان بعد ذلك سقيم الامل قسيم الالم . عديم الشبه في سيرته لكنه شبيه العدم . متوجع الجدم متعوج الرسم . معضوض النشاط مقبوض الانبساط . وكان في عصره أكابر الدولة من الفحول . وذوى الهمم والعقول . عز الدين سباز وناصر الدين آقش وأمين الدين أبو عبد الله أمير الدولة ومن الخدم شرف الدين كردبازو ونجم الدين رشيد وهؤلاء مازالوا أكابر في الدول . مقدمين ذوي السديد والجيوش والخيول . يلازمونه في السفر والحضر . ويثبتون معه في سبيل السلامة . ووادع أخاه ملكشاه وعقده على خوزستان فما تمكن منها منهاجه . ولا تم بها ابتهاجه . لاستيلاء الأمير ايندغدى ابن كشتفان المعروف بشمله عليها وتقلبه وتبطل أمره بتقلبه . فبقى في البلاد دثرا حثرا . صابرا بالبلاء والى الضيق صائرا . وأما السلطان محمد فانه مع تكسره . وامتزاج صحة مزاجه بسقمه . ووقوف رصد المنون على لقمه . رغب في التزوج بابتة ملك كرمان فخطبها مما هو فيه من خطبه . وبذل وحمل . واتحف واحتفل . ووردت الحاتون الكرمانية فزيت لقدمها القصور ووفر لحضورها الجبور وهم اذا

بهذهان واستقبلها السلطان لمرضه في الحفة . وأحلها في كنفه . وتركها لا يقدر منها على متعة . ولا يطيق الا لمام من روضها برقة . فها اقتضت باقتضاضها قدرته . ولا اقرت باقتراعها مسرته . بل عجز عن البناء عليها . وقصرت يد صحبته عن الامتداد اليها . وبقيت في جنبه نخيمة . وفي حياته متاعمة . وعرضت للوزير شمس الدين أبي النجيب هيضة غربت بها شمسه وفاضت نفسه . وغاض بفيضه رسمه . واقطع غده ونسي يومه أمسه . ولقد كان أقوم قومه سيرة . وأمثل امثاله وتيرة . وكان بالتواضع حاليا . ومن التكبر خاليا . ولقد السلطان وزارته ضياء الدين بن مجد الدين بن علجة الاصفهاني فنقله الى الوزارة من منصب الطغراء . وزف عروس تلك المرتبة منه امثل الاكفاء . ولقد كان في السيادة عريقا . وبالرئاسة ايقا . لكنه جاءته الوزارة وهو مشارف الوجل . ومشار الاجل . فما قرب من الوسادة حتى قبر ووسد . وما قام خطه بقدره حتى قاومه القدر واقعد . فخرن السلطان موته . وحزبه فوته . وكان قد طال له صحبته . وأدالت منه لذته صحبته . وهو يمهده بالوزارة ويعرضها المثل . وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل . ومكث السلطان بعد ذلك لاحيا فيرجى ولا ميتا فيسعى ثم انه توفي يوم السبت لانسلاخ ذى القعدة سنة ٥٥٤ وكثر عليه الترحم . وزاد بمصابه التألم . فانه كان أوفر السلجقية حلا . وأوفرهم علما . وأجهم للعدل . وأجهم للفضل واختلف من بعده الامراء فاجتمعت آراؤهم على استدعاء الامير ايتاج صاحب الري . ونشروا من الامر المستور بمالاته ما كان في الطي . ثم تمارضت آراؤهم وتناقضت أهواؤهم فنهزم من مال الى ملكشاه أخيه المتوفى . ومنهم من رأى الارسال الى الملك ارسلا ن لمكان اتابك ايلد كز

زوج امه . ومنهم من أشار بتخليك سليمان عمه . وكان الامير ايناج يومئذ
أكثر جندا . وأكثف جمعا وأرهف حدا . ومال الى سليمان وقال هو
أسلم جانباً وأوطأه . وأثبت عن الاذية رأيا وابطاءه . والخليفة كان قد ولاه
ووالى اليه الجليل وأولاه . فاذا أجلسناه قام الخليفة بتربيته . ورضى بتوليته
قال وكان سليمان بالموصل في اعتقال على كوجك فاتفق الامير ايناج
وناصر الدين آقش وشرف الدين كردبازو على ارسال الامير مظفر الدين الب
ارغون صاحب قزوین الى الموصل للوصول به . وكوتب صاحبها في طلبه .
وكان زين الدين على كوجك اطلقه عند علمه بوفاة السلطان محمد وجهره بمد
التوثقة منه بالايمن . فقدم واستقر بهمدان على سرير الملك ودخل في
طاعته سراة الترك وانتظم أمره . واضطرم جره . ووافقه مخالفوه . ووفاه
مخالفوه . وأصبح بالامير ايناج حل الدولة وعقدوا . ويده حبلا . وبأيده
وصلها . وصار مظفر الدين الب ارغون بن يرقش صاحب قزوین . الامير
الحاجب الامين . وقلد وزارته شهاب الدين محمود بن الثقة عبد العزيز
النيسابورى وكان وزير ايناج فنذت في الاقاليم إقامته . ومضت بالاحكام
احكامه . وأعاد الى وجه الوزارة ماءها الذهب . وأوضح في انارة افاقها
المذاهب . ولما رأى انه ليس في الاكابر اعظم من اتاكش شمس الدين
ايلدكز وان الملك ارسلان بن طنك ممه . وانه ربما قصد سليمان ليدفمه
سير اليه بولاية ارانية منشورا . ونظم وضم ما كان هناك . منشورا .
وجعل ولاية العهد للملك ارسلان بمد سليمان . وتذل الصب وهان .
وحسبوا ان السلطان بمد غموضه يبه . ولكأسه يريق . ومن سكره يفيق
فبق على الشرب مكبا . وللعب محبا . وللمقل هاجرا . وللم زاجرا . فلا

جرم حالت حاله وساء ماله . وسندكر ذلك بعد ذكر بعض الحوادث في
أيامه . ونصل افتتاحه بافتتاحه

ذكر وفاة الامام المقتنى لامرأة وجاوس ولده الامام

المنتجد بأمة أبي المظفر يوسف امير المؤمنين

قال رحمه الله : كان الامام المقتنى لامرأة بعد الحصر آثر ان يخرج الى
البلاد ليراها . ويشري ببركة حركته ثراها . فاحضر طرفا الاخضره وما نظر
كتفا الانضره . وكان في اقامته عسكره طال ام قصر سفره الاخباز والاعناب
والخوامش والعلائق تفرق على عدد الناس والدواب . وعساكره مجرون من
جراياتهم . ونفاقهم واعطيتهم على المياز والمحاب فساينق لاحد فرس الا
اخلفه عليه . ولا يلتس صاحب ممونة ولا منوثة الا عجلى بها اليه . واجناده
يتنون ان تعاول اسفاره . ليدوم لصبح ساداتهم بمطايه اسفاره . ووصل
الى واسط في اواخر صفر سنة ٥٥٤ هـ وانا نائب الوزير ابن هبيرة بها
وخرجت في اصحابي للتقى . وكنت من زجة الاقاء على غاية التوق . فبصرت
بموكب الخليفة وقد اقتبل في افواجه . كأنه البحر في امواجه . فزلت وقدمت
اليه . وقبلت الارض بين يديه . فوقف لاركب اشفاقا على من الزجة .
وكانت فطرته مجبولة على الرأفة والرحمة . وقال له مخلص الدين ابن الكيا
المهراسي هذا الذي يقول في أمير المؤمنين من قصيدته كأنه يصف هذه الحالة

لما شفعت العزم وهو مؤيد بالخزم أسفر بالني منك السفر
وبرزت مثل الشمس تشرق للورى وسناك يحجب عنك ناظر من نظر
بمظلة سوداء تحكى هالة وجه الامام يضيئ فيها كالقمر

وقال الوزير هذا صاحبي وقد وليته . وأصحبه وأوليته . وبهج بخدمتي
ونجح . وبذخ بنياتي ورجع . فوصى الامام وزيره بي . وأعجبه سمي
وأسلوبي . وسار على رسله ودخل الى دار الديوان . وجلس ساعة في
الايوان . ثم قام وجلس الوزير في الدست وكتب ووقع . وقال واسمع .
والناظر حينئذ في واسط الامير شمس الدين أبو الفضائل فأتى وهو من
أكابر الخدم الذين لهم المزايا والمزاين . ثم انتقل الخليفة الى سرادقه . والوزير
الي مضاربه . ونزل أرباب الدولة كل منهم على مراتبه

قال : وحضرت بميدان واسط والمقتنى رضى الله عنه حاضرا ومعه
أولاده ولي العهد المستجد يوسف وأبو علي وأبو أحمد وولده المستجد أبو
محمد وهو المستضي الذي تولى بعده ولعبوا بالكرة . ولم يلبث بواسط ثلاثة
أيام حتى عاد الى بغداد سرياً وكان وصوله للانحدار الى الزراف فزاد الماء
زيادة منعت العبور فرجع على نية الرجوع . وعند عودته غرقت بغداد
وذلك في شهر ربيع الاول سنة ٥٥٤ هـ وذلك لان الماء زاد في تلك السنة
على خلاف عادته وتهوره ببقى القورج وتقوم . وغلظ وبلغ السور من صوب
الظفرية وتسور . وطاف بتلك النواحي طوفان نوح . وراح شبح كل بناء
بنير روح . وكان ذلك منظرا هائلا . وقدرا نازلا . وطارقا كثرت طريقه
وقتئذ عسر رثته . وركب الوزير وأرباب الدولة فصدوه وسدوه . وردعوه
وردوه . واتفق انه قص ووقف . وغرق معظم ما من ذلك الماء العظيم

غرف . ولما انصرف الصيف وانكسر الحصر وصل المقتني الى واسط مرة أخرى وانحدر الى ناحية العراف وعزل عن ولايتها ظمرا خادمه وولاهها أبا جعفر بن البلدي وقبض على ابن افلح وزير ظفر وعاقبه . وألزمه بما استخرجه من دقات ابن حماد وطالبه . وكبا به القوس في بعض تلك السواقى فوقع وتألم . واعتذر بصحته اليه القدر مما تجرم . وذلك في شهر رمضان من السنة

ولما دخلت سنة ٥٥٥ خرج الخليفة الى هيت وكان مقطعا نور الدولة ابن الامير العميد فخل عنه الاقطاع . وألزمه شحه المطاع . وأقبل من سفره سافر الاقبال . ظافر الآمال . فما عاد حتى عاده سقم . والم به ألم . فتوفي في يوم الاحد ثاني شهر ربيع الاول سنة ٥٥٥ وانتقل الى جوار الرب . طاهر الذيل نقي الجيب . أمين الغيب . برياً من العيب . ولما عرف ولده وولى عهده الامام المستنجد بالله أبو المظفر يوسف ان والده قد وقع اليأس عنه أشفق من اتمام الامر لاختيه ابى علي . وانه للمهد غير ولى . وهجم الدار . وقبض الكبار والصغار . وعقل واعتقل . ونقل وانتقل . وبويع له بالخلافة يوم وفاة والده . واحتوى على طارفه وتآله . وقبض عدة من الامراء الخلية بماليك الخليفة المقتني واعدمهم . وانتخب جماعة من مماليكهم وأمرهم وقدمهم . وأخذ القاضي سديد الدين بن المرخم أخذاً شديداً . وردد المذاب عليه ترديداً . الى ان فاضت نفسه . وغاض به رمسه . وحبس المخلص ابن الكيا المراسى مدة ايام خلافته . وحرمه حظ عاطفته ورافته وأقر عضد الدين ابن رئيس الرؤساء على استاذية الدار . ورفع قدره على الافكار . وأقر عون الدين ابن هيرة على وزارته . وبقي ماء الدولة به على

غزارة . واستولى على دولته مملوكة قايماز . وعز بالاستظهار وظهر بالاغزاز

ذكر مراسلة الخليفة للسلطان

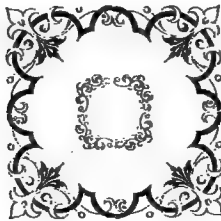
قال : وأرسل الخليفة الى السلطان سليمان . يسأله الطاعة والاذعان . ويطلب منه ان يخطب له في جميع البلاد . ويقوى رجاؤه منه في نيل المراد . ويذكره باحسان الامام المقتنى اليه . وأفضاله عليه . فيادر السلطان الي التمام الارض . وامثال القرض . وقبل كتابه وقبله . وكتب الي البلاد ليخطب له . وظن ان بغداد قد وصلت الي بعثته . وحصلت في قبضته . وانها في انتظار بعثته فرتب القاضي فيه الدين ابا هريرة الحمداني رسولا . وكان مقبلا في ستمه وستمه مقبولا . وهو من أعيان المملكة وأماثلها . وعلماء الامة وأفاضلها . ونذب معه الامير ابن طغايرك ليكون ببنداد واليا . ويديد ما رخص ونزل من قدم السلجقية غالبا عاليا . فعزم في عدة . وزعم انه على عدة . وسار القاضي والامير ومن مهمما مع رسول الخليفة وهو الحاجب سونج النظامي ذو النطق واللسن والراى الحسن . والعلم والقصاحة . والحلم والحصافة . فاستصحب القاضي والامير ووصل . على ظن انه بالمراد حصل . فلما قربا قربا . وبالرغائب رغباً . واقبت الوظائف . ووضعت الطائف . واقاما مدة للتقرب والترقب . ثم قاما للطلب والتغلب . وقالوا انما حضرنا للتعرف والتصرف . لالتوقي والتوقف . فقال لهما الوزير ما بالكما . وما حالكما وبم ارسالكما . وفيهم سواكما فقالا ما جئنا لنذهب . وانما جئنا لنخاطب ونخطب . فقيل لهما ما أتما الا سفيرا هتدا واهتدا

وخيرا ولاية وولاة. والتمرض للخطبة تمرض الخطوب. ولا رغبيا في الخطبة
ان رغبنا في الولاء المخطوب. فقال رسولكم بها وعد ققيم اخلاف المدة .
واللاف الجدة . واثارة الثائرة الموجدة للوجدة . فقبل لها ما كان لرسولنا ان
يقول ما لم نثر به . وفيهم رضانا عن مرسلكما ان شربه وسربه . وغدا يوافقكم
رسولنا على انه لم يقل ما قلناه . ولم يسعد ولم يحل فيما به عقدناه . فافترقوا
للاجماع في غد والمعاودة لم وعد .

فاتفق ان رسول الحليفة وهو الحاجب سونج النظامي في تلك الليلة توفي .
واخذ سراج حياته واطفى . وكنتم سره تحت التراب واخفى . وكان هذا . من
اعجب الغرائب . واغرب المجائب . حتى تحدث الناس بذلك الحادث . وانبثوا
لذكر ما تجد عليه من المباحث . وقيل انه خير بين ان يقتل صبوا . او يشرب
سما وما فيها حظ المختار . وقيل بل بقضاء من الله جار . وأجل . وقوت بمقدار .
فلم يجر بمد وفاته تلك المواعدة معاودة ولا وفاة . ووقعت من الرسولين
متافرة ومنافاة . فاتفق ان القاضي أباهريرة أحد الرسولين توفي بعد أسبوع
من وفاة سونج . ولم يكن دينه أيضا من القدر بمنج . فرجف الناس وأرجفوا .
وتحدثوا بما عرفوا وبما لم يعرفوا . واستشمر الرقيق الآخر وقال ما في
الاقامة خلاص . وأظلت راحلا وله خصاص . فانه غلب على ظنه انه ان أقام
قضى . ولحق بمن مضى . فتلاشت تلك الرسالة لدمد رسلها . ولروعة مثل
ذلك الحادث لم يرجعوا الى مثلها . ووقعت في انفسهم من بنداذ الهمة . ومن
حصولها الحية . فلم يقدم ملك اليها . ولم يقدم سلطان عليها

قال : وفي هذه السنة وهي سنة ٥٥٥ توفي ملكشاه بن محمود بن محمد
وذلك انه لما عرف ملكشاه ان عمه ملك . وان حساب المالك به تغذلك .

وانه يعمود خلوته . ولا يخل عادته . ويريد هواه ولا يهوى ارادته . نهض
 وافر المدد . وافي المدد . وجاء الي جي . بلالي . ووفر جبورا اهل اصفهان
 بمحضوره . واذعنوا لاوامره اذعنوا بأمره . واستبشروا وأنسوا بشره .
 ونشروا الطيب وطابوا بشره . وقالوا عاودتنا اللطاف الالهية . وعادت
 علينا الايام الملكشاهية . وأقام وسير الكتب الى الاطراف . بالاستمالة
 والاستمطاف . وخطب اللهو ولها عن الخطب . وغفل عن اسراع الذوى
 الى عوده الرطب . وكان مغرورا بالشباب مشنوب القرار . مقدر للام
 آمنا من الاقدار . فلم ينقض عليه شهر حتى اشتهر انه قضى ومضى . وان برقه ويومه
 مضى . وذلك في يوم الاثنين الحادى عشر من شهر ربيع الاول من غير مرض
 سبق ولا عرض عرض . بل كانت له مغنية قد استهوته واستفوته .
 وخبلت خلبه وسلبت لبه . فصار يا كل من يدها ويشرب . ويجىء بجنها
 ويذهب . وقيل انها بفت موته فأت بفته . وقيل بل اصابه سكتة . وانها
 قد رغبته حتى سقته سما . وكان قدرا حتما . قد احاط الله به علما



ذكر ما آل اليه امر السلطان سليمان . وكيف جفاه زمانه وخان

وكيف قبض . ن مجلس ملكه . ونقل الى منزل ملكه



قال : لما اتسع ملكه . واتسق ملكه . ظن الامراء انه قد لاحف
الفلاح . وصالح الصلاح . فلم يرضوا بالاحسان اليه لحسن ظنهم فيه ومازالوا
في تحرير اسبابه وتسييب قرار مساعدته ومساعدته حتي بداهم ابداله فاتف
الامير ايتاج عاد الى ربه . والسلطان سليمان انهك في غيه . وأخل مظفر الدين
صاحب قزوین بموضع الحجة . وثبت الباقون من الامراء على الفتك بالسلطان
فانه اشتغل بلهوه ولها عن شغله . وجد جبل جده بجبله . وقالوا الصواب
ضبطه ودربطه . وقبضه لابسطة . ومكثوا مدة يتشاورون في خلمه . ويتوأمرون
في وضعه . ويكتبون شمس الدين المذكور ليقدم بآبن زوجته الملك ارسلان بن
طغرل وانهم لا يقطعون أمرا حتى يصل وأحكموا العهد وأبرموا المقد . واتفق
انه حدث بالسلطان سليمان مصرع لصرعة من فرسه . فقضت بضيق نفسه
ونفسه . فمادوه لاله وعادوه في امله . واعتقلوه في قصر من الدار السلطانية
وكل كل امير به من ثقاته جماعة . واعتقدوا على اضاعته عهدا واعتقدوا العهد
اضاعة . وذلك في شوال سنة ٥٥٥ هـ ثم انهم نقلوه الى قلعة همدان وجرعوه
كاسا مسمومة . وازاروه ميتة مذمومة . وكانت وفاته في ثالث عشر شهر ربيع
الاول سنة ٥٥٦ هـ بمد جلوس ابن اخيه في السلطنة



ذكر جلوس السلطان ركن الدنيا والدين ابي المظفر ارسلان

ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان

قال : وصل ارسلان الي همدان بعد اعتقال عمه في ذى القعدة من السنة وجلس على سرير سروره . واجتأب حبر جبوره . ونمت شمس الدين ايلدكز آتابك الاعظم . فتقدم واقدم . وأهان وأكرم . وكان السلطان تحت سلطانه . يرتوى من احساء اخسائه . ويأكل من خوانه مع اخوانه . فان أولاد آتابك ايلدكز بنو أمه . وصار واسطة عقدهم ورايلة عقدهم بنظمه اليهم وضه . وسعى سعد آتابك ايلدكز بقدم التقدم . وجدة جدّه في التوسع والتوسم . وتضاغر له الكبراء وأتمرله الامراء . وتقررت الوزارة على شهاب الدين محمود بن الثقة عبد المزبر . والحجبة على طغرل تكين اياز وأقاموا بهمدان شهرين ثم توجه السلطان الى اصفهان وجعل ساوه مسلكه . واستصحب معه ايلدكز آتابكه . ووصل اليه في ساوه الامير ايناج بك ستقر صاحب الري فاتبه بليته وابق منه بهجة . وأقام بايضاح محبة خلوصه على حكم طاعته حجة . وصار بينه وبين آتابك ايلدكز مصاهرة وتمت بذلك للسلطان مهبها مظهرة . وزوجت ابنة ايناج بابن ايلدكز الاكبر وهو نصر الدين بهلوان محمد وهو أخو السلطان لأمه . وأقوم أهل الدولة بمهمه . ثم اكرموا ايناج وردوه الى ولايته غير انه باق على عتوه . راق في غلوه . متكره . يتكرر ايلدكز متكرث . متأثر قلبه من تقدمه . متأثر

لكنه أبدى الرضا بما بدي . وأظهر انه مع الاولياء . وأسر كونه مع العدى
ووصل السلطان والجماعة واثقين بالذكور . ممتدين بعمله المشكور .
الى اصفهان ودخل السلطان الى دار السلطنة فاحتل سريرها . وقرَّبها سامي
العين قريزها . ومدوا باصفهان أيديهم . وأجندوا تلميذهم . وأخذوا البريء
بالسقيم . والكريم بالثيم . والحديد بالذميم . وساقوا الناس بقلم التوزيع الى
لقم التوزيع . واستثروا أصول المصادرات بالتعريض . وسدوا الانهار على
البساتين حتى أخذوا أثمان المياه . وشفهوا الموارد وصدوا عن الصادى ورد
الشفاة . وأقام السلطان كذلك برهة ولما عزم على الرحيل تلوى عليه الامير
عز الدين ستماز وتخلّى عنه وتخلّف . وتوقى منه وتوقف . وكان قد كاتب
الامير ايناج لمناوة السلطان . وشق المصا بالمصيان . واستدعاء أخيه الملك
محمد بن طنزل من فارس وأحس السلطان بالتبدير . فوقع فى التشويش
والتشوير . فان آتابك ايلدكز وأولاده كانوا بهمذان . وهم لا يظنون من
أولئك بالايذاء الايدان . فأغذ في السير . واستعمار فى القُدوم عليهم فادمة
الطير . فلما اتصل بهم أفرخ روعه وأفرق . وأشرف ضوؤه وأشرق . وامتد
ايناج من الرى متوجها مسارعا الى لقاء السلطان ومناجزته . قبل التقاء
آتابك ايلدكز به ومحاجزته . فالتصل بايناج عز الدين ستماز وصاحب قزوين
الب ارغو فى جموع حاشدة . وحشود جامعة . والملك محمد ابن طنزل
معهم وقتلهم معه . وقد ضاق القضاء بالسكر فها وسه . والسلطان فى
عمر مره العرم وجفله الخلل

فزحف الجيشان . ورجف الجاشان . وتحرك المجران . وتمرق الجران .
وكان اجتماعهما بنواحى الكرج . وكرب الحرب معوز الترج . وكان

السلطان قد اتهم الوزير بمداجاته . ومكاتبه ايناك ومناجاته . وكانوا حملوا السلطان على قتله . وحذروه من مكره وختله . فما سمع فيه مقالا ولا رأي له اعتقالا . بل وكل له في السر جماعة يظهرون انهم في خدمته . ويظاهرون في حفظ حرمة . وكان في اعتمام نصرة الدين بهلوان فقرر أمره على هدايا يهديها . وأربعين ألف دينار يؤديها . فأخذوا منه في المال للمال . وتركوا فيه القيل والقال . فصرفوا المال في مصالح المسكر . وعاد الوزير الى سمده الازهر وجده الابر . وقدم الحركة . يوم المعركة . ولما تواقف الجمان . واجتمع الموقفان حملت ميمنة ايناك على ميسرة السلطان وكسرتها فوجد السلطان ووجع . وهجم عليه الهم بما هجم . لكنه ثبت في قلبه . وانجى اليذكر فحمل بأولاده وصحبه . وخفقوا على قلب ايناك فنجوا وقلبه خافق . وهمه لوهمه مصافح مصافق . والطرد من ورائه ورأيه في الطراد . وغاب في الغبار وأضرته دياجي الضر الجياد . واصابت وجه الوزير في هذه الوقعة ضربة سيف أذهبت عينه اليمنى . ولم يدرا أنه بعد ذهاب ذهبه وعين نضاره بذهاب ناظر عينه اليمنى . وحمل الى همدان في محفة ليتداوى . وشمت به عداته وعادت ضواربها عليه تتماوى . فولى ايناك مدبرا وأدبر موليا . وظل رحله ورحل متخليا . وعاد السلطان الى عادته في السلطنة واتسع ملكه . واتسق سلكه ودار فلكه . ودر فلكه . وتفرّد زوج أمه آتابك اليكز بالامر والنهي . والنشر والطى . والحسم والصكى . والابيات والنقى . فأذني وأبسد . وأشقى وأسعد . وراقب الاضراب . وضرب الرقاب . وحاجي الاعداء وعادى الاحباب .

ولما وضعت الحرب أوزارها وجه السلطان الى الرى برأيه . ووصل

سراياه الى ايناج لقطع سراياه . فقدموها وجبوا اعمالها . وجنوا أموالها . وجنوا ذخائرهما . وفرقوا اخيارها . وكان ايناج منهم بنجوة . وقد قنع من الميش بنجوة . وهو في حدود الدامغان ومازال بها يستمط ويستسفف . ويتوصل ويتوصل . الى ان صلحت أسبابه واستتب صلحه . ونجحت آرايه وأربى نجه . وقصروا رأييه على القناعة بالرى . وتموض برشده عن النى . وحلت عنه جرباذقان وساو . وعادت مبيشته وعيشته الطلاوة والحلاوة . ورحلوا الى قزوین فتحصن صاحبها فى قلعة سرجهان . وعاین وعانى الامتحان والامتحان . فقرقوا المال . وجموا الاموال . وأقاموا الى ان دم الشتاء بشتات الدهاء . ورحل البلاء بنزول البلاء . فلهم لم يقيموا بالمكان ولم يتمكنوا من المقام . وفكوا عن البلدة عروة الازدحام . وسار السلطان نحو همدان . وآتابك ايلدكز الى آذربيجان . ثم استقرت سلطنة ارسلان ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه . وعلم فى عزه ونفاذ أمره الاشباه . وحكم عليه وعلى البلاد جميعها شمس الدين ايلدكز زوج أمه . وجرى فى اقامة ناهوس سلطاناه على زسمه

وكانت الوزارة مستمرة بشهاب الدين الثقة . وله من الناس لكرمه وعلو هممه المقة . الى ان توفى باصفهان واستوزر بعده الوزير نغر الدين ابن الوزير المعين المختص ولما توفى بهمدان بعد سنين استوزر جلال الدين ابن القوام الدرگزى وامتدت وزارته فى الايام الارسلانية . ووفى باحكام الأحكام السلطانية



ذكر وفاة السلطان ارسلان في سنة ٥٧١ هـ

وفاته آتاك ايلدكز قبله

قال رحمه الله: كان السلطان قد تزوج بأخت نغر الدين رئيس همدان. فاتفق
وفاة شمس الدين ايلدكز بنخجوان . وتمكن ابنه محمد المنعوت بهلوان .
وهو أخو ارسلان من أمه . فأراد الاستبداد دونه بحكمه . وكان ارسلان
مريضاً فنقل إلى دار زوجته بهندان وتوفى بها . وقيل ان أخاه بهلوان سقاه
وللحزم في بقاءه ما أنقاه . وأجلس ولده طغرل الصغير . وشغل به السرير .
ونفذت أوامره في الممالك . واضحة المسالك . واسعة الممالك . وما زال
أمره مستقيماً واستقامته مستمرة . وثنايا دولته عن مباسم السعود مفترية .
إلى ان توفى بهلوان في أوائل سنة ٥٨٢ وتولى أخوه مظفر الدين قزل
ارسلان بن ايلدكز الملك . ونهج المسلك ونسق السلك . وطغرل قد شب
وأرب فوجد أمره مهجوراً . وعزله محجوباً محجوراً . فأحب الانفراد .
وأراد الاستبداد . فهرب ليلاً وانضم إليه جماعة من الامراء البهلوانية .
وبشوه على التوخذ بالهزة السلطانية . وكان سيئ التدبير . يعاقب على التهم
بالقتل والتدمير . وكانت البهلوانية قد انجدوه . وساعدوه وأسعدوه . وأقام
قزل ارسلان مراراً فأقعدوه . فاتهم يوماً على ظنة أضمرت نار اشتطاطه .
فقتلهم غيلة على بساطه . فنشرت منه القلوب . وتمكن قزل ارسلان .
وتضعف السلطان . واتهم وزيره عزيز الدين بن رضى الدين يوماً فقتله
وأخاه صبراً . وزاد في فتكه بنحواسه كلما انكسر ولم ينف خيراً . واعتال نغر

الدين رئيس همدان وسهه . وسلط على كل من قرب منه وهمه
 وهمه . وكلما تمكن أزعمه عمه قزل ارسلان حتى وصل في سنة ٥٨٥ هـ الى
 الامير حسن بن قنجاقي وتزوج بأخته . وجرى معه على حكم وقته . فنهض
 معه لينصره . ويمضيه ويوزره . ووصل الى مدينة أرمية فأغلقت أبوابها دونه .
 والقنجاقي معه يسعدونه . فدخلوا المدينة واستباحوها ونهبوها . واجتاحوها
 وخربوها . وسير السلطان صلاح الدين من الشام رسله في الإصلاح بينه
 وبين قزل ارسلان . فدان له ولان . وكاد الصلح يتم . والخبر نيم . فأبى سوء
 الاراء استواء الآراب . وتستر الصواب بالحجاب . فعن السلطان ان يقصد
 قزل ارسلان بهمدان . اخماداً لئيران الاقتان . فقبضه يوم قدومه واعتقله
 في بعض المعامل . فتمت آثار تلك الطوائل . وسكن الدهر . وقضى
 الامر . وضرب قزل ارسلان النوب الخمس . ووطن على الاستبداد بالسلطنة
 النفس . ولهم بالصفا . عن الكدر . وغفل عن القضاء والقدر . فوجد ليلة من
 الليالي بهمدان مذبحاً على فراشه . وقد يس عائر الملك به من امتاشه .
 وكان بين حفاظه وحراسه . ولم يعلم من الذي أقدم على قطع رأسه . وذلك
 في شعبان سنة ٥٨٧ هـ

وسار ابن أخيه نصره الدين أبو بكر بن بهلوان الى آذربيجان فلحقها . وسار
 أخوه قتلغ اينانج بن بهلوان الى طريق الري فسلحها وأدركها . وسعى بعض
 الامراء في اخراج طغرل من محبسه . واعاده من السلطنة الى مجلسه ومضى
 الى دار الملك همدان . وأستأنف الامكان . واستجد العبد والاحسان . فجاء
 السلطان خوارزمشاه في سنة ٥٨٩ هـ للثقل على المملكة . فلقبه السلطان طغرل
 في المعركة . وخرق بثمة قليلة الصف الحواري . وظهر البأس الرستمي .

فأحدقوا به ورموه . واخذوا رأسه وما ذب عنه أصحابه ولا حموه . وسير رأسه الى بغداد . واستولى السلطان خوارزم شاه على البلاد . وختمت الدولة السلجقية بطغرل . وكان افتتاحها بطغرل . وكانت مدة ملكه امد وصل طغرل بك الى بغداد الى هذه الغاية ١٤٠ سنة . وكلها اشبهت سنة . فسبحان الذي ملكه لا يزول . وحكمه لا يحول .

ذكر الوزراء المتولين

قال رحمه الله : كانت الوزارة لجلال الدين بن القوام فلما توفى وزير اخوه قوام الدين . ثم عزل واستوزر كمال الدين الزنجاني المعروف بالتمجيلي . وبقي سنين وعزل . ثم استوزر صدر الدين قاضي مراغة ثم استقرت الوزارة بيد عزله على عزيز الدين ابن الرضى . ذى الخلق والكرم المرضي . ثم جرى ما جرى من قتله . وأذن الملك بشتات شمله

قال : وفي شهر سنة ٥٦٥ وجد ايتاج صاحب الرى مقتولا على سريريه . ولم يعلم كيف كان سبب تدميره . وأضيف القنك به الى مماليكه . بتدبير الوزير وتشريكه . وكان وزير ايتاج سعد الدين أسعد الاشلى . فاستوزره شمس الدين ايلدكز واستقل . وكان وزير ايلدكز من قبله مختار الدين

قال : وتولى السلطان طغرل فى الدولة الامامية المستضية . وكانت ولاية المستضى . بأمر الله فى ربيع الآخر سنة ٥٦٦ . وانتقل الى رحمة الله تعالى فى آخر شوال سنة ٥٧٥ . وتولى الامام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن

المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستجد بن المثنى رضى الله عنهم
أجمعين

قلت وامتدت ولايته الى آخر شهر رمضان سنة ٦٢٢ وتوفى في هذا
التاريخ وتولى ولده الامام الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد وتوفى رضى الله عنه
في رجب سنة ٦٢٣ وتولى ولده الامام المستنصر بالله أبو جعفر منصور اعز
الله انصاره . وضاعف اقتداره

قال الامام عماد الدين رحمه الله: وقد كنت اوثر ان انهى هذا الكتاب
الى آخره بشرح حادثة كل عام . والانهاء فيه الى كل صرام . لكنه بغيرتى
الى السلم . وتباعدي عن معرفة صروف تلك الايام . اقتضت على
ما عرفته من المجل . واستغنيت بها عن ذكر المفصل . ولان
السلطنة في تلك الايام وهنت وهانت . وبانت اسباب
اختلالها وظهرت اسرار وهائثا وهات . وما
تمكن وزير من سيرة سارة . ومبرة
بارة . حتى اتوه بذكروا وبه . وفيما
انشأته من محاسن الايام
الناصرية كفاية . ولكل
موفق الى هذه
هداية



فهرست

— كتاب تاريخ دولة آل - الجوق —

صحيفة

- | | |
|----|--|
| ٣ | مقدمة المؤلف |
| ٥ | نبذة من بداية حال السلجقية |
| ٩ | ذكر دخول السلطان طغرل بك الى بغداد في سنة ٤٤٧ |
| ١١ | ذكر الحال في ذلك |
| ١٢ | ذكر عوارض عرضت وحوادث حدثت |
| ١٣ | ذكر عود السلطان الى بغداد وحضوره بين يدي الخليفة |
| ٢١ | ذكر سبب تولي ابن دارست وزارة الخليفة الى حين انصرانه |
| ٢٢ | ذكر حوادث في هذه السنين |
| ٢٤ | ذكر وصول السلطان طغرل بك الى بغداد |
| ٢٥ | ذكر وفاة السلطان طغرل بك بالرى |
| ٢٦ | ذكر سيرة طغرل بك |
| ٢٧ | ذكر جلوس السلطان ألب ارسلان |
| ٢٩ | ذكر نظام الملك |
| ٣٠ | ذكر ما جرى لآل ارسلان بعد ملكه |
| ٣١ | ذكر وصول أبي سعد محمد مستوفى المملكة الى بغداد |
| ٣٢ | ذكر حوادث طواريء وطوارق واتفاقات ومواقفات |

صحيفة

- ٣٦ ذكر أحوال الب ارسلان بديار بكر والشام
- ٣٧ ذكر خروج ملك الروم وكسره وقسره وأسر
- ٤٢ ذكر أحداث حدثت في هذه السنين
- ٤٤ ذكر وفاة الب ارسلان سنة ٤٦٥
- ٤٦ ذكر جلوس السلطان ملكشاه بن الب ارسلان
- ٤٨ ذكر وفاة القائم بأمر الله وتولي المقتدى بأمر الله
- ٥٢ أيام السلطان ملكشاه بن الب ارسلان
- ٥٦ ذكر الاكابر والكتاب في زمانه
- ٦٢ ذكر ظهور الاسماعيلية
- ٦٤ ذكر نبذ من حوادث وأخبار في أيام ملكشاه الخ
- ٦٨ ذكر أبي منصور بن نظام الملك
- ٧٣ ذكر دخول السلطان ملكشاه الى بغداد
- ٧٥ ذكر حوادث
- ٧٦ ذكر حال ولاية بركيارق بن ملكشاه
- ٧٧ وزارة أبي عبد الله الحسين بن نظام الملك
- ٨١ ذكر خروج السلطان محمد بن ملكشاه من جنزة وأران الى الري واصفهان
- ٨٨ وزارة أبي نصر أحمد بن نظام الملك
- ٩٤ وزارة أبي منصور محمد بن الحسين الميمني
- ٩٩ ذكر جلوس أنو شروان بن خالد في نيابة الوزارة
- ١٠١ تولى كمال الملك على السمرقاني أشرف مملكة السلطان محمد بن ملكشاه

صحيفة

- ١٠٦ ذكر وزارة أبي منصور ابن الوزير أبي شجاع
- ١٠٩ ذكر جلوس السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه
- ١١٥ ذكر وصول السلطان الاعظم سنجر بن ملكشاه من خراسان الى حدود العراق
- ١٢٤ ذكر وزارة شمس الملك بن نظام الملك
- ١٣١ ذكر وزارة الدركزني في سنة ٥١٨
- ١٣٦ ذكر وزارة أبي نصر أبو شروان بن خالد
- ١٤٢ ذكر ما حدث بعد وفاة السلطان محمود الى أن استقر الملك لطفعل
- ١٤٥ ذكر جلوس السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه
- ١٤٦ ذكر ماجري للملك داود بن محمود بعد وفاة أبيه
- ١٤٩ ذكر حوادث جرت من السلطان مسعود وآبائك آق سنقر الاحمدي
- ١٥٢ ذكر ما كان من حديث عمى العزيز وحادثته بعد عوده الى القلعة
- ١٥٤ ذكر قتل الوزير الدركزني وما آل اليه أمر طغرل
- ١٥٦ وزارة شرف الدين علي بن رجاء
- ١٥٨ ذكر جلوس السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه
- ١٦٣ ولاية أبي جعفر منصور الراشد بالله
- ١٨٦ ذكر زنكي بن آق سنقر في آخر عهده
- ١٨٧ ذكر مقتل جفر نائب زنكي بالموصل
- ١٩٢ ذكر حال أبي جعفر محمد بن علي بن أبي المنصور
- ١٩٤ عود الحديث الى ذكر ماجري للسلطان مسعود بعد موت جاولي

- ١٩٥ ذكر وزارة ابن دارست الفارسي
- ١٩٧ ذكر الحوادث التي انحلت بها تلك العقود الخ
- ١٩٨ ذكر وزارة شمس الدين ابن النجيب الاصم الدرگزني
- ١٠٢ ذكر ماجرى باصفهان من الفتنة بعد مصرع بوازيه
- ٢٠٢ ذكر بعض الحوادث
- ٢٠٤ ذكر وصول السلطان سنجر الى الري
- ٢٠٥ ذكر حوادث في تلك السنين
- ٢٠٦ ذكر ما تجدد من الملك ملكشاه و وفاة السلطان مسعود
- ٢٠٨ ذكر جلوس السلطان ملكشاه بن محمود
- ٢١٠ ذكر جلوس السلطان أبي شجاع محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه
- ٢١٢ ذكر ماجرى للسلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه وجلوسه على
سرير السلطنة
- ٢١٣ ذكر رجوع السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه الى مقر
ملكه بمذنان
- ٢١٤ ذكر ما اعتمد الامام المقتفي لامر الله بموت السلطان مسعود
- ٢٢٠ ذكر وصول السلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه الى بغداد الخ
- ٢٢٢ ذكر اتصال الملك جفرى شاه بأخيه السلطان محمد
- ٢٢٣ ذكر حوادث جرت في تلك السنين
- ٢٢٥ ذكر وزارة شمس الدين أبي النجيب الدرگزني
- ٢٢٦ ذكر وصول السلطان محمد الى محاصرة بغداد وما اعتمد المقتفي من

صحيفة

حسن الصبر

- ٢٣٤ ذكر وفاة الملك سنجر بن ملكشاه وشرح نبذ من أحواله
- ٢٣٤ ذكر السبب في تولية بركيارق بلاد خراسان
- ٢٤٠ عود الى حديث سنجر
- ٢٤٣ ذكر وزراء السلطان سنجر بخراسان
- ٢٤٣ ذكر السبب في قتل وزراء السلطان سنجر
- ٢٤٨ ذكر جماعة من خواص سنجر ومماليكه أحبهم ثم سلام
- ٢٥١ ذكر علو همة السلطان سنجر وكرمه الخ
- ٢٥٢ ذكر سبب اختلال ملكه وانحلال سلكه
- ٢٥٣ ذكر السبب في ذلك وانكسار سنجر في حربه مع الخطائية
- ٢٥٦ ذكر انتعاش سنجر بعد أن عثر
- ٢٥٧ ذكر نوبة النز سنة ٥٤٨
- ٢٦١ ذكر الحوادث بالعراق بعد انفصال السلطان محمد بن محمود عن بغداد
- ٢٦٥ ذكر وفاة الامام المقتني لامر الله وجلوس ولده
- ٢٦٨ ذكر رسالة الخليفة للسلطان
- ٢٧١ ذكر ما آل اليه امر السلطان وكيف جفاه زمانه وخان
- ٢٧٢ ذكر جلوس السلطان أبي المظفر ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه
- ٢٧٦ ذكر وفاة السلطان ارسلان في سنة ٥٧١ ووفاة آتابك ايلدكر قبله
- ٢٧٧ ذكر الوزراء المتولين

01



Bibliotheca Alexandrina



0437595